الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

ابن مُنير الطَّرَابلسي

حياته وشعره

إعداد

محمد صبحي أسعد أبو حسين

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف

الاستاذ الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٤/١١/٢٨م وأُجيزت.

١. الأستاذ الدكتور عبدالجليل حسن المهدي (رئيساً) .....

٢. الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم (عضواً) .....

٣. الدكتورة عصمت عبدالله غوشة (عضواً) .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

" ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ، وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني في عبادك الصالحين"

- إلى والديّ الحبيبين، ثمرة من ثمار غرسهما..
- إلى إخوتي الأعزاء.
- إلى من أعانتني وأنا في أوج العمل، ومدت يدها تصافح يدي حين تكلل العمل بالنجاح... إلى الوفية المخلصة زوجتي العزيزة.
- إلى أبنائي رياحين حياتي "بيان، وحمزة، وحنين، وجعفر".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

بعد أن أنهيت هذا العمل، أجد من واجب الوفاء والاعتراف بالجميل، أن أتوجه بعميق الشكر، ووافر التقدير إلى أستاذي الدكتور عبد الجليل عبد المهدي لما أولاني من رعايته، وما وهب لي من علمه وخبرته ووقته، فقد أحاطني بالإشراف المخلص والتوجيهات السديدة حتى استوت الرسالة على هذه الصورة.

كما يسعدني أن أتقدم بوافر تقديري إلى أستاذيّ الجليلين: الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم، والدكتورة عصمة غوشة لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة وتصويب هناتها.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي، وإخواني الذين كان لهم فضل في إتمام هذا البحث، وإلى كل من مدّ لي يد العون في مرحلة من مراحل البحث. وأخص بالذكر السادة:

الدكتور عمر الأسعد، والدكتور شفيق الرقب، والدكتور نوفان الحمود ومحمد الدروبي، وعمر الفجاوي، ونزيه علاوي، والشيخ حسان عبد المنان وعبدالله الجيتاوي، والسيد صبري يونس، والمهندس حسين صبيح صاحب مؤسسة الزرقاء لخدمات الكمبيوتر الذين قاموا بطباعة هذه الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	جـ
شكر وتقدير	د
فهرست الموضوعات	هـ - و
ملخص باللغة العربية	حـ - ط
الفصل الأول:	١ - ٧٨
المقدمة	١
التمهيد	٧
حياة ابن منير الطرابلسي	٢٦
سيرته: اسمه ونسبه وكنيته	٢٧
أسرته	٣٣
مولده	٣٥
مراحل حياته	٣٦
ثقافته	٥١
شيوخه	٥٥
تلاميذه ورواة شعره	٥٦
مذهبه	٥٨
ابن منير وشعراء عصره	٦٤
وفاته	٧٤
الفصل الثاني: الديوان، موضوعات شعره	٧٩
الديوان	٨٠
الشعر دراسة موضوعية	٩٠
شعر الجهاد	٩١
أغراض شعرية أخرى	١٢٥ - ١٥١
الهجاء	١٢٥
الغزل	١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
المديح	١٤١
الوصف	١٤٦
الرثاء والتعزية	١٤٩
فنون شعرية ثانوية	١٥٢ – ١٦١
الشكوى والعتاب	١٥٢
الحكمة	١٥٤
الفخر	١٥٥
التهنئة	١٥٦
الإخوانيات	١٥٩
الفصل الثالث: التقويم الفني	١٦٢ – ٢١٣
التجربة الشعرية	١٦٢
بناء القصيدة	١٦٥
اللغة والأسلوب	١٨٣
الفنون البديعية	١٩٨
الصورة الشعرية	٢٠٣
الموسيقى الشعرية	٢٠٧
ثناء العلماء عليه	٢١٠
الخاتمة	٢١٥
ملحق ما لم يرد في طبعتي الديوان من أشعار ابن منير	٢١٨
ملحق الخرائط	٢٣٠
ثبت المصادر والمراجع	٢٣٥
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص
باللغة العربية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص الرسالة باللغة العربية
ابن منير الطرابلسي حياته وشعره

إعداد: محمد صبحي أسعد أبو حسين.
إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف يمكن إبرازها فيما يلي:
دراسة الفترة التي عاشها الشاعر منذ ولادته «٤٧٣هـ» وحتى وفاته «٥٤٨هـ» ومدى تأثره بها وأحداثها.
محاولة تبين أهم الأغراض الشعرية التي تحدث عنها الشاعر من شعر جهاد، وهجاء، وغزل، ومديح، ووصف، ورثاء، وفنون شعرية أخرى، ودراستها دراسة تحليلية نقدية.

وقد قامت خطة هذه الدراسة على دراسة النصوص من الداخل، مع محاولة تطبيق المنهج التكاملي، بوصفه يمكنني من الإفادة من مختلف المناهج المناسبة، كما قامت منهجية هذه الدراسة على استقراء شعر ابن منير الذي وصل إلينا، وتبين الموضوعات والأساليب الفنية التي اتسم بها شعره، ومحاولة دراسة حياته من شعره، ومن مصادر ترجمته المختلفة.

وتتكون الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول، حاولت في التمهيد أن أتعرف الأوضاع العامة لبلاد الشام زمن الحروب الصليبية، وذلك فيما يخص الأحداث الكبرى وبعض المظاهر الاجتماعية والثقافية إذ إن هذه الجوانب تعرف القارئ الظروف الكلية التي مرّت بها المنطقة، ومدى تأثر الشاعر بها.

وتناولت في الفصل الأول الحديث عن سيرة الشاعر، فتحدثت عن اسمه ونسبه وكنيته، وأسرته ومولده، ورحلاته وثقافته ومذهبه، وعلاقة ابن منير بأدباء عصره، وختمت الفصل الأول بالحديث عن وفاته.

أما الفصل الثاني، فقد تناول الحديث عن ديوان ابن منير المفقود ثم ذكرت

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أول محاولة لجمع شعره، وهي المحاولة التي قام بها الدكتور «سعود محمود عبد الجابر» سنة ١٩٨٢م في كتاب بعنوان «شعر ابن منير الطرابلسي» ثم ما قام به الدكتور«عمر عبد السلام تدمري» من جمع ديوان الشاعر سنة ١٩٨٦م، واستدرك فيه كثيراً على كتاب الدكتور «سعود محمود». كما تحدثت في هذا الفصل عن الفنون الشعرية التي نظم بها الشاعر، من الشعر الجهادي، والشعر الوجداني، وشعر الهجاء، وشعر المديح وغيرها.

وكان الفصل الثالث محاولة لدراسة شعر ابن منير دراسة فنية، فتحدثت عن التجربة الشعرية ودورها في إثراء الشعر وبناء القصيدة عند شاعرنا، ثم وقفت عند الحديث عن لغته الشعرية وأسلوبه الشعري، واستعمال الألوان المتعددة من الأساليب التعبيرية والموسيقى الشعرية.

وفي النهاية، اختتمت الدراسة بإضافة غير مسبوقة لمجموعة من أشعار الشاعر خلت منها طبعتا الديوان، وبلغت عدة هذه الأشعار قرابة مئتي بيت، وهي في الحقيقة إضافة جديرة بالتنويه والذكر إذا ما ذكرنا أن مجموع أشعار الشاعر في الديوان ألف وثمانمائة بيت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

المقدمة

التمهيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُقدّمة

أحمد الله على نعمائه، وأشكره على عطائه، وأصلي وأسلم على رسوله، وبعد،

فقد تعرضت بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري لغزو صليبي استهدف مركزها الديني، وخيراتها، وموقعها الإستراتيجي. ونتج عنه احتلال بيت المقدس وأجزاء متفرقة من بلاد الشام. وظلت البلاد الشامية زهاء قرنين من الزمان وهي تكابد حرباً دامية لم يخب لها أوار.

وتخلل هذه الفترة مرحلة الجهاد للذود عن حمى الأرض، والدفاع عن المقدسات، ولحماية قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبينا محمد «صلى الله عليه وسلم» وهيأ الله لأمة الإسلام في بلاد الشام قادة مؤمنين، من أمثال: «عماد الدين زنكي» وابنه «نور الدين زنكي»، فاستطاعوا -بالتزامهم منهج الإسلام في التحرير- أن ينتصروا على الأعداء، وأن يخلصوا الأمة الإسلامية من الكارثة، وأن يكتبوا في التاريخ لوحات النصر المبارك، تفخر به الأجيال المؤمنة على كرّ الأيام ومدى العصور.

وكانت ألسنة الشعراء صدى للمصيبة العظيمة، فتألموا، وبكوا، واستنجدوا وحثوا، وحرضوا قادة المسلمين على تحرير أرضهم المحتلة، وتطهير مقدساتهم.

وظل الشعراء يثيرون الحماس في النفوس، ويمجدون القوة، والوحدة الإسلامية، ويشيدون بالأبطال، ويحقرون شأن الأعداء المحتلين، إلى أن بدد وهج الجهاد الإسلامي ظلام الاحتلال الصليبي الحالك، فعادت البلاد التي بارك الله فيها طاهرة، زكية، آمنة وادعة. وبذلك يكون الشعراء قد قاموا بواجبهم، وأدوا دورهم.

ومن أولئك الشعراء الذين عاشوا في ضميم ذلك الصراع، وشاركوا في المعركة التي تخوضها أمتهم: شاعرنا «أحمد بن منير الطرابلسي» الذي ساهم بما يزيد على ثلثي شعره -الذي وصل إلينا- في الجهاد، محرضاً، ومستنهضاً الهمم، وواصفاً القتال وأدواته، ومفتخراً بالبطل، ومبشراً بالفتح، ومهنئاً بالنصر، ومستهزئاً بالأعداء.

لم شاعرنا أديباً، وصرف معظم وقته في البلاط النوري حتى توفاه الله،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومزاياه، هي التي دفعتني إلى أن أكتب عنه، بخاصة أنه لم يحظ من العناية والدراسة بمثل ما حظي به معاصروه من الشعراء. ومما شجعني على الكتابة أنني لم أجد -فيما وصل إليه علمي- دراسة متخصصة تناولت هذا الشاعر، لذلك، فإنني رأيت سد تلك الثغرة، والنهوض بتلك المهمة، فعقدت العزم على الكتابة بعد أن وجدت أنّ الأمر قد لاقى قبولاً واستحساناً، وتشجيعاً من شيخي وأستاذي الدكتور «عبدالجليل عبدالمهدي» الذي كنت أختلف إليه في أثناء إعطاء ندوات في مادتي «موضوع في الأدب العباسي» و «موضوع في الأدب الأيوبي والمملوكي» في أثناء مرحلة الماجستير في الجامعة الأردنية.

ومن الأهداف التي وضعتها نصب عينيّ وأنا بصدد هذه الدراسة ما يلي:

- دراسة الفترة التي عاشها الشاعر منذ ولادته «٤٧٣هـ» وحتى وفاته «٥٤٨هـ» ومدى تأثره إيّاها وأحداثها.
- محاولة تبين أهم الأغراض الشعرية التي تحدث عنها الشاعر من رثاء، وهجاء، ومديح، وشعر مذهبي، وشعر جهاد وغزل، ودراستها دراسة تحليلية نقدية.

وقد قامت خطة هذه الدراسة على دراسة النصوص من الداخل مع محاولة تطبيق المنهج التكاملي، بوصفه يمكنني من الإفادة من مختلف المناهج. كما قامت منهجية هذه الدراسة على استقراء شعر ابن منير الذي وصل إلينا، وتبين الموضوعات، والأساليب الفنية التي قام عليها شعره، ومحاولة دراسة حياته من شعره، ومن مصادر ترجمته المختلفة.

وجاء هذا البحث في تمهيد وثلاثة فصول، فقد حاولت في التمهيد أن أتعرف الأوضاع العامة لبلاد الشام زمن الحروب الصليبية، وذلك فيما يخص الأحداث الكبرى، وبعض المظاهر الاجتماعية والثقافية، إذ إن هذه الجوانب تعرّف القارئ الظروف الكلية التي مرّت بها المنطقة، ومدى تأثر الشاعر إيّاها.

وتحدثت في الفصل الأول عن حياة الشاعر. فتناولت الحديث عن اسمه ونسبه، وكنيته، وأسرته، ومولده، ورحلاته، إضافة إلى ثقافته ومذهبه، وعلاقة الشاعر بأدباء عصره، وختمت الفصل الأول بالحديث عن وفاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتناولت في الفصل الثاني موضوعات شعر ابن منير، فتحدثت عن ديوان شعره المفقود، ذاكراً أول محاولة لجمع شعر ابن منير، وهي المحاولة التي قام بها الدكتور «سعود محمود عبدالجابر» سنة ١٩٨٢م، في كتابه الموسوم بـ «شعر ابن منير الطرابلسي» ثم ما قام به الدكتور «عمر عبدالسلام تدمري» من جمع ديوان الشاعر سنة ١٩٨٦م، واستدرك فيه كثيراً على كتاب الدكتور «سعود»، ومن أجل ذلك اعتمدت على جمع الدكتور «تدمري» في هذا البحث، كما تناولت في هذا الفصل الحديث عن الفنون الشعرية التي نظم بها الشاعر من الشعر الحماسي، والشعر الوجداني، وشعر الهجاء وشعر المديح.

وكان الفصل الثالث محاولة لدراسة شعر الشاعر دراسة فنيّة، فتحدثت عن التجربة الشعرية ودورها في إغناء الشعر، وبناء القصيدة عند شاعرنا، ثم وقفت عند الحديث عن لغته الشعرية، وأسلوبه الشعري واستعماله الألوان المتعددة من الأساليب التعبيرية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنني قمت بالاتصال مع الدكتور «عمر عبدالسلام تدمري» أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية بطرابلس، فطلبت منه تزويدي بأية معلومات جدّت لديه عن ابن منير زيادة على التي تضمنها ديوانه، وقد تفضل الأستاذ تدمري مشكوراً بالرد على رسالتي، وأشار إلى أنه لا جديد لديه عما دوّن في الديوان.

وقد اعترضتني في أثناء البحث مشكلة هامّة هي: التكلفة الباهظة جداً والتي ليس بمقدوري توفيرها للحصول على نسخة من مخطوط شعر «ابن منير الطرابلسي» الموجودة في مكتبة الإمبروزيانا في إيطاليا.

أما المصادر والمراجع التي اعتمدتها هذه الدراسة، فقد تنوعت بين قديمة وحديثة ومخطوطة ومطبوعة، على أنني اعتمدت في المقام الأول على ما وصلنا من شعر ابن منير. ومن المصادر القديمة المخطوطة التي اتكأت عليها: جمهرة الإسلام ذات النشر والنظام -لابن رسلان الشيزري-، ومخطوطة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار -لابن فضل الله العمري- وأما المصادر المطبوعة فهي: تاريخ أبي يعلى المعروف بذيل تاريخ دمشق -لابن القلانسي-، وتأتي أهمية هذا المصدر من أن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي عاشها الشاعر وقريباً منها بحكم سكناه في بلاد الشام، ويضاف إلى هذا المصدر ثلاثة مصادر أساسية هي: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام للعماد الأصفهاني، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية لأبي شامة المقدسي، ومما يزيد من أهمية هذه المصادر أن عدداً كبيراً من الشعراء الذين ورد شعرهم فيها، ليس لهم دواوين مطبوعة، أو ليس لهم دواوين على الإطلاق. فضلاً عن معاصرة بعضهم لابن منير مثل العماد الأصفهاني.

ويضاف إلى هذه المصادر عدد من المصادر التي تجمع بين التاريخ والأدب، وأهمها: الكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي.

ومن المراجع الحديثة التي أفدت منها:

كتاب الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام للدكتور أحمد بدوي، والحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام لمحمد سيد كيلاني، والحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى للدكتور سعيد عاشور، وصدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني للدكتور محمود إبراهيم، والأدب في بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك للدكتور عمر موسى باشا، ومجموعة من كتب الدكتور عبدالجليل عبدالمهدي المتخصصة في شعر هذا العصر وشعرائه مثل: الحياة الأدبية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري، وبيت المقدس في أدب الحروب الصليبية وبيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، وكتاب شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام للدكتور محمد علي الهرفي.

والله تعالى أسأله أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه، فإن أصبت فبنعمة من الله وفضل، وإلا فحسبي نصيب المجتهد وأجره، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد صبحي أسعد ابو حسين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

عاش ابن منير في عصر كانت عوامل الضعف والانحلال فيه تنخر جسم الأمة الإسلامية بسبب حكام المسلمين، وتفرق كلمتهم، فقد أدى النزاع بين الفاطميين والسلاجقة إلى عدم استقرار البلاد، وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الصليبي، فجزئت البلاد إلى إمارات وممالك، فالخلافة العباسية في بغداد لا يتعدى سلطانها بغداد، إذ كان الحكم الفعلي في يد السلاطين من السلاجقة الأتراك، وبلاد الشام منقسمة على نفسها، تشكل كل مدينة وحدة سياسية مستقلة لا علاقة لها بالأخرى، ويتجاذب هذه الوحدات ولاء وانتماء للسلاجقة أو للفاطميين: فالموصل وديار بكر وديار ربيعة وحلب في يد أمير يحكمها في طاعة السلطان السلجوقي، والقدس ومعظم الساحل الشامي في أيدي ولاة في طاعة الخلافة الفاطمية. وأما دمشق، فظل يتناوبها الولاة من السلاطين السلاجقة حيناً، والولاة من الفاطميين حيناً آخر، وهناك حصون استقلت بها عائلات امتد حكمها عليها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زمناً، كحصن «شيزر»[١] الذي كان في يد «بني منقذ»[٢]، وحصن «جعبر»[٣] الذي كان في يد «بني عقيل»،[٤] وأما طرابلس، فقد كانت بيد «بني عمار»،[٥] وقد ظل الولاة والأمراء في صراع مستمر، لا يحدد مفهوم الصداقة والعداوة بينهم إلا مقدار ما في الأمر من كسب يحرزونه.

ولعل أكبر حدث في عصر ابن منير هو الزحف الصليبي على بلاد الشام،

---

(١) شيزر: وهو حصن قريب من حماة، وهو من أمنع القلاع وأحصنها. على حجر عال، له طريق منقورة في طرف الجبل وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر من خشب، وكان لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه. انظر معجم البلدان-شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ. دار صادر-بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م. المجلد الثالث مادة شيزر، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تأليف شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة ت «٦٦٥هـ» تحقيق د. محمد حلمي أحمد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م ج١ ق١ ٢٧٩.

(٢) بنو منقذ استلم بنو منقذ حكم حصن شيزر في أيام «صالح بن مرداس» صاحب حلب سنة «٤٢٠هـ» وحتى وقوع الزلزال المدمر الذي أطاح بأهل شيزر وبالأسرة الحاكمة باستثناء من كان منهم خارجها. انظر «ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر « تاريخ ابن خلدون» -عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت«٨٠٨هـ ١٣٩١هـ/١٩٧١م ج٥/١٢.

(٣) حصن جعبر: جعبر: بالفتح ثم بالسكون، وباء موجودة مفتوحة، وراء. والجعبر في اللغة الغليظ القصير، قلعة على الفرات بين بالس والرقة، وكانت قديماً تسمى دوسر. انظر معجم البلدان «مادة جعبر».

(٤) بنو عقيل: أسرة حكمت قلعة جعبر بعد جُعبر بن مالك، وكان أول أمرائها، واليهم ينسبونه. أخذها نور الدين زنكي من آخر حكامهم «سالم بن مالك العقيلي» ثم انتقلت الى بني أيوب انظر معجم البلدان ، مادة عقيل.

(٥) بنو عمار: ينحدر بنو عمار في الأصل من قبيلة كتامه المغربية الإفريقية، وقد اعتنقت المذهب الشيعي وعندما قامت الدولة الفاطمية في المغرب. تولى شيخ هذه القبيلة «أمين الدولة» أبو محمد الحسن بن عمار بن ابي الحسين». وهو الذي فتح الطريق لأبناء قبيلته لينتقلوا إلى الشام. =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي أعقبه سقوط أجزاء كبيرة في قبضة الصليبيين، وفي مقدمتها بيت المقدس.

وبعد أن ألقى أوربان الثاني خطبته، وهو من أسرة يهودية إيطالية تظاهر بالمسيحية،[١] سارت الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[٢] وتبعتها حملات أخرى. ٤٤٥٢٢٢

وفي سنة «٤٩٠هـ» أخذ الفرنج نيقية [٣]، وهي أول بلد أخذوها من المسلمين،

= وبُعد «ابو طالب عبدالله بن حمد بن عمار» أول حكام بني عمار في طرابلس وظل بنو عمار في الحكم من سنة ٤٠٤هـ-وحتى سقوطها بيد الفرنج «٥٠٢هـ» انظر: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور د.عمر عبد السلام تدمري. الإيمان للنشر والتوزيع طرابلس، الطبعة الثانية ١٩٨٤م ج١/٣٣٧-٣٥٣.

(١) انظر «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين. محمد بن علي المغربي الحريري تحقيق د. سهيل زكار، مكتبة دار الملاح سوريا ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٢٧.

(٢) انظر: البداية والنهاية-لأبي الفداء بن كثير ت «٧٧٤هـ» دقق اصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم د.على نجيب عطوي، الاستاذ فؤاد السيد، الاستاذ مهدي ناصر الدين، الاستاذ علي عبد الساتر. دار الكتب العلمية، بيروت ج١٢/ص١٦٦، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة-جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت «٨٧٤هـ»، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية ج٥/١٤٦.

(٣) نِيقية: بكسر أوله وسكون ثانيه، وكسر القاف وياء خفيفة، مدينة من أعمال اسطنبول على البر الشرقي. انظر معجم البلدان ج٥/٣٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم حصن الدروب والبارة[١]، وجبل السماق[٢]، وأفامية[٣]، وكفر طاب[٤]، ونواحيها، وفي سنة «٤٩١هـ» سقطت أنطاكية[٥] بأيديهم بعد حصار دام تسعة أشهر، ثم تلتها معرّة النعمان[٦]، وقد قتلوا من أهلها مائة ألف إنسان وسبوا مثلهم.[٧]

ثم توجه الصليبيون سنة «٤٩٢هـ» إلى هدفهم الأكبر «بيت المقدس» فحصروا المدينة المقدسة أربعين يوماً إلى أن تمكنوا من احتلالها في الثالث والعشرين من شعبان، وأعملوا فيها القتل، والسلب، ونهبوا الكثير من النفائس من الصخرة المشرفة.[٨]

وقد حفظت لنا كتب التاريخ هول المذبحة التي اقترفها الصليبيون عند احتلال «بيت المقدس» قال ابن الأثير ت «٦٣٠ هـ»: «وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين... وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم، وزهادهم..»[٩] وذكر صاحب كتاب «أعمال الفرنجة» في وصف المذبحة، وهو شاهد

---

(١) البارة: بلدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن، وهي ذات بابين ويسمونها زاوية البارة. انظر معجم البلدان مادة «بارين»

(٢) جبل السماق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة، وقرى وقلاع انظر معجم البلدان «مادة جبل»

(٣) أفامية: مدينة حصينة من سواحل الشام، وكورة من كور حمص. انظر معجم البلدان مادة (أفامية).

(٤) كفر طاب: بلدة بين المعرة، ومدينة حلب. انظر معجم البلدان مادة «كفر طاب».

(٥) انظر: الكامل في التاريخ-لأبي الحسن بن أبي المكارم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد راجعه وصححه د. محمد يوسف نجم دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ج٩/١٣.

(٦) معرّة النعمان: هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة، من أعمال حمص، بين حلب وحماه. انظر معجم البلدان مادة «معرّة».

(٧) انظر: الكامل في التاريخ ج٩/١٦.

(٨) انظر: البداية والنهاية. ج١٢/١٦٦، النجوم الزاهرة ج٥/١٤٦.

(٩) انظر/الكامل في التاريخ ج٩/١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عيان، وممن شارك في الأحداث يقول:«تقدم واحد من فرساننا واسمه «ليتو» واعتلى سور المدينة، وما كاد يرتقيه حتى هرب جميع المدافعين عنها من الأسوار إلى داخلها فتعقبهم رجالنا، وأخذوا في مطاردتهم معملين فيهم القتل والتذبيح حتى بلغوا هيكل «سليمان» حيث جرت مذبحة هائلة، فكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى... فلما ولج حجاجنا المدينة جدوا في قتل المسلمين ومطاردتهم حتى قبة عمر حيث تجمعوا، واستسلموا لرجالنا الذين أعملوا فيهم أعظم القتل طيلة اليوم بأكمله، حتى لقد فاض المعبد كله بدمائهم... وفي صباح اليوم التالي، تسلق رجالنا سطح الهيكل، وهجموا على المسلمين رجالاً ونساءً، واستلوا سيوفهم، وراحوا يعملون فيهم القتل... وصدر الأمر بطرح كافة موتى المسلمين خارج البلدة لشدة النتن المتصاعد من جيفهم، ولأن المدينة كادت أن تكون بأجمعها مملوءة بجثثهم، فقام المسلمون الذين قيضت لهم الحياة بسحب القتلى خارج بيت المقدس... وتعالت أكوامهم حتى حاذت البيوت ارتفاعاً، وما تأتى لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحة كهذه المذبحة التي المت بالشعب المسلم [١]».

ثم استولى الصليبيون على عكا وطرابلس، وصيدا ثم على صور سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، فظلت البلاد تئن لما أصابها من ذلة وهوان على أيدي الصليبيين، إلى أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية، وهي مرحلة المقاومة والتصدي وقد قاد هذه المرحلة «عماد الدين زنكي» الذي أدرك أن الداء الذي استشرى في الأمة إنما هو تفرق البلدان الإسلامية المجاورة لحملة الصليب شيعاً ودولاً. فصمم على أن يجمع قوتها وكلمتها تحت لوائه، فأخذ يقارع الصليبيين وينازلهم، إلى أن دانت له الموصل، والجزيرة، وحلب، حتى أصبح خطراً يهدد

---

(١) انظر أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس -مؤلف مجهول، ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور: حسن حبش. دار الفكر العربي ١٩٥٨ مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة ص ١١٨-١٢٠، «الإعلام والتنبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين» محمد بن علي المغربي الحريري. تحقيق د. سهيل زكار-مكتبة دار الملاح سوريا ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصليبيين في ممتلكاتهم، وكان استيلاؤه على الرّها سنة «٥٣٩هـ/١١٤٤م»[١] بمثابة ضربة أصابت الصليبيين. ثم حمل اللواء بعده ابنه «نور الدين زنكي» سنة «٥٤١هـ».

وقدمت الحملة الصليبية الثانية سنة «٥٤٢هـ»/١١٤٧م بقيادة الإمبراطور «كونراد الثالث» «إمبراطور ألمانيا» و«لويس السابع» ملك فرنسا[٢]، وكان هدف هذه الحملة استرداد الرها، إلا أن الفشل كان حليفها.

ومنْ أهم الأسباب التي أدت إلى فشل الحملة الصليبية الثانية هي: وحدة المسلمين وقوّة الصف الإسلامي، فقد قيض الله لأمة الإسلام في بلاد الشام «عماد الدين زنكي» الذي عمل على وحدة الصف الإسلامي، وأحيا في الأمة روح الجهاد، وحال دون تحقيق مخططات الصليبيين في النيل من ديار الإسلام إلى أن توفاه الله، وفي ذلك قال ابن منير الطرابلسي يمدح عماد الدين زنكي بُعَيْد فتح الرها.

أيَا مَلكاً أَلْقَى عَلى الشِّرْكِ كَلْكَلاً ... أُناخَ عَلى أمَّاتِهِ كَلْكَلَ الثكْلِ
جَمَعْتَ إلى فتحِ الرُّها سَدَّ بابِهِ ... بَجمْعك بين النَّهْبِ والأسْرِ والقَتْلِ[٣]

وجاء ابنه «نور الدين زنكي» من بعده، فسار على طريقة أبيه، إلى أن علت هيبته، وامتد سلطانه، فهابته الفرنج. وظل يجاهد ويحرر القلاع والحصون، وكلما انتهى من موقعة انطلق إلى أخرى، وشغله الشاغل هو استعادة بيت المقدس، إلى أن أتاه أمر الله الذي لا يُرد، وهكذا، فإن الأحداث الجارية في هذا العصر كان لها أثرها في الشعر، وقد اشترك شاعرنا في هذه المرحلة مجاهداً بسيفه وقلمه، فنظم

(١) انظر/تاريخ أبي يعلى حمزة بن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق. مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م، ص ٢٧٩، الكامل في التاريخ ج٩/٣٣١.

(٢) انظر: الحركة الصليبية ج٢/٦٠٦-٦٠٩.

(٣) ديوان ابن منير الطرابلس صححه وقدم له الدكتور «عمر عبد السلام تدمري» دار الجيل بيروت مكتبة السائح طرابلس الطبعة الأولى ١٩٨٦ ص. ١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصائد في الجهاد تعد من روائع شعر الجهاد في ذلك العصر [١].

* * *

وتتأثر الحياة الاجتماعية لأي مجتمع بالحالة السياسية لذلك المجتمع، فكلما كان الوضع السياسي مستقراً كان الوضع الاجتماعي لأفراد المجتمع مزدهراً، تكتنفه وشائج المحبة والإخاء، ومن العرض الآنف للحياة السياسية في عصر ابن منير، وما اعتورها من اضطراب وخلل، فقد تعددت الصور الاجتماعية في بلاد الشام بتعدد أنظمة الحكم التي تسيطر على المدن والأقاليم الشامية، فمن المدن ما كان تحت سيطرة السلاجقة الأتراك، أصحاب المذهب السني، ومن المدن ماكان تحت سيطرة الفاطميين أصحاب المذهب الشيعي، ومنها ما كان تحت سيطرة بعض العائلات العربية من أهل البلاد الأصلاء. ومن المدن ما كان تحت سيطرة الفرنجة، كل ذلك ساعد على تلون الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، إلا أن هنالك قواسم مشتركة رسمت لنا الصورة العامة للحالة الاجتماعية في ذلك العصر.

وشهد عصر ابن منير تنوعاً في المذاهب الدينية للأنظمة السياسية الحاكمة في بلاد الشام، فمن ذلك:

أ- المذهب السُّنّيّ: «وهم أهل السنة والجماعة» من السلاجقة الأتراك والعرب من أهل البلاد، فقد تمكن السلاجقة من دخول بغداد سنة «٤٤٩هـ»[٢] بقيادة السلطان «طغرلبك»، وأصبح الخليفة العباسي تحت سيطرتهم، ثم امتد سلطانهم ليصل بلاد الشام، فسار السلطان «ألب أرسلان» بعساكره إلى الشام سنة «٤٦٣هـ» متجهاً إلى حلب، ثم تسلم دمشق سنة «٤٦٨هـ» وظلت البلاد الشامية بأيديهم زهاء عشرين سنة، وانتهت بمقتل تاج الدولة تُتُش» سنة «٤٨٨هـ» في أثناء الحرب التي

---

(١) نظم ابن منير الطرابلس ما يزيد على (١٢٠٠) بيت من الشعر في الجهاد. انظر الديوان من صفحة ١٨٧-٢٧١.

(٢) انظر مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. شمس الدين المظفر يوسف قزاوغلي التركي، المشهور بـ«سبط ابن الجوزي. ت «٦٥٤هـ» مطبعة حمص. دائرة المعارف العثمانية -حيدر أباد الدكن الهند الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ/١٩٥١م ج٨/١٦-١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دارت بينه وبين أخيه السلطان «بروكياروق» فضعفت دولتهم، وتنازعوا فيما بينهم، وغلب على أمورهم الأتابكة والأمراء، وظل النزاع قائماً بينهم وبين الفاطميين، مما أضعف الجبهة الإسلامية في بلاد الشام أمام الزحف الصليبي، ولا بد من القول إن السلاجقة دافعوا عن بلاد الشام قرابة عشرين عاماً، بل إنهم طردوا الروم البيزنطيين الذي استولوا على أنطاكية وحكموها من «٣٥٨هـ» إلى «٤٧٧هـ»، إذ شرع «سليمان بن قتلمش السلجوقي» صاحب قونية [١] في المسير من بلاد الروم إلى بلاد الشام، فاستولى على أنطاكية سنة «٤٧٧هـ»-١٠٨٥م[٢]، وظل السلاجقة في بلاد الشام بمنزلة الشوكة في حلق الفرنج، فلم يتيحوا لهم تحقيق أطماعهم في احتلالها، إلا أن الصليبيين تمكنوا من أخذ أجزاء متفرقة من بلاد الشام إلى أن تصدى لهم آل زَنَكي الذين جددوا عهد الفتوحات، وأحيوا في الناس روح الجهاد، وحب الاستشهاد، فكان عصرهم عصر حروب وانتصارات.

ومن صور العدل أن «نور الدين زنكي» بنى دار العدل بدمشق، وسماها «دار الكشف»، وسببه أن الأمراء لما قدموا دمشق اقتنوا الأملاك، واستطالوا على الناس خصوصاً «أسد الدين شيركوه»[٣] فكثرت الشكاوى إلى القاضي، فأخبر القاضي الملك العادل نور الدين، وكان يجلس في الدار في كل أسبوع أربعة أيام أو خمسة، ويحضر عنده العلماء والفقهاء، ويأمر بإزالة الحُجَّاب والبوَّابِينَ، ويوصل

---

(١) قونيّة: بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء مثنّاة من تحت خفيفة. من أعظم مدن الإسلام بالروم. انظر معجم البلدان مادة «قونيّة».

(٢) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص١١٧، زبدة الحلب في تاريخ حلب لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت «٦٣٠هـ». راجعه وصححه د. سامي الدهان. المعهد الفرنسي بدمشق المطبعة الكاثوليكية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ج٢/٨٦، ٨٧.

(٣) «أسد الدين شيركوه»: أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب بالملك المنصور. عم السلطان صلاح الدين. كان مقرباً من الملك العادل نور الدين زنكي. توفي سنة «٥٦٤هـ» ودفن بالقاهرة، ثم نقل إلى المدينة المنورة انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-لأبي العباس محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صدر-بيروت ١٩٧٠م ج٢/٤٧٩، ٤٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليه الشيخ الضعيف، والعجوز الكبيرة، ويسأل الفقهاء عما أشكل عليه. فأحضر أسد الدين شيركوه أصحابه وديوانه، وقال: «إن نور الدين ما بنى هذه الدار إلا بسببي وحدي، والله لئن أُحضرت لدار العدل بسبب واحد منكم لأصلبنه، فإن كان بينكم وبين أحد منازعة، فأرضوه بهما أمكن،ولو أتى على جميع ما في يدي، فإن خروج أملاكي من يدي أهون عليَّ من أن يراني نور الدين بعين ظالم، ويسوي بيني وبين آحاد العوام، ففعلوا، وأرضوا الخصوم، فجلس نور الدين في دار العدل، وقال للقاضي ما أرى أحداً يشكو من شيركوه، فأخبره الخبر، فسجد وقال: الحمد لله الذي جعل أصحابنا ينصفون من نفوسهم قبل حضورهم عندنا[١]».

ولدى استعراض ما قاله ابن منير من شعر في نور الدين زنكي، نلاحظ أن شاعرنا قد ركز على العدل، وعرض له في غير موضع، فمن ذلك قوله مخاطباً نور الدين:

أُولَسْتَ مَنْ مَلأَ البَسيطَةَ عَدْلُهُ ... واجْتَبَّ بالْمَعْرُوفِ أُنْفَ الْمُنْكَرِ[٢]

ويقول:

غدَا الدِّينُ باسْمكَ سَامِي العَلم ... أَمِين العمادِ مَكِينَ القَدَمْ
لذَلكَ لُقِّبْتَ نُوراً لَهُ ... وَقَدْ أُغْطَشَ الظُّلْمُ مِنْهُ الظُّلَمْ
أَضَاءَتْ بِعَدْلِكَ آفَاقَهُ ... وفُضَّتْ عُرَى الدِّينِ لَمَّا ادْلَهَمّ[٣]

ب- المذهب الشيعي: سيطر الفاطميون أصحاب المذهب الشيعي على بلاد الشام نحو قرن من الزمان[٤]، وخلفوا وراءهم صوراً قاتمة للحياة الاجتماعية بسبب فساد

---

(١) «كتاب» الروضتين ج١ق١/١٧-١٩، انظر مرآة الزمان ج٨/٣٠٩

(٢) الديوان: ٢٢٩

(٣) نفسه: ٢٥٨

(٤) كان استيلاء الفاطميين على الشام سنة ٣٥٩هـ ثم أخرجوا منها سنة ٤٦٨هـ في عهد السلطان ملك شاه. انظر ذيل تاريخ دمشق ص١٠٨، ١٠٩، تاريخ ابن خلدون ج٥/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذهب وسوء المعتقد [١]، وبسبب الخلاف مع السلاجقة أصحاب المذهب السنيّ، لذلك، وقف الفاطميون من الحملة الصليبية على بلاد الشام موقف المتخاذل غير المكترث، بل إنهم رحبوا بها لأنهم وجدوا فيها عوناً على السلاجقة، فقد قيل: إنهم بعثوا رسلهم إلى زعماء الصليبيين وقادتهم في أنطاكية. ظناً منهم أنه بعدم التصدي للصليبيين، إنما يصرفون نظرهم عن الدخول إلى مصر[٢]، ولم تكن وحدة المذهب عندهم عاملاً في التقريب بينهم وبين بعض أنظمة الحكم في بلاد الشام آنذاك، وإنما كانت المصالح الذاتية هي التي تُملي الاتجاه السياسي في دولتهم. وخير شاهد على ذلك،تقاعسهم عن نجدة طرابلس عندما حاصرها الصليبيون، رغم أن نظام الحكم آنذاك شيعي يقوده بنو عمار، وظل أهل طرابلس يستغيثون الديار المصرية، ويستنجدون خليفتها والخليفة في سبات عميق، إلى أن داهمتهم خيول الفرنج، وأخذوا أموال المدينة وذخائرها [٣]، وكان ذلك سنة «٥٠٢هـ»[٤].

ومما تحسن الإشارة إليه أن الشيعة أحيوا بعض الأعياد والمناسبات التي وجدت لدى الفرس ولم يقرها الإسلام، فمن ذلك عيد الغدير، وعيد المهرجان، وعيد

---

(١) انظر: الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية. د. محب الدين الخطيب. مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٨٠هـ من صفحة ٨-٣٨.

(٢) انظر: خطط الشام-محمد كرد علي. المجمع العلمي العربي السوري ١٩٢٦ ج١/٣٠٧

(٣) انظر : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. لابن شداد عز الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي ت «٦٨٤» تحقيق د.سامي الدهان. قسم تاريخ لبنان والأردن وفلسطين طبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية/دمشق ١٩٦٢م. ١١١.، النجوم الزاهرة ج٥/ ١٨٠. ٤٩٦.

(٤) ذكر ابن الأثير في الكامل:أن سقوط طرابلس كان سنة «٥٠٣هـ» انظر ج٩/١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النوروز، وعيد السذق أو الصدق [١].

فعيد الغدير عندهم بمنزلة إحياء ذكرى الخطبة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في الثامن عشر من ذي الحجة سنة «١١هـ» في الموضع المسمى «غدير خُمٌ» بين مكة والمدينة في أثناء عودته من حجة الوداع، التي ذكر أنه قال فيها بعد أن أخذ بيد علي بن أبي طالب «رضي الله عنه»: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالو: بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» لذلك، كانوا يحيون ليلته بالصلاه، ويشعلون النيران، ويلبسون الملابس الجديدة وينصبون القباب، وينحرون الذبائح، ويعتقون الرّقاب، ويزورون مقابر الأولياء [٢].

ويحسن بي أن أُشير إلى أن عدداً ممن كان يقيم في البلاد الشامية قبل الزحف الصليبي على بلاد الشام كان نصرانياً، وبالإضافة إلى ذلك من استوطن من النصارى بعد الزحف والاحتلال، وقد كان لهؤلاء النصارى عادات، وطباع، وأعياد، ومناسبات دينية صبغت الحياة الاجتماعية في جزء من بلاد الشام بلون خاص، فمن

---

(١) عيد المهرجان: يصادف في السادس والعشرين من شهر تشرين الأول، ويحلوله يكون ايذاناً ببدء الانقلاب الشتوي، وقالوا هو بداية النهاية للكون، فيه تقوم القيامة. وعيد النيروز: معناه اليوم الجديد، يحل عند الانقلاب الصيفي، وذلك مع بدء الربيع من كل سنة جديدة، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار. قالوا فيه يوزع الله السماوات على أهل الأرض. يوم السذق: «الصدق» وهو من أعياد الفرس القديمة ويسمى بـ«لية الوقود» ويصادف ليلة الميلاد. وهو يوم الخير، ويوم الصدق فيه تزال الأمراض والعلل -هذا حسب زعمهم-. انظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية -لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي. دار صادر ص٣١٥-٣٧٥.، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ «خطط المقريزية»-تقي الدين أبي العباس أحمد بن على المقريزي ت«٨٤٥هـ» مكتبة المثنى بغداد ج١/ ٤٩٠-٤٩٤. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري د. آدم ميتز ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريده. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م/ ج٢/٢٧٦-٢٩٦.

(٢) أنظر: النجوم الزاهرة ج٤/ ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعيادهم «أعياد الصوم الكبير»[١]، وغالباً ما تقام هذه الأعياد في الأديرة أوباحات الأديرة، ويدعى لها الناس من النصارى والمسلمين. ومن الصور الاجتماعية عن الفرنج ما كان غريباً ومستهجناً عند المسلمين، فقد أفرد «أسامة بن منقذ» فصلاً للحديث عن طبائع الفرنج وأخلاقهم في كتابه «الاعتبار»،ومما جاء فيه «وليس عندهم شيء من النخوة، والعزة. يكون الرجل يمشي هو وامرأته، يلقاه رجل آخر، يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طوّلت عليه خلاها مع المتحدث ومضى»[٢] ثم يقول: «ومما شاهدت من ذلك أني كنت إذا جئت إلى نابلس، أنزل في دار رجل يقال له: «معز» داره عمارة المسلمين، لها طاقات تفتح إلى الطريق، ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار رجل إفرنجي، يبيع الخمر للتجار، ويأخذ في قنينته من النبيذ، وينادي عليه ويقول: فلان التاجر قد فتح بتيّة من هذا الخمر، من أراد منها شيئاً فهو في موضع كذا وكذا، وأجرته عند ندائه النبيذ الذي في تلك القنينة، فجاء يوماً، ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش، فقال له: أي شيء أدخلك عند امرأتي؟ قال: كنت تعبان، دخلت أستريح. قال: فكيف دخلت إلى فراشي، قال: وجدت فراشاً مفروشاً، نمت فيه. قال: والمرأة نائمة معك؟ قال: الفراش لها، كنت أقدر أمنعها من فراشها.

قال: وحق ديني إن عُدْتِ فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت، فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته».[٣]

- وسائل التسلية: من المظاهر الاجتماعية ما يلي:

أ- الصيد: وهو وسيلة من وسائل التسلية، وقد كان عند الخاصة أكثر منه عند العامة. وقد أفرد له أسامة بن منقذ فصلاً في كتاب «الاعتبار»، ومما جاء فيه: «ورأيته -يعني عماد الدين زنكي- وهو في صيد الوحش دفعات، إذا اجتمعت

---

(١) الصوم الكبير: يسمونه السعانين أو الشعانين، ويقع في ثمانية وأربعين يوماً، ويتبعه عيد القيامة أو العيد الكبير. انظر الآثار الباقية للبيروني ص٣٠٣.

(٢) الاعتبار أسامة بن منقذ مؤيد الدولة أبو المظفر ت «٥٨٤هـ». فيليب حتى. الدار المتحدة للنشر والتوزيع بيروت ١٩٨١. ص١٧٤.

(٣) نفسه: ص١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلقة، واجتمع فيها الوحش لا يقدر أحد يدخل الحلقة، وإذا خرج من الوحش شيء رموه، وكان من أرمى الناس، فكان إذا دنا منه الغزال رماه، فنراه كأنه قد عثر فيقع ويذبح».[١]

ب- الغناء، والموسيقى، والخمر: كان للغناء وما يصاحبه من آلات العزف والطرب في عصر ابن منير شيوع، وذيوع، وغالباً ما كان يرافقه تعاطي الخمر، واقتراف الفسق، إلى أن جاء الملك العادل «نور الدين» فمنع ذلك كله. قال «أبو شامة المقدسي» في معرض حديثه عن الملك العادل «نور الدين»«ومنع شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده، ومن إدخالها إلى بلد ما، وكان يحد شاربها الحد الشرعي، كل الناس عنده فيه سواء».[٢]

جـ- الألعاب الرياضية: منها ما كان رياضة للبدن كلعبة «الكرة» وهي ما تعرف بـ«الصولجة» وفي زماننا بلعبة «البولو» وقد كان نور الدين زنكي مغرماً بها، وفي ذلك يقول أبو شامة المقدسي:« واستخص نور الدين، صلاح الدين، وألحقه بخواصه، فكان لا يفارقه في سفر، ولا حضر وكان يفوق الناس جميعاً في لعب الكرة، وكان نور الدين يحب لعب الكرة»[٣] ومن الألعاب الرياضية ما كان رياضة للذهن كلعبة «الشطرنج» حيث كانت منتشرة على نطاق واسع آنذاك[٤].

- ومن المظاهر الاجتماعية اللافتة «الشذوذ الجنسي» وهو ما يعرف بالغزل بالغلمان، فقد شهد هذا العصر انتشاراً كبيراً لهذه الظاهرة، ولهذا البلاء العظيم[٥]. ويكاد الغزل الغلامي في هذه المرحلة، وقبلها يطغى على الغزل بالمؤنث، ولم يقتصر

---

(١) الاعتبار ٢٤٨. انظر الحضارة الإسلامية -آدم متيز ج٢/٢٥٧-٢٥٩.

(٢) الروضتين ج١ ق١/١١.

(٣) نفسه ج١ ق١/٢٥٢. انظر البداية والنهاية ج١٢/٢٣٣، مرآة الزمان ج٨/٣٠٩.

(٤) انظر: رحلة ابن جبير -لأبي الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ت ٦١٤ هـ. دار صادر ١٣٧٩هـ/١٩٥٩ ٢٢٤، الحضارة الإسلامية ج٢/٢٥١، ٢٥٢.

(٥) انظر: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام. محمد سيد كيلاني. دار الكتب المصرية ١٩٤٩ ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلعاء من الشعراء على هذا اللون من الشعر، أو الممارسة الخسيسة، بل إننا كثيراً ما نطالع في هذه الفترة: قال الشيخ... في غلام له ؛ وللفقيه... أبيات يتغزل فيها بغلام له، و ما قاله الوزير... في غلامه.

وقد عدّ الإسلام هذه الفعلة من أكبر الجرائم، وهي من الفواحش المفسدة للخلق والفطرة والدنيا، ناهيك عن الأضرار الصحية التي تخلفها على طرفي الجريمة، لذلك، عاقب الإسلام عليها بأقصى العقوبة.

وقد تصدى كثير من الكتاب آنذاك لمحاربة هذا الشذوذ، وشنوا الحملة على أنصاره، والداعين إليه، ومن هؤلاء الكتاب ابن قيم الجوزية الذي أعلنها حرباً ضارية على عشاق الغلمان. يقول: «.... وقد آل الأمر بكثير من هؤلاء إلى ترجيح وطء، المردان على نكاح النسوان...» ثم يقول : «...فإن جرمه عنده -يعني أبا حنيفة-وعند جميع أهل الإسلام أعظم من جرم الزنا، ولهذا عاقب الله -سبحانه- أهله بما لم يعاقب به أمة من الأمم، وجمع عليهم أنواع العذاب، مالم يجمعه على غيرهم»[١] وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه قال: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[٢].

ولعل السبب في انتشار هذا اللون من الشعر في عصر الحروب الصليبية، يعود لأسباب ذكر بعضها من كتب في أدب هذا العصر[٣]، ولا بأس من ذكر بعضها، فمن ذلك:

* كثرة الغلمان والسقاة، وبخاصة من أبناء غير العرب من الترك والأكراد،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان- لابي عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية ت«٧٥١هـ» مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده-مصر ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م. تحقيق محمد حامد الفقي ج٢/١٤٢-١٤٩.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه أحمد ١/٣٠٠، أبو داوود «٤٤٦٢، ٤٤٦٤»، والترمذي ١٤٥٦، وابن ماجه «٢٥٦١، ٢٥٦٤» من حديث ابن عباس.

(٣) انظر: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي. محمد سيد كيلاني ص ٣٩-٤١، حول الأدب في العصر السلجوقي. د. محمد التونجي مكتبة قوريبنا، بنغازي، الطبعة الأولى ١٩٧٤م ص٢١٥-٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرومان والفرس الذين امتازوا بجمال مفرط.

* التأثر ببعض المسلمين ممن هم حديثو عهد بإسلام، الذين ينحدرون من أصول غير عربية، كالفارسية مثلاً، فقد كان هذا اللون من الشعر منتشراً لديهم، ونقلوا ذلك إلى غيرهم، إلى أن تجرأ الخاصة والعامة على ذلك.

هذهُ هي صور اجتماعية للمحيط القلق الذي نجم عن السياسة المضطربة، وهي البيئة التي عاش فيها ر الدراسة.

وبالرغم من الاضطراب السياسي*الذي*شهده*عصر ابن منير، وما واكبه من أحداث جسام أسفرت عن سقوط دول، ونهوض أخرى على أثرها، وزوال ملك عن قوم ليحل في آخرين، وانهيار سيطرة مذاهب دينية ليقوم سلطان مذاهب أخرى تأخذ مكانها، فإن الحركة الأدبية ظلّت قوية متماسكة، تنهل من معين العصر الذهبي، وترتسم خطاه، ولعل هذا الاضطراب السياسي، وهذه الأحداث العنيفة قد ساهمت بشكل أو بآخر في دفع عجلة الأدب نحو الرقي والازدهار، حيث شكلت الأحداث السياسية مادة خصبة للأدباء والشعراء، وأثارت انفعالاتهم، وعواطفهم، فأجادوا القول، وأسهبوا فيه.

وقد تعددت المراكز الأدبية في ذلك العصر، بتعدد مراكز الحكم، ضمن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، مما أدى إلى تنافس الأمراء والسلاطين من أجل اجتلاب مشاهير الأدباء والشعراء كل إلى بلاطه. يقول «أحمد أمين» في معرض حديثه عن أثر استقلال الدول والإمارات عن الخلافة الإسلامية، على الأدب العربي: «...فلما استقلت الأقطار، أصبحت عاصمة كل قطر مركزاً هاماً لحركة علمية، وأدبية، فأمراء القطر يعطون عطاء خلفاء بغداد، ويُحَلُّونَ عاصمتهم بالعلماء والأدباء، ويفاخرون أمراء الأقطار الأخرى في الثروة العلمية، والأدبية، كما يتفاخرون بعظمة الجند، وعظمة المباني، فبدل أن كان للعلم والآداب مركز واحد هام، أصبح له مراكز هامة متعددة»[1] فظهرت الحواضر الأدبية والعلمية [2]، يؤمها

(١) ظهر الإسلام«أحمد أمين. مكتبة النهضة المصرية القاهرة. الطبع الثالثة ١٩٦٢، ص٩٤، ٩٥.

(٢) انظر: الحياة الأدبية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري. د.عبد الجليل عبد المهدي. مكتبة الأقصى/عمان انظر الصفحات من ١٤ إلى ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعراء والأدباء والعلماء، ويختلف إليها طلبة العلم من أرجاء المعمورة للدراسة، والبحث.

وقد نشطت الحركة الأدبية في عهد الدولة الأتابكية، وزخر بلاطها بالعلماء، والشعراء والأدباء، كما نشطت حركة التأليف في هذه الفترة، واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم، فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية، والعلمية، والأدبية، وغيرها [١] ولعل وجود المسجد الجامع [٢] وما يزخر به من حلقات العلم والدرس، بحيث وجد عند كل سارية من سواريه معلّم يعلّم الصبيان [٣] -كان سبباً في إغناء الحركة الأدبية، والعلمية في دمشق آنذاك.

ومن الحواضر العلمية والأدبية، مدينة طرابلس، التي غدت حاضرة الشام على عهد أسرة بني عمار. فقد أقام «أمين الدولة ابن عمار» [٤] فيها دار علم جمع في مكتبتها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً [٥] وقد ذهب «محمد كرد علي» إلى أن دار الحكمة التي وجدت في طرابلس كانت قبل بني عمار، يدلل عى ذلك بقوله: «إن بني عمار لم يستولوا على طرابلس إلا بعد الأربعين وأربعماية» [٦]. وقد أسهم

---

(١) انظر: الروضتين ج١ق١/ ٢٠٠ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي د. حسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٥ ج٤/٤٣٢.

(٢) المسجد الجامع: هو المسجد الأموي، بناه عبد الملك بن مروان، ويقال إن أول من وضع جداره القبلي النبي هود عليه السلام. انظر: رحلة ابن جبير ص٢٣٦. تاريخ دمشق للإمام الحافظ ابي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر ت «٥٧١هـ» تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي/ دمشق ج٢ ص٨١.

(٣) انظر: رحلة ابن جبير ص٢٤٤.

(٤) أمين الدولة: هو أبو طالب عبدالله بن محمد بن عمار. أول من حكم من بني عمار وقد تولى الحكم من سنة «٤٤٠-٤٦٤هـ» انظر تاريخ طرابلس السياسي د. تدمري ص ٣٤٥-٣٥٢.

(٥) انظر: الأعلاق الخطيرة ج٢/١٠٧« قسم الأردن ولبنان وفلسطين». انظر تاريخ طرابلس السياسي ص٢٥٥ ٢٥٦.

(٦) خطط الشام-محمد كردعلي ج٦/١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصنع الورق الموجود في المدينة في إثراء المكتبات بما تحتاجه من كميات الورق الوفيرة، فكان لذلك أثر على حركة التأليف والكتابة والترجمة والنسخ، التي نشطت في طرابلس خلال هذه الفترة. فكثر فيها الوراقون، والنَساخَة، والكُتّاب، والمؤلفون، والمجلدون [١]. ومما يجدر الإشارة إليه: أنه في سنة «٤٧٢هـ» قام جلال الملك بن عمار [٢] بإعادة بناء وتجديد دار العلم، أي قبل عام واحد من ولادة شاعرنا ابن منير الطرابلسي [٣].

ومن الحواضر العلمية والأدبية مدينة حلب، فقد ذكر ابن جبير «أن بها نحو أربع مدارس أو خمس [٤]» ساهمت في تنشيط الحركة الأدبية آنذاك. ويوجد بها خزانة كتب عُدَّت من أشهر خزائن الملوك والأمراء في القرن السادس والسابع الهجريين، وهي الخزانة التي وقفها «نور الدين محمود زنكي» على مدرسته [٥]، كما كان بها خزانة كتب مهمة اسمها «خزانة الصوفية» ظلت عامرة إلى القرن السابع يؤمها طلبة العلم [٦].

ومن الحواضر العلمية والأدبية مدينة القدس إذ كانت القدس قبل الاحتلال الصليبي تتبع الخلافة الفاطمية في مصر، وقد عمد الفاطميون إلى إنشاء المعاهد، ودور العلم، بغية نشر مذهبهم، فقد أنشأوا فيها داراً للعلم على غرار دار العلم الموجودة بالقاهرة، وكانت تعقد فيها المجالس الكثيرة الى أن غدت مركزاً يعج

---

(١) انظر نفسه ج٦/١٩٢. الحياة الثقافية في طرابلس ص٢٥.

(٢) جلال الملك بن عمار: هو علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمار، أبو الحسن، ت ٤٩٢هـ. حكم ما بين ٤٦٤-٤٩٢هـ. استلم الحكم من أمين الدولة ابن عمار. انظر تاريخ طرابلسي السياسي ص٣٤٩.

(٣) انظر ديوان ابن منير الطرابلسي ص١١.

(٤) رحلة ابن جبير ص٢٨٨.

(٥) انظر: خطط الشام ج٦/١٩٢

(٦) انظر خطط الشام ج٦/١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنشاط الفكري[١]. ومن المدارس العلمية في بيت المقدس «المدرسة أو الزاوية النصرية» أو«الغزالية» وتنسب إلى الشيخ «أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي» كما تُنسب إلى الإمام «أبي حامد الغزاليّ، وظلت القدس محط الأنظار، وقبلة الزائرين، والعلماء، فقد أمّها خلق كثير من العلماء، والأدباء قبل الاحتلال الصليبي لهاثم ركدت الحركة الفكرية والأدبية في بيت المقدس في ظل الاحتلال الصليبي لها، وعادت إلى الوراء بسبب جهل الصليبيين، وعدم اهتمامهم بالعلم، وفي ذلك يقول«أنتوني دبست»، «...وعندما وصل الصليبيون الغلاظ إلى بلاد الشام، وجدوا أنفسهم أمام حضارة إسلامية ذات إشعاع عظيم فبهرهم هذا الإشعاع، ولمسوا التفوق السياسي والتنظيم الاجتماعي عند العرب، فقد كانت الحروب الصليبية كما يصفها مؤرخ معاصر، تمثل هجوم جماعات جاهلة على عالم متحضر متمدن[٢]». ولم يقتصر الأمر على الدّمار والخراب، والقتل والتشريد الذي أحدثه الصليبيون في بيت المقدس فحسب، بل امتدت إلى المكتبات ودور العلم فأعملوا فيها الحرق والإتلاف، فأحرقوا دار العلم وما يتصل بها من مدارس ومعاهد ومكتبات. ومن المكتبات اللاتي أُحرقت مكتبة دار العلم في طرابلس، ومكتبة أسامة بن منقذ[٣].

ولقد ساهم المسجد الأقصى في إغناء الحركة العلمية، والأدبية في القدس، فقد تحول إلى جامعة إسلامية، ومركز علم وعبادة[٤]. فعاد بعد تحريره من الأسر الصليبي ليكون منارة العلم والإيمان، كما كان شأنه قبل الاحتلال[٥].

---

(١) انظر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي والمملوكي، د. عبد الجليل عبد المهدي. مكتبة الأقصى عمان الطبعة الأولى ١٩٨٠م ص١٤.

(٢) الحروب الصليبية-أنتوني دبست ترجمة شكري محمود نديم. شركة النبراس للنشر والتوزيع/القاهرة الطبقة السابعة ١٩٦٥م. ١٧٧.

(٣) انظر: خطط الشام ج٦/١٩٦، ١٩٧.

(٤) انظر: المدارس في بيت المقدس في العصر الأيوبي والمملوكي دورها في الحركة الفكرية د. عبد الجليل عبد المهدي مكتبة الأقصى /عمان ١٩٨١ ج١/١٢ وما بعدها.

(٥) انظر الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى د. عبد الجليل عن المهدي ص٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة القول: أن وضع الأدب آنذاك لم يتبع وضع السياسة في اضطرابه وانشقاقه، بل ظل رائجاً ومتداولاً ومنتشراً، إلا أنه تراجع قليلاً بسبب حالة الذعر التي أصابت المنطقة عند دخول الفرنج، وبسبب انشغال المسلمين بالجهاد وطرد الغزاة الصليبيين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياة ابن منير الطرابلسي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسمه، ونسبه، وكنيته:

ليس ثمة خلاف بين المصادر التي ترجمت لابن منير في اسمه، واسم أبيه واسم جد أبيه، إلا أن هنالك اختلافاً بين المصادر التي ذكرت عدد أفراد سلسلة النسب، فمن المصادر ما ذكرت اثنين، ومنها ما ذكرت ثلاثة، ومنها ما ذكرت أربعة، ولا يوجد مصدر ذكر أكثر من ذلك. فهو:

«أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي»[1] وهذه السلسلة هي الأكثر

---

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبةالله الشافعي المعروف بابن عساكر ت «٥٧١هـ» دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ج٢/١٠٠، تهذيب وترتيب الشيخ عبدالقادر بدران، تاريخ إربل المسمى «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» لأبي البركات بن أحمد اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفى ت «٦٣٧هـ» حققه وعلق عليه سامي الصقار، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، القسم الثاني ورقة ١٣٦أ.

بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جراده ت «٦٦٠هـ» تحقيق د. سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨/ج٣/١١٥٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ت «٦٨١هـ» تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ج١/١٥٦. مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ت «٧١١هـ» تحقيق رياض عبدالحميد مراد، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٤، ج٣/٣٠٦. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت «٧٤٨هـ» تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى «١٤٠٥هـ» ج٢/٢٢٣. الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي، ت «٧٦٤هـ» باعتناء محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٧١م، ج٦ق٨/١٩٣. عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، ت «٧٦٤هـ»، تحقيق فيصل السامر، منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٧م، ج١٢/٤٦٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، ت «١٠٨٩هـ»، دار المسيرة بيروت ١٩٧٧، الطبعة الثانية ج٤/١٤٦. أعيان الشيعة، محسن الأمين، ت «١٣٧١هـ» دار الإنصاف بيروت ١٩٦١، الطبعة الثانية ج١٠/١٤٥. الغدير في الكتاب والسنة والآداب، عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٧، ج٤/٣٣١. ديوان ابن منير الطرابلسي، جمعه وقدم له د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيوعاً في كتب التراجم، والأطول نسباً، ولا زيادة عليها في المصادر، وهي الأقوى رواية بسبب كثرة عدد الرواة، ووجود نفر منهم يتصف بالثقة والضبط في النقل والترجمة.

ويتحدث العديد من المؤرخين عن ابن منير: اسمه ونسبه، فيذكر بعضهم[١] أنه: «أحمد بن منير» وهم بذلك يسقطون من سلسلة نسب ابن منير «أحمد بن مفلح الطرابلسي» ولعلهم أسقطوا ذلك اختصاراً.

وورد عند آخرين[٢] أنه: «أحمد بن منير بن مفلح الطرابلسي» وهم بذلك يكونون قد أسقطوا من سلسلة النسب «أحمد».

وجاء عند نفر[٣] منهم أنه: «أحمد بن منير بن أحمد الطرابلسي» ويكونون بذلك قد أسقطوا من سلسلة النسب «مفلح».

---

(١) منهم: تاريخ أبي يعلى حمزه بن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق، أبي يعلى حمزه بن القلانسي ت «٥٥٥هـ» طبعة الأباء اليسوعيين ١٩٠٨م ص٣٢٢. البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ت «٧٧٤هـ» دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو ملحم، د. علي عطوي، الاستاذ فؤاد السيد، الاستاذ مهدي ناصر الدين، الاستاذ عبدالساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٢/٢٤٨، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

(٢) انظر: الأنساب، عبدالكريم بن محمد بن منظور السمعاني ت «٥٦٢هـ» تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠، ج١/٣٠٢، تتمة المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن الوردي ت «٧٤٩هـ» إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٠، ج٢/٨٥.

(٣) انظر: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، يوسف بن قزاوغلي المشهور بسبط بن الجوزي، حيدر أباد، الدكن، الهند ١٩٥١، الطبعة الأولى، ج٨ق١/٢١٧. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت «٧٤٨هـ» حيدر أباد، الدكن، الهند ١٩٥٧، ج٤/١٣١٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٣٥، ج٥/٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يلقب بـ «مهذَّب الدين»[١] و «المهذَّب»[٢] و «الشيخ مهذَّب الدنيا والدين»[٣] و «مهذَّب الملك»[٤] و «عين الزمان»[٥] و «عين النهار».[٦]

ونلاحظ من اقتران اسمه بهذه الألقاب، وما تضفيه على صاحبها من ظلال، أن ابن منير كان على درجة من الثقافة، والدراية بالعلوم الشرعية، ومن إيحاءات هذه الألقاب أنه كان يتبوأ مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية والسياسية على حدٍ سواء.

وأما شهرته: فقد اشتهر «بالرَّفاء»[٧] مثل أبيه، فقد كان أبوه يرفو الثياب .

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ج١/١٥٦. سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٣. تزيين الأشواق بتفصيل أشواق العشاق للشيخ داود عمر الأنطاكي ت «١٠٠٨هـ» الطبعة الثالثة ١٣٢٨هـ، المطبعة الأزهرية، مصر ص١٧٤. الغدير ج٤/٣٣١. أمل الآمل ق١/٣٥. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٤/٢٢٠. أعيان الشيعة ج١/١٤٥. ديوان ابن منير ص١٣.

(٢) انظر: الخريدة قسم شعراء الشام ص٧٩.

(٣) انظر: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الميرزا أحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، تحقيق أسد الله إسماعيليان، دار الكتاب العربي، بيروت ج١/٢٦١.

(٤) انظر: الوافي بالوفيات ج٦ ق٨/١٩٣، عيون التواريخ ج١٢/٤٦٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى عبدالله حاجي خليفة، وكالة المعارف الجليلة، طبعة اسطنبول ١٩٢١، ج١/١٣٦٠.

(٥) انظر: وفيات الأعيان ج١/١٥٦، سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٣، الوافي بالوفيات ج٦-٨/١٩٣. عيون التواريخ ج١٢/٤٦٧. كشف الظنون ج١/١٣٦٠. أمل الآمل ق١/٣٥. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج٤/٢٢٠. روضات الجنان ج١/١٦١. أعيان الشيعة ج١٠/١٤٥. ديوان ابن منير ص١٣.

(٦) انظر: شذرات الذهب ج٤/١٤٦.

(٧) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/١٠٠. مرآة الزمان ج٨ ق١/٢١٧، مختصر تاريخ دمشق ج٣/٣٠٦. تذكرة الحفاظ ج٤/١٣١٣. سير أعلام النبلاء، ج٢/٢٢٤. العبر في خبر من غبر ج٤/١٣. مرآة الجنان ج٣/٢٨٧. النجوم الزاهرة ج٥/٢٩٩. شذرات الذهب ج٤/١٤٦. أعيان =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر «ابن عساكر»،[1] وقد تعلم ابنه هذه الحرفة في بدايات حياته فاشتهر بها، وذلك قبل اشتهار أمره، وذيوع شعره.

وقد كان لهذه المهنة أثر في شعره، قال يمدح نور الدين زنكي:

مُظَفَّرُ العَزمِ مَمْدُودُ الرِّواقِ عَلَى ... مَعَالِمِ الدِّيْنِ يَرْفِيهَا ويَبْنِيها[2]

وله فيه أيضاً:

وإنَّكَ خَارِمُ مَا أَحْكَمُوهُ ... ومِنْ دِيننَا رَاقِعُ مَا انْخَرَمْ[3]

* * *

اتفقت جميع المصادر على أن ابن منير ينسب إلى «طرابلس»[4] وهي مسقط رأسه، فيها نشأ، وفيها ربا وترعرع.وفي كتب الأنساب والتراجم نجد النسبة إلى المدينة طرابلس بلفظ «الطرابلسي» و«الأطرابلسي» والنسبة الثانية هي المشهورة لدى المؤرخين.

وقد اختلف في وضع الهمز في بداية الاسم، فمن قائل: إن الهمز للمدينة التي على ساحل الشام،[5] ومن قائل: إنها للمدينة التي بالغرب[6]، ومنهم من أثبت

= الشيعة ج١٠/١٤٥. شعر ابن منير الطرابلسي جمعه وحققه د. سعود محمود عبدالجابر، دار القلم، الكويت الطبعة الأولى ١٩٨٢. ص٧ ديوان ابن منير الطرابلسي ص١٣.

الرِّفاء: والرِّفاء: الالتحام والاتفاق، رفوت الثوب أرفوه رفواً. انظر اللسان مادة «رفا».

(١) انظر تهذيب تاريخ دمشق ج٢/٩٧.

(٢) الديوان: ص٢٥٤.

(٣) نفسه: ص٢٥٩.

(٤) طرابُلُس: أطرابُلُس: بضم الباء الموحدة، واللام، والسين مهملة: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا. انظر معجم البلدان مادة «أطرابلس».

(٥) انظر: معجم البلدان، لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر ودار بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ج١/٢١٦. مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٣/٢٨٧.

(٦) انظر: الأنساب ج١/٣٠٢. اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت «٦٣٠هـ». =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهمز لكلتا المدينتين[١].

ولعل القول الفاصل في ذلك، وما أميل إليه هو ما ذكره صاحب «الروض المعطار في خبر الأقطار» إذ ذكر أنه تفادياً للخلاف حول اسمي المدينتين المشرقية والمغربية، أضيفت إلى الأولى لفظة الشام فأصبحت طرابلس الشام نسبة لموقعها في إقليم الشام كما أضيفت لفظة «الغرب» إلى الثانية فأصبحت طرابلس الغرب لوقوعها في المغرب العربي.[٢] وقد ذكرها ابن الشحنة ت «٨٩٠هـ» بقوله: «مدينة طرابلس مدينة قديمة تعرف بطرابلس الشام، وذلك أنها على شاطئ البحر الشامي»[٣] لذا نجد بعض من ترجموا لابن منير نسبوه إلى طرابلس الشام، بقولهم: «الطرابلسي الشامي».[٤]

وخالف ابن كثير ت«٧٧٤هـ» من سبقه ومن تبعه في نسبة ابن منير، إذ يقول: «أحمد بن منير الجونيْ»[٥] ولعل المقصود بـ«الجوني» نسبة إلى «جون عرقة»، وهي ضاحية من ضواحي طرابلس، يقول أبو شامة المقدسي ت «٦٦٥هـ»:

= مصور عن النسخة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية، مكتبة القدس ١٣٥٧هـ ج١/٥٧. لب الألباب في تحرير الأنساب، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت «٩١١هـ» تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز وأشرف أحمد عبدالعزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م ج٢/٦٧.

(١) انظر: فتوح البلدان، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وشرحه وعلق عليه عبدالله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م الصفحات «١٧٣، ١٧٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٥».

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبدالمنعم الحميري ت «٧٢٧هـ» تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥، ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لأبي الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي ت ٨٩٠هـ، علق على حواشيه يوسف بن إلياس سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٩٠٩م، ص٢٦٢.

(٤) انظر: روضات الجنان ج١/٢٦١، أمل الآمل ق١/٣٥، الغدير ج٤/٣٣١.

(٥) البداية والنهاية ج٢/٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«جون عرقة من أعمال طرابلس»،[١] ويقول الشريف الإدريسي عن «جون عرقة»: «يقع من مدينة أطرابلس على الساحل إلى رأس الحصن، وهو مدينة صغيرة، عامرة آهلة، وهي على طريق جون، وهذا الجون طول رؤوسه خمسة عشر ميلاً، وتقويراً مع الساحل ثلاثون ميلاً، ويسمى جون عرقة»[٢]، وربما سكن ابن منير هذا الجون فنسبه إليه ابن كثير.

لذلك، وقع الدكتور «سعود عبدالجابر» في وهم عندما فسّر بيت الشعر:

يَوماً يَزيمُكَ جَوْفٌ عِرْقَةَ مَعْلَماً جَوْنٌ لَهُ خَلفَ الذُّرُوبِ أَوَارُ[٣]

فقد فسّر الجون: بالخيل، والإبل الأدهم الشديد السواد، في حين أن لفظ الجون هنا لا علاقة له بالأبيض والأسود من الخيل والإبل، بل هو اسم مكان يُعرف بـ «جون عرقة» كما تقدم.

* * *

وأجمعت المصادر التي ترجمت لابن منير أن كنيته هي «أبو الحسين» إلا أن ابن كثير ذكر أن كنيته هي «أبو الحسن»[٤] وهذا وهم واضح لسببين:

أولهما: إجماع المصادر التي ترجمت لابن منير كافةً على أن كنيته هي «أبو الحسين»، ومن بين الذين أجمعوا على ذلك مَنْ كان معاصراً لابن منير، وأدركه حياً مثل: عبدالكريم السمعاني إذ يقول: «أبو الحسين أحمد بن مفلح الأطرابلسي شاعر

---

(١) «كتاب» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي محمد عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة ت «٦٦٥هـ» تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م ج١ق١/٨٤.

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الأول / ٣٧٣.

(٣) انظر: شعر ابن منير الطرابلسي، جمعه وحققه د. سعود عبدالجابر، ص٨٥ الحاشية رقم ٣.

(٤) انظر: البداية والنهاية ج١٢/٢٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفلق... أدركته حياً بالشام»،[١] ويقول ابن عساكر: «ولقد رأيته غير مرة ولم أسمع منه».[٢]

ثانيهما: أنه يجوز أن يكون قد وقع تصحيف في الكلمة «حسين» من جهة النقل أو النسخ عند ابن كثير، وبخاصة أن بين الكلمتين «حسن وحسين» تشابهاً كبيراً.

* * *

ومما يلفت الانتباه عند قراءة كتب الترجمة، أن هناك صمتاً حول إعطاء أية معلومة عن عائلته أو أسرته، لذا، درست شعره الذي جمعه الدكتور سعود محمود عبدالجابر سنة ١٩٨٢م، والذي جمعه الدكتور عمر تدمري سنة ١٩٨٦م وأسماه «ديوان شعر ابن منير الطرابلسي» لأن ديوانه الكبير فقد منذ قرون خلت.

وخلاصة القول: أن كل ما صاغته الرواية، وحفظته المصادر حول شخصية ابن منير وما يتعلق بها، عند المتابعة يجدها الباحث حطاماً يتعثر بأنقاضه، فلم أعرف ما إذا كان الشاعر قد تزوج أم لا؟

وهل عقب أم لم يعقب...؟

وهل له إخوة، أو أخوات أم لا...؟

وماذا عن أخبار أمه؟ ومن هي؟

وماذا عن أخبار بني عمومته، وبني خؤولته؟

وكل ما استطعت أن أجمعه تحت هذا العنوان، هو أن ابن منير كان من بيت علم وأدب، وأن أباه الذي يكنى «أبا أحمد» كان شاعراً ويتمتع بصوت حسن، ينشد أشعار «العوني» ويغني في أسواق طرابلس، وجَدّ أبيه «مفلح» كان شاعراً أيضاً[٣]. وكانت حرفة أبيه التي يتكسب منها: رفو الثياب وإصلاحها، فتعلم ابن منير هذه الحرفة واشتهر بها.

نشأ ابن منير في أسرة فقيرة، إلى أن أخذ يقول الشعر، ولكن، إذا كانت

---

(١) الأنساب ج١/٣٠٣.

(٢) تهذيب تاريخ الشام ج٢/١٠٢.

(٣) انظر: الغدير ج٤/٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع قد أغفلت ذكر شيء عن أسرته وعن زواجه، فإنني قد أستطيع أن أقول: إن ابن منير قد تزوج ولم يعقب، وذلك بالاعتماد على الدليلين التاليين:

أولاً: ذكر صاحب «جمهرة الإسلام»[١] أن عدداً من حسّاد ابن منير في حلب أشاعوا نبأ وفاة ابن منير وهو في حماة، فدخلت «الحشرية»[٢] داره، وأثبتوا ما فيها، وختموا عليها، وقد أرسل ابن منير رسالة إلى رئيس حلب «عفيف الدين المستوفي»[٣] يُعرّض بحساده ومنهم ابن القيسراني، ويستنكر ما حدث، ويشكو أمرهم إليه، وذلك في قصيدته «النونية» المشهورة التي مطلعها:

يا عَفيفَ الدّينِ الَّذي يَدُهُ صِرْ ... فُ بهِ أَسْتَكِفُّ صَرْفَ الزَّمانِ
وَالَّذي أَحْسَنَ الوَفاءَ بعَهدِي ... فَاتْهَمَتْ الْوَافِينَ مِنْ خِلاّنِي
وَالّذِي فِي هَوَاهُ أَخْلَصْتُ دِينِي ... يَوْمَ تُبلَى سَرائِرُ الأَدْيَانِ[٤]

ثانياً: ذكر ابن منير في القصيدة نفسها بيتاً من الشعر يشتمل على ألفاظ تدلل على أنه متزوج يقول:

---

(١) انظر: مخطوط «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» للشيزري أبي الغنائم مسلم بن محمود المتوفي بعد سنة ٦٢٢هـ. منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية. جامعة فرانكفورت ألمانيا الاتحادية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، مصور عن المخطوطة ذات الرقم ٢٨٧ شرقي مكتبة جامعة ليدن في هولندا، والمحفوظ نسخة منه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ص١٦٢-١٦٦.

(٢) الحشرية: هم الذين يباشرون تحصيل مال من يموت وليس له ولد، انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ت «٨٢١هـ» شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٥٥م ج٣/٥٣٢.

(٣) عفيف الدين المستوفي: لم أعثر له على ترجمة.

(٤) الديوان: ص١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَتَرَانِي أَكَلْتُ جَذْرَ عِيَالِي مِثْلَ مَا كَانَ يَفْعَلُ الْقَيْسَرَانِي[١]

فمثلاً: لفظة عيالي: وهي الأهل أو الزوجة، ولفظة جذر: مال تأخذه القينة لقاء أدائها[٢]، وهو ما لم تذكره المعاجم. فهاتان اللفظتان تدلان على أنه كان متزوجاً، وعليه أرجح أنه تزوج ولم يعقب.

وقد عثرت على بيت شعر ضمنه القصيدة التي مدح بها «سلطان بن منقذ» أمير شيزر، يفيد البيت أن ابن منير كان له أخ شقيق، ولكن دون الوصول إلى تفصيلات عن هذا الشقيق يقول ابن منير مخاطباً أمير شيزر:

وَغَدَوْتَ أَحْفَى بِي وَأَرْأَفَ مِنْ أَبِي وَأَبَرَّ مِنْ أَخِي الشَّقِيقِ وَأَوْصَلا[٣]

هذا كل ما أمكنني التوصل إليه، لفقدان ديوانه الكبير، الذي من دونه يتعذر على الباحث رسم الصورة الحقيقية لسيرة الشاعر.

* * *

مولده:

تشير معظم المصادر التي ترجمت لابن منير أن مولده كان سنة «ثلاث وسبعين وأربعماية» «٤٧٣هـ» بطرابلس، إلا أننا نفاجأ عند مطالعتنا كتاب «بغية الطلب» لابن العديم ت «٦٦٠هـ» أنه يذكر: أن مولده كان سنة «ثلاث وتسعين وأربعماية ٤٩٣هـ». يقول: «أخبرنا عبدالرحمن بن محمد قال: أخبرنا علي بن الحسن قال: حدثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد الحميري الكاتب، أن مولد أبي الحسين بن منير

---

(١) الديوان: ص١٥٤.

(٢) انظر: اتجاهات الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري، د. شفيق الرقب ص١٨٥، رسالة دكتوراه، إشراف الاستاذ الدكتور محمود إبراهيم، الجامعة الأُردنية.

(٣) الديوان: ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة ثلاث وتسعين وأربعماية بأطرابلس»[١]. وهذا وهم وقع فيه ابن العديم والصحيح ما أجمع عليه المؤرخون والنُّسّاب، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن المصادر تفيد أن ابن منير قد خرج من طرابلس عندما داهمها الغزو الصليبي سنة ٥٠٢هـ» وكان عمره قد ناهز الثلاثين عاماً، فلو افترضنا أن مولده كما ذكر ابن العديم سنة «٤٩٣هـ» لما استقام ذلك مع ما ورد عند المؤرخين.[٢]

ثانياً: أن المصادر تشير أن ابن منير أسبق مولداً من «ابن القيسراني» الشاعر، حيث ولد القيسراني سنة «٤٧٨هـ»[٣]؛ وأن ابن القيسراني عاش سبعين عاماً[٤]، وكانت وفاته بعد وفاة ابن منير بأيام، وكان ذلك سنة «٥٤٨هـ»[٥] وهذا يعني أن ابن منير قد عاش نيفاً وسبعين عاماً، وإذا أخذنا بمقولة ابن العديم فلا يستقيم ذلك.

ثالثاً: ربما وقع خطأ من الناسخ، فبدلاً من أن يكتب «سبعين» كتب تسعين لعدم وجود فرق كبير بين رسم الكلمتين.

مراحل حياته:

عاش ابن منير حياة حافلة بالأحداث والفتن والتقلبات، ولم تسعفنا المعلومات التي بين أيدينا -على كثرة مراجع الترجمة- على تتبع أطوار حياته وأحداثها تتبعاً زمنياً، لذا، قدّرت أن حياته مرت بطورين:

الأول: هو طور الاضطراب والقلق، الذي بدأ منذ ولادة الشاعر سنة «٤٧٣هـ» وحتى سنة «٥٤١هـ» عندما تسلم الملك العادل نور الدين ملك الشام، وهذا طور طويل جداً في حياة الشاعر، يمكن أن نتبينه من الآتي:

* * *

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ج٣/١١٥٥.

(٢) انظر: ديوان ابن منير الطرابلسي: ص١٤.

(٣) انظر: الخريدة قسم شعراء الشام ج١ق١/٩٦.

(٤) انظر: الخريدة ج١ق١/٩٦.

(٥) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص٤٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مدينة طرابلس، في سنة «٤٧٣هـ» ولد ابن منير الأديب الشاعر، ونشأ في أسرة فقيرة، يتكسب مع أبيه من حرفة رفو الثياب، وهي حرفة تحتاج إلى ذوق الصنعة كما يحتاج الشاعر إلى ذوق الصنعة في انتقاء الكلمات وتركيبها وصياغتها.[١] فكان في أول أمره، في خشونة من عيش، ورقة من حال، يعوزه كل شيء، يعوزه الناعم من الملابس، والكريم من المطايا، ولكن فقره لم يحل دون تفتح مواهبه.

وقضى الشاعر طفولته في مدينة طرابلس، والمعلومات عن رحلة طفولته نزرة جداً، بل لا تكاد تذكر المصادر الأدبية شيئاً ذا بال عنها، كما أن دراسة شعره، لا تسعفنا بالحديث عن طفولته بخاصة، ومراحل حياته بعامة، وذلك لفقدان ديوانه، ولا أستطيع أن أحدد السنة التي غادر فيها شاعرنا مدينة طرابلس، وذلك لعدم وجود نص، أو خبر يمكن الاتكاء عليه، وإنما هو اجتهاد وتخمين، أميل فيه إلى ما ذكره «عمر تدمري» من أن ابن منير خرج من بلده إبان الحصار الصليبي لها مع جماعة من أهالي المدينة، طلبوا الأمان من الصليبيين قبل سقوط المدينة سنة «٥٠٢هـ» / ١١٠٩م متجهين إلى دمشق، وكان خروجه من بلده في عنفوان شبابه[٢].

ومع رحيله، تبدأ رحلة القلق والعذاب، فيعيش حياته متنقلاً من بلدٍ إلى آخر، كلما نزل في بلد رشقته شآبيب البلاء وسهام الشقاء من كل جانب، فقضى نصيباً كبيراً من حياته في المغامرات، والمنازعات، ومغالبة الأيام.

* * *

(١) انظر: ديوان ابن منير: ص٣٥.

(٢) انظر: ديوان ابن منير: ص٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجمع المصادر التي ترجمت للشاعر على أن دمشق هي أول دار مقام له، عبر رحلته الطويلة، فقد هاجر شاعرنا إلى دمشق، ثم اتصل بحاكمها تاج الملوك «بوري ابن طغتكين»[١]، أتابك دمشق، فتقرب منه ومدحه إلى أن أصبح أثيراً عنده. ومن مديحه له القصيدة التي يصف فيها متنزهات دمشق، وهي من قلائد شعره وأجوده ومطلعها:

حَيِّ الدِّيارَ عَلَى عَلْيَاءِ جَيْرُونِ مَهْوَى الْهَوَى وَمَغَانِي الْخُرَّدِ الْعِينِ[٢]

ولكن شخصية ابن منير، القائمة على استخدام الهجاء الفاحش المقذع، واللسان السليط الذي لا يسلم منه منعم عليه ولا مسيء إليه، ومجاهرته برافضيته، كلاهما أثار نقمة الناس وأحنقهم عليه، زد على ذلك أن مكانته عند حاكم دمشق جعلت حسّاده من الشعراء يساعدون على الكيد له، فكثر شاكوه عند الحاكم وقلّ حامدوه، إلى أن أمر الحاكم بسجنه، ثم عزم على قطع لسانه، فشفع فيه الحاجب «يوسف بن فيروز»[٣] شحنة دمشق[٤] فأطلقه ونفاه.

وتتفق المصادر على أن ذلك تم في ولاية «بوري طغتكين» إلا أن ابن العديم يورد روايتين، يتفق في الأولى منهما مع المؤرخين، ويخالف عنهم في الثانية، إذ يقول: إن الذي هم بقطع لسان ابن منير هو طغتكين، أتابك دمشق، والد «بوري»

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الديوان: ص١٧٢، انظر مجلة المجمع العلمي العربي السوري، دمشق تشرين أول سنة ١٩٢٥ الموافق ربيع الأول سنة ١٣٤٤هـ، ص٤٤٧، المجلد الخامس الجزء العاشر.

(٣) يوسف بن فيروز: هو حاجب بوري طغتكين، وشحنة دمشق، كان صديقاً لابن منير، ثم عمل حاجباً لشمس الملوك إسماعيل، ثم تركه فاراً إلى تدمر، وعاد في ولاية شهاب الدين محمود بن طغتكين؛ وقتل من قبل غلمانه المماليك سنة «٥٣٠هـ» انظر: الكامل في التاريخ ج٩/ ٢٩٠.

(٤) الشحنة: أشبه ما تكون في زماننا بالحاكم العسكري، إذ يتمتع صاحبها بصلاحيات أمنية، وإدارية، وهو المسؤول عن إدارة المدينة، وملاحقة الخارجين عن النظام. انظر الكامل في التاريخ ج٩/ ٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه شبب في قصيدة له ببعض أقارب طغتكين،وكان صبياً أمرد وهو «حسام الدين دلق بن أبق» بقصيدة مطلعها:

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فِي صَدْرِ الرَّدَيْنِيّ وَمَوَّهَ السِّحْرَ فِي حَدِّ اليَمَانِيّ[1]

قال: وأركبه الحاجب «يوسف بن فيروز» على خيل البريد فهرب إلى بغداد[2]. هذا ما أخذ به «عمر تدمري» وقال: إن ابن منير قد سجن، ونفي من دمشق في عهد طغتكين، وفي عهد ابنه بوري، وإن الذي شفع فيه في المرتين، الأولى والثانية هو الحاجب «يوسف بن فيروز».[3]

وهذا ما لم يثبت لديّ، إذ لم يرد في كتب المصادر ما يشير إلى أن ابن منير التقى طغتكين أتابك دمشق، أو أن هذا الأخير هم بقطع لسانه. ولست أدري على ماذا اعتمد «تدمري»؟ وهل الأخذ برواية ابن العديم وترك الإجماع لهما ما يُسوِّغهما؟. إذ ربما وهم ابن العديم وذكر «طغتكين» بدلا من «بوري طغتكين»، أو لربما وقع الناسخ في خطأ.

ثم عاد ابن منير إلى دمشق في ولاية «شمس الملوك» إسماعيل بن بوري طغتكين،[4] وساءت علاقته بإسماعيل أيضاً، وأراد إسماعيل أن يصلبه ففر منه، واختبأ في مسجد الوزير أياماً ثم خرج من دمشق إلى بلاد الشام الشمالية، يتنقل

---

(١) الديوان: ص١٧٨.

(٢) انظر: بغية الطلب ج٣/١١٥٥، ١١٥٦.

(٣) انظر: الديوان: ص٣٧، ٣٨.

(٤) شمس الملوك: إسماعيل بن بوري طغتكين، يكنى أبا الفتح، ولي دمشق بعد أبيه بوري، كان ظالماً، بالغ في العقوبات، قتله غلمانه بتدبير من أمه سنة «٥٢٩هـ» ووضعت بدلاً منه ابنها شهاب الدين محمود. انظر: ذيل تاريخ دمشق ص٢٤٥، الكامل في التاريخ ج٩/٢٧٨. العبر في خبر من غبر ج٤/٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من حماة إلى شيزر، وإلى حلب[١]. وقد تضاربت الأقوال في السبب الذي أحنق شمس الملوك على ابن منير، وهمّ بصلبه، فقد ذكر ابن العديم: أن سبب طلب صاحب دمشق ابن منير، واستتاره منه، وخروجه من دمشق أن ابن منير مدحه بقصيدة فيها بيت أوله:

«منّي وَمِنْكَ اسْتَفَادَ النَّاسُ مَا كَسَبُوا»

وكان ابن منير كثير الأعداء عنده، فقال له بعضهم، بعد خروج ابن منير: انظر أيها الأمير إلى قول ابن منير لك، يهددك في هذا البيت «مني ومنك» وكان رجلاً تركياً، وقد سمع الناس يقولون عند تهديد بعضهم بعضاً «مني ومنك» فوقع ذلك في نفسه، وغضب، وطلبه، فاختفى وخرج من دمشق»[٢]. ويذكر ابن القلانسي أن سبب نقمة إسماعيل على ابن منير، الصلة الحميمة التي كانت تربط الشاعر بالحاجب «سيف الدولة يوسف بن فيروز»، إذ يذكر أكثر المؤرخين الثقات أن شمس الملوك كان متقلب المزاج، حاد الطبع، وكان الحاجب يوسف ذا حظوة عنده في بداية الأمر. وكان إسماعيل قد «قلب للصداقة ظهر المجن» وأسرّ في نفسه مصادرة كفاته من الكتاب، وخواصه من الأمراء والحجّاب، وعزم على الابتداء بالحاجب «يوسف بن فيروز» أحظى من كان عنده، وعند أبيه، مما اضطره للهرب، فكان ابن منير أول من صبّ عليه غضب إسماعيل، للعلاقة الوطيدة بين ابن منير والحاجب يوسف.[٣]

وهناك رواية يذكرها «تدمري» في تعليل غضب إسماعيل على ابن منير،

---

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/١٠١. مرآة الزمان ج٨/٢١٧. مختصر تاريخ دمشق ج٣/٣٠٦، سير أعلام النبلاء ج٢٠/٢٤. عيون التواريخ ج١٢/٤٦٧. الوافي بالوفيات ج٦ق٨/١٥٤.

(٢) بغية الطلب ج٣/١١٥٦.

(٣) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أن ابن منير هجا قاضي دمشق «الأعز محمد بن هبة الله»[١] بأبيات أولها:

هُوَ قَاضٍ كَمَا يَقُولُ وَلَكِنْ مَا عَلَيْهِ مِنَ القَضَاءِ عَلاَمَةْ[٢]

ولعل السبب في وجد شمس الملوك على ابن منير، وأمره بصلبه يرجع لسلاطة لسان ابن منير، وهجائه المقذع لأعدائه، من أعيان دمشق، بالإضافة إلى سعي حساده وكيدهم له، وذلك لمكانته عند الأمير، فكان في كل مكان يُقيم فيه ابن منير، يُقيم عليه الناس ويؤلبهم، لتطرفه بآرائه الشيعية، ولشراسة كانت عنده، يحرج الناس ويسيء إليهم فيكرهونه.

ويعود الشاعر إلى دمشق مرة أخرى -إثر مقتل حاكمها شمس الملوك إسماعيل سنة «٥٢٩هـ»- في ولاية «شهاب الدين محمود بن تاج الملوك»[٣] الذي خلف أخاه إسماعيل في الحكم، إلا أن الشاعر على الرغم من حرصه الكبير على البقاء في دمشق، فإنه ساءت علاقته مع وزيرها «ابن الصوفي»[٤] فاضطر للهرب مرة ثالثة، ويبدو أن فراره من دمشق في هذه المرة كان بسبب خوفه من رئيسها ابن

---

(١) هو: أبو الفتح محمد بن هبة الله بن إبراهيم بن خلف التميمي، قاضي صور، كان ذا مروءة، سمع الفقيه نصر المقدسي، تولى قضاء بانياس ثم دمشق توفي بدمشق سنة ٥٣٢هـ، ويذكره صاحب عيون التواريخ بالأعز اللبان ج١٢/٤٦٩. انظر ترجمته في ذيل تاريخ دمشق ص٢٦٦، شذرات الذهب ج٤/١٠١.

(٢) الديوان: ص١٤٥.

(٣) شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري: تسلم ولاية دمشق بعد مقتل أخيه إسماعيل سنة «٥٢٩هـ» وحكم حتى سنة «٥٣٢هـ» ثم قتله غلمانه وخدامه سنة «٥٣٢هـ» وبويع بالإمارة لشقيقه جمال الدين محمد، انظر: ذيل تاريخ دمشق ص٢٦٨.

(٤) ابن الصوفي: هو مؤيد الدولة ابن الصوفي، وزير صاحب دمشق «أبق» كان ظلوماً غشوماً، مات سنة «٥٤٩هـ» وسر الناس بموته، ودفن بداره في دمشق. انظر شذرات الذهب ج٤/١٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصوفي، فأقام الشاعر في شيزر عند أميرها «أبي العساكر بن منقذ»[١] بسبب هجوه أكابر دمشق وأعيانها. ويقول العماد الكاتب: «ولقد كان مقيماً بدمشق، إلى أن أحفظ أكابرها، وكدر بهجوه مواردها ومصادرها، فأوى إلى شيزر وأقام بها»[٢].

وحضر إليه وهو في شيزر «زين الدين بن حليم» رسول «معين الدين أنر»[٣] أتابك دمشق سنة «٥٣٢هـ» يدعوه للعودة إلى دمشق، ولكن الشاعر آثر عدم العودة وفضل البقاء عند بني منقذ، وقد رفض الشاعر العودة إلى دمشق وهو أشد ما يكون حرصاً عليها. وبعث بكتاب اعتذار إلى صديقه «زين الدين» رسول «معين الدين أنر» وذكر له كثرة أعدائه، وتآمرهم عليه، وأنه لا يمانع في العودة إن ضمن له السلامة من اغتيال عدو، وحمل في رسالته على أعدائه الكثر الذين كادوا له، وأخرجوه من دمشق.[٤]

ثم دخل دمشق زائراً في مهمة رسمية، واستقر في حلب عند «نور الدين زنكي» الذي اختصه بالسفارة إلى «معين الدين أنر» سنة «٥٤١هـ»[٥]، ثم قدم دمشق بصحبة الملك العادل نور الدين، عندما حاصرها الحصر الثاني سنة «٥٤٨هـ»، فلما استقر لنور الدين الصلح مع أهلها، رجع ابن منير مع العسكر إلى حلب، وتوفي بها.[٦] وبهذا، يكون ابن منير قد أخرج من دمشق ثلاث مرات، ولعل السبب في ذلك هو أن ابن منير كان في مجتمع يدين أهله بالمذهب الشيعي في طرابلس، ثم انتقل إلى مجتمع يدين أهله بمذهب أهل السنة والجماعة، ومن المعلوم

---

(١) سلطان بن منقذ «أبو العساكر»: هو سلطان بن علي بن مقلد بن نصر القضاعي أبو العساكر الكناني ولد بأطرابلس سنة «٤٦٤هـ»، وسمع من الفقيه إبراهيم الحنفي بشيزر، وولي إمارتها، توفي سنة «٥٤٣هـ» بشيزر. انظر تهذيب تاريخ دمشق ج٦/١٨٧.

(٢) الخريدة: ج١ق١/٧٧.

(٣) معين الدين أنر الطغتكي: هو مقدم جيش دمشق، ومدبر الدولة، كان عاقلاً سائساً، حسن الديانة، ظاهر الشجاعة، توفي سنة «٥٤٣هـ». انظر شذرات الذهب ج٤/١٣٨.

(٤) انظر: الخريدة ج١ق١/٩٢ وقد أورد العماد نص الرسالة الطويلة في الصفحات من ٩١-٩٥.

(٥) نفسه ج١ق١/٧٨.

(٦) انظر: وفاته «نهاية الفصل الأول من هذا البحث».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن ابن منير لم يكن شيعياً وحسب، بل كان رافضياً، مما أثار حفيظة أعدائه وحساده لهجائه المقذع وشعره الفاحش فرشقوه بسهام الوقيعة، وأوغروا صدر الحاكم حتى كاد الحاكم يقتله أو يصلبه أو يقطع لسانه، لولا هربه من المدينة.

* * *

وتشير بعض المصادر التي ترجمت لشاعرنا أن ابن منير قد فرّ من دمشق إلى بغداد على خيل البريد بمساعدة «الحاجب يوسف بن فيروز»، إذ يقول ابن العديم: «وأركبه الحاجب يوسف على خيل البريد فهرب إلى بغداد[١]»، ولا أستطيع أن أحدد السنة التي وصل فيها إلى بغداد، وذلك لشح المصادر التي تحدثت عن نشأته ومراحل حياته، إلا أن المصادر التاريخية ذكرت أن سجن ابن منير ونفيه إلى بغداد كانا في عهد «بوري طغتكين» ومن المعلوم أن «بوري» قد حكم من سنة «٥٢٢هـ» وحتى «٥٢٦هـ» وهذا يعني أن ابن منير قد دخل بغداد في هذه الفترة.

وفي بغداد، التقى بعددٍ من رجالاتها وأعيانها، وكوّن مع بعضهم صداقة مثل: «الشريف المرتضى الموسوي» ببغداد الذي قال فيه القصيدة التترية التي أولها:

عَذَّبْتَ طَرْفِي بِالسَّهَرْ وأَذَبْتَ قَلْبِي بِالفِكَرْ[٢]

وقد ورد في عدد غير قليل من المصادر أن ابن منير هادى الشريف المرتضى وبعث إليه القصيدة التترية ببغداد.

وفي بغداد أيضاً، التقى ابن منير «نقيب الأشراف»[٣] من خلال حكاية يوردها صاحب «نفحات الأزهار» يقول: «ونقيب الأشراف ببغداد كان يهوى غلاماً اسمه «صدقة» أخذه ابن منير الطرابلسي يوماً وأضافه إلى غلمانه وجلسا في طبقة، وإذا

---

(١) بغية الطلب ج٣/١١٥٦.

(٢) الديوان: ص١٦٠، وقد أفردت للقصيدة حديثاً مطولاً في الفصل الأول ص ٥٩ وما بعدها.

(٣) لم تحدد الرواية ما إذا كان هو نفسه النقيب المرتضى، ولا نستطيع الفصل في القول لعدم ورود الرواية في غير هذا المصدر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشريف أتى إليهم مستخفياً. وقال:

يَا مَن هُمْ فِي الطَّبَقَهْ ... هَلْ عِنْدَكُم مِن شَفَقَهْ
قَـدْ جَاءَكُـمْ مُتَيَّـمْ ... يَطْلُبُ مِنْكُمْ صَدَقَـهْ

فأجابه ابن منير في الحال:

يَا مَن أَتَانَا سَرِقَهْ ... بِمُهْجَـةٍ مُحْتَرِقَـهْ
جَدُّكَ يَاذَا لَمْ يُجِزْ ... أَخْذَكَ مِنَّا صَدَقَهْ

فخجل النقيب وذهب.[1]

والتقى ابن منير «بجلال الدين بن صدقة»[2] وزير الخليفة العباسي المسترشد، فتقرب منه ابن منير ومدحه بقصيدة أولها:

أَهُتُوفُ أَيْكٍ فِي سَرَارِ الوَادِي ... هَلْ كُنْتَ مِن بَيْنٍ عَلَى مِيعَادِ
وَأَرَاكَ يَا غُصْنَ الأَرَاكِ مُرَنَّحاً ... أَلِـزَمِّ عِيسٍ أَمْ تَرَنُّـحُ حَـادِ
سَمْحٌ إِذَا ضَنَّ الصَّبِيرُ بِقَطْـرِهِ ... هَادٍ إِذَا سِدَرُ البَصِيرُ الهَادِي[3]

ويرتبط ابن منير بابن الحنبلي بعلاقة حميمة، فقد مدحه وأهل بيته بقصيدة منها:

وَلَعَمْرِي لَوْلا بَقِيَّةُ عَبْدِ الـ ... ـوَاحِدِ الحَنْبَلِيِّ أُعْضِلَ دَاؤُهْ[4]

* * *

ويمضي العمر بابن منير فيعيش حياة مغمورة بألوان الشقاء، بعد أن ثقلت وطأته في دمشق على أهل الأدب وغيرهم، فنجحوا في تأليب الحاكم عليه وطرده

---

(١) نفحات الأزهار على نسخات الأسحار في مدح النبي المختار. شرح البديعية المزرية بالعقود الجوهرية -عبدالغني النابلسي- عالم الكتب بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٩٤.

(٢) جلال الدين بن صدقة: هو الحسن بن علي بن صدقة أبو علي بن أبي العز الوزير الملقب بجلال الدين وزير المسترشد بالله، كان أديباً شاعراً، ولد سنة ٤٥٩هـ، وتوفي سنة ٥٢٢هـ، كان حسن السيرة، محمود الطريقة، انظر: الكامل في التاريخ ج١٠/٦٥٢، مراة الزمان ج٨/١٢٧، العبر في خبر من غبر ج٤/٥١، عيون التواريخ ج١٢/٢٠٠، البداية والنهاية ج١٢/١٩٩، النجوم الزاهرة ج٥/٢٣٣.

(٣) الديوان: ١٣٥، ١٣٦.

(٤) نفسه: ١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وملاحقته، فاختفى عن الأنظار، واتجه صوب البلاد الشمالية يتنقل من حماة إلى شيزر إلى حلب خائفاً يترقب وهو على شرّ حال.

ويشير سبط بن الجوزي إلى أن أول ما نزل ابن منير من البلاد الشمالية حلب، فيقول: «فلما مات «بوري» عاد -يعني ابن منير- إلى دمشق فطلبه «إسماعيل بن بوري» فهرب واختفى بمسجد الوزير ظاهر دمشق ثم هرب إلى حلب»،[١] وفي حلب، التقى بمعارضه ومنافسه ابن القيسراني، وبملك النحاة[٢]، ويحتمل أن يكون قفل عائداً إلى دمشق بعد وصوله إلى حلب عندما علم بمقتل «إسماعيل بن بوري». ويدخل ابن منير حلب عدة مرات بصحبة الملك العادل نور الدين بعد أن صحبه في معاركه، إلى أن توفي بها سنة «٥٤٨هـ».

* * *

ثم رحل الشاعر إلى شيزر بعد أن خرج من دمشق للمرة الثالثة. وهو يتوجس خيفة من وزيرها «ابن الصوفي» يقول العماد الكاتب: «واتفق انتزاح ابن منير من دمشق بسبب خوفه من رئيسها ابن الصوفي، ومقامه بشيزر عند بني منقذ»[٣]، وفي موضع آخر يقول فآوى إلى شيزر فأقام بها».[٤]

وفي شيزر عظمت منزلته، وطارت في الآفاق شهرته، فقد أقام عند أميرها أبي العساكر «سلطان بن منقذ» فتقرب منه وصادقه، إلى أن أصبح مسموع الكلمة عند الأمراء في شيزر، ومما يدل على ذلك: أن الشاعر الأديب «أبا الحكم المغربي»[٥] كان له صديق شاعر يُدعى أبا الوحش سبع بن خلف بن محمد بن هبة الله الفقسي» فعزم أبو الوحش أن يتوجه إلى شيزر ليمدح بني منقذ، ويسترفدهم، فالتمس من أبي الحكم المذكور كتاباً يطلب منه أن يكتب لابن منير في حقه بوصية

---

(١) مرآة الزمان ج٨/٢١٧.

(٢) انظر ترجمته نهاية الفصل الأول من هذا البحث «علاقة ابن منير بشعراء عصره».

(٣) الخريدة ج١ق١/٩١.

(٤) نفسه ج١ق١/٧٧.

(٥) انظر ترجمته نهاية الفصل الأول من هذا البحث «علاقة ابن منير بشعراء عصره».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكي يُحسن استقباله وتقديمه للقوم من أمراء بني منقذ، فكتب «أبو الحكم» إلى ابن منير أبياتاً منها:

أَبَا الحَسَنِ اسْتَمِعْ مَقَالَ فَتىً ... عوْجِلِ فِيمَا يَقُولُ فَارْتَجَلاَ
هَذَا أَبُوْ الوَحْشِ جَاءَ مُمْتَدِحاً ... لِلْقَوْمِ نَوْهُ بِهِ إِذَا وَصَلاَ

ومنها:

وَاسْقِهِ المُرَّ إِنْ ظَفِرتَ بِهِ ... وَاخرجْ لَهُ مِنْ لِسَانِكَ العَسَلاَ[1]

ومن غرر شعره الذي قاله في شيزر، ما يرويه الأمير «أبو الفضل إسماعيل ابن الأمير أبي العساكر سلطان بن منقذ» قال أنشدني ابن منير لنفسه:

أَخْلَى فَصَدَّ عَنِ الحَمِيمِ وَمَا اخْتَلاَ ... وَرَأَى الحِمَامَ يَغُصُّهُ فَتَوَسَّلاَ
مَا كَانَ وَادِيهِ بِأَوَّلِ مَرْتَعٍ ... ذَكَرَنْ طَلاَوَتُهُ طَلاَهُ فَأَجْفَلاَ
وَإِذَا الكَرِيمُ رَأَى الخُمُولَ نَزِيلَهُ ... فِي بَلْدَةٍ فَالحَزْمُ أَنْ يَتَرَحَّلاَ

ومنها:

أنا من إذا ما الدهر همّ بخفضه ... سامته همته السماك الأعزلا[2]

وفي شيزر يقف الشاعر لينظر خلفه، ويستجمع ما جرى معه من أحداث في دمشق وما لاقاه من مرارة العيش فيها، فينظم أبياتاً في الشكوى يقول فيها:

عَدِمْتُ دَهْرَاً وُلِدْتُ فِيهِ ... كَمْ أَشْرَبُ المُرَّ مِنْ بَنِيهِ
مَا تَعْتَرِينِي الهُمُومُ إِلاَّ ... مِنْ صَاحِبٍ كُنْتُ أَصْطَفِيهِ
فَهَلْ مِنْ صَدِيقٍ يُبَاعُ حَتَّى ... بِمُهْجَتِي كُنْتُ أَشْتَرِيهِ

ومنها:

وَكَمْ صَدِيقٍ رَغِبْتُ عَنْهُ ... قَدْ عِشْتُ حَتَّى رَغِبْتُ فِيهِ[3]

---

(١) الديوان: ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٢) الديوان: ص١٠٢-١٠٤.

(٣) نفسه: ص٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الأمير أبو الفضل «إسماعيل بن أبي العساكر»: «عمل والدي طستاً من فضة فعمل ابن منير أبياتاً كتب عليه من جملتها:

أَيَا صِنْوَ مَائِدةٍ لأَكْرَمِ مُطْعِمٍ ... مَأْهُولَةِ الأَرْجَاءِ بالأَضْيَافِ
جُمِعتْ أَيَادِيهِ إِلَيَّ أَيَادِيَ الـ ... ـأُلاَّفِ بَعدَ البَذْلِ لِلآلاَفِ
ومِنَ العَجَائِبِ رَاحَتِي مِنْ رَاحةٍ ... مَعْرُوفَةِ المَعْرُوفِ بالإِتْلاَفِ[1]

وقد وصل الأمر بابن منير في شيزر أنه شتم الأمير ابن عساكر سلطان بن منقذ ذات يوم بينما كانا في الحمّام، فاحتمل الأمير الشتم ولم يبد له ما يكره. يقول ابن العديم: «كان ابن منير مقيماً بشيزر في جوار صاحبها أبي العساكر سلطان بن منقذ فخلع عليه ابنه يوماً ثوباً فاخراً، واتفق أنه دخل عليه حاجبه وقال له: الأمير فلان، ولدك يطلب منك الثوب الفلاني، وأشار إلى ثوب فاخر له، فقال: أعطه وقل له: لا تعطه لنحس آخر، ثم ارتأى على نفسه ورأى ابن منير، فاعتذر إليه وقال له: والله ما خطر لي أنك ها هنا، فرمى رجله وقال: والله إنك أمير نحس، فاحتملها ابن منقذ ولم يبد له ما يكره».[2]

* * *

وبالإشارة إلى ما ذكر من أن ابن منير كان يتنقل في البلاد الشمالية من حماة إلى شيزر إلى حلب، ثم إلى إقامته في حماة بسبب مرض أقعده، ومنعه الخروج لمرافقة نور الدين في معاركه، فقد ظل شاعرنا على صلة بالملك العادل نور الدين، والتغني ببطولاته.

وعند مطالعة شعر ابن منير، نجد إشارات واضحة تبين أن شاعرنا قد حلّ بحماة، وأقام بها مدة، فمن ذلك: أنه أنشد نور الدين مادحاً من حماة سنة «٥٤٦هـ» في أثناء حصاره دمشق، ويحرض نور الدين على أخذ دمشق من صاحبها «مجير الدين أبق» وينال منه في شعره، حيث يقول:

---

(١) الديوان: ص١٢٧.

(٢) بغية الطلب ج٣/١١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَبُوكَ أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أباً ورضوا وطء النجوم لفندوا

ومنها:

وَقُلْ لِـ «مبُيرِ الدِّينِ» وهُوَ مُجِيرُهُ بزَعْمٍ لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَزْبَدُ[1]

وفي السنة نفسها كتب ابن منير من حماة لنور الدين قصيدة يهنئه بوصول الخلع من الخليفة العباسي ببغداد «المقتفي لأمر الله»[2] ومطلعها:

لِعَلائِكَ التَّأْيِيدُ والتَّأْمِيلُ وَلِمُلْكِكَ التَّأْبِيدَ والتَّكْمِيلُ[3]

وفي حماة أيضاً كتب قصيدة بعث بها إلى الشيخ «تقي الدين سلامة بن يحيى البققي» طلب منه أن يقرأها على الأشهاد في حماة ليخبرهم أنه أصبح على مذهب أهل السنة والجماعة، وتخلى عن علويته، وما هو بفاعل، وإنما ليتقرب من أهل حماة ويتودد إليهم.[4]

وفي أثناء إقامته في حماة، يشيع خصومه وحساده في حلب نبأ وفاته، فكتب ابن منير رسالة إلى رئيس حلب عفيف الدين بن المستوفي وهو في المرض بحماة، قصيدة سبق ذكرها[5].

* * *

---

(١) الديوان: ص٢٣٠.

(٢) هو أبو عبدالله محمد بن المستظهر، بويع له بالخلافة بعد وفاة ابن أخيه الخليفة العباسي الراشد بالله سنة ثلاثين وخمسماية. كان من أفاضل الخلفاء، توفي وهو ساجد إثر مرض البلغم سنة ستين وخمسماية ثم ملك بعده ابنه المستنجد بالله ابو المظفر يوسف. انظر تاريخ الدول الإسلامية المعروف بالفخري في الآداب السلطانية، محمد بن علي بن الطقطقي ت «٧٠٩هـ» دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص٣١٠.

(٣) الديوان: ص٢٣٨.

(٤) انظر الفصل الأول من هذا البحث «مذهبه». ص٥٨.

(٥) انظر الفصل الأول من هذا البحث «أسرته».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل مدينة حمص هي آخر مدينة نزل بها ابن منير، قبل أن يتجه صوب حلب حيث بلغ به المرض مبلغاً عظيماً، إلى أن توفاه الله هناك. وقد نظم ابن منير بحمص قصائد في مدح الملك العادل نور الدين، ومنها ما ذكره صاحب الروضتين. يقول: «وقد مدح ابن منير نور الدين بظاهر حمص سنة «٥٤٥هـ» في قصيدة مطلعها:

هيهات يعصم من أردت حذار أنّى ومن أوهاقك الأقدار

ومنها:

يَقْظَانَ يَخْشَى اللَّهَ فِي خَلَوَاتِهِ لاَ مُتْرَفٌ لاَهٍ وَلاَ جبَّار[1]

وذكر «أبو شامة المقدسي» في أحداث سنة «٥٤٤هـ» أن نور الدين تسلم قلعة حمص من رئيسها «ينال بن حسان المنبجي»[2] فأنشده ابن منير في القلعة قصيدة أولها:

أَرِحْهَا فَهِيَ أَزْلاَمُ المَعَالِي لَهُنَّ إِلَى الوَغَى تَوْقُ المَغَالِي[3]

وفي سنة «٥٤٦هـ» قال ابن منير قصيدة بحمص في مدح نور الدين ومطلعها:

الدَّهْرُ أَنْتَ وَدَارَكَ الدُّنْيَا وَمَنْ فِي العَدِّ بعَد مُؤَمَّلٌ وَحَسُودُ[4]

وفي سنة «٥٤٦هـ» ولد لنور الدين مولود بحمص سماه «أحمد» فهنأه به ابن منير بقصيدة أولها:

يَا مُحْيِيَ العَدل ويَا مُنْشِرَهْ مِن بَيْنِ أَطْبَاقِ البِلَى وَقَدْ هَمَدْ[5]

---

(١) انظر الروضتين ج١ق١/١٩٠. انظر الديوان: ص٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) ينال بن حسان المنبجي الملقب «قطب الدين» كان عادلاً خيراً، محسناً للرعية، وكان موجوداً حتى سنة «٥٧٨هـ». انظر الكامل في التاريخ ج٩/٣٢٩، ٤٨٤.

(٣) الديوان: ص٢٢٠.

(٤) نفسه: ص٢٤١.

(٥) نفسه: ص١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها:

الفِطْرُ والميلادُ والمَوْلُودُ لَوْ قَابَلَهُ بَدْرُ التَّمَامِ لَسَجَدْ[1]

ثم يعود ابن منير بعدها مع نور الدين المتجه بعسكره إلى دمشق، ولكن نور الدين عاد بالجيش إلى حمص، فقرر ابن منير الذهاب إلى حلب حيث عاوده المرض إلى أن توفي هناك سنة «٥٤٨هـ».

وأشار ابن الفوطي ت «٧٢٧هـ» إلى أن ابن منير قد دخل الموصل، ومدح أمير الأكراد فيها «شمس الدولة أبا الفوارس محمد بن داود بن مهران البشنوي[2]» ويقول في ترجمته لـ «فخر الدين شمس الدولة أمير الأكراد»: «مدحه المهذب ابن منير سنة أربع وثلاثين وخمسماية»[3] ولم أعثر له على بيت من الشعر في هذا المقام.

كما أورد أبو شامة في الروضتين أن ابن منير مدح وزير الموصل «جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي بن أبي منصور»[4] بأبيات منها:

كَسَا الحَرَمَيْنِ لَبْسَةَ عَبْدِ شَمْسٍ وهَاشِمٍ غُرَّتَيْ نَسْلُ الخَلِيلِ

ومنها:

وَكَمْ لِلْمِوْصِلِ الحَدْبَاءِ مِمَّا تُنِيلُ يَدَاهُ مِنْ رِيفٍ وَنَيْلِ[5]

وأما الطور الثاني من حياة ابن منير فهو طور الاستقرار والاطمئنان في ظل آل زنكي، فقد لازم شاعرنا في أخريات حياته منذ سنة «٥٤١هـ» نور الدين زنكي، وخلد بشعره انتصاراته، فبلغت عدة الأشعار التي نظمها ابن منير في جهاد

---

(١) الديوان: ٢٥٠.

(٢) هو فخر الدين شمس الدولة «محمد بن داود بن مهران البشنوي» أمير الأكراد، قال ابن الفوطي مدحه ابن منير سنة أربع وثلاثين وخمسماية، أنظر: تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني الحنبلي ت ٧٢٣هـ، تحقيق مصطفى جواد من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. مديرية إحياء التراث ج٤ق٣/٣٢٤.

(٣) تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب. كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني ت «٧٢٣هـ» تحقيق مصطفى جواد من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مديرية إحياء التراث بغداد، ج٤ق٣/٣٢٤.

(٤) جمال الدين: توفي سنة ٥٥٥هـ عمل رئيساً لديوان الدولة في عهد عماد الدين، ثم وزيراً في عهد الأمير غازي بن زنكي، قال عنه أبو شامة: «عاش بنلاء الجود، وعشا إلى ناديه الوفود، وعادت به الموصل قبلة الاقبال وكعبة الآمال». انظر كتاب الروضتين ج١ق١/١٣٤، «نسخة طبعة دار الجيل» ونسخة طبعة لجنة التأليف/القاهرة ج١/٢١٧. وفيات الأعيان ج١/١٥٦، مختصر تاريخ دمشق ج٣/٣٠٦، تتمة المختصر ج٢/٨٥. عيون التواريخ ج١٢/٤٦٧. الوافي بالوفيات ج٦ق٦/١٩٣، شذرات الذهب ج٤/١٤٦، الغدير ج٤/٣٣١. أمل الآمل ج١/٣٥. روضات الجنان ج١/٢٦١.

(٥) الديوان: ٢٦٨، ٢٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عماد الدين زنكي ونور الدين قرابة (١٢٠٠) ألف ومئتي بيت، ثم استأذن نور الدين في العودة إلى حلب لمرض ألمّ به فكان سبباً في وفاته.

ثقافته:

في مدينة طرابلس نشأ شاعرنا، وتلقى علومه هناك، وتردد على مكتبة «دار العلم» وحفظ القرآن الكريم، وقرأ اللغة والنحو والعروض والقوافي وما يلزم للشاعر[١] مما مكّنه من نظم الشعر يافعاً، وقد ساعده على ذلك أسرته التي دفعته إلى اكتساب المعارف الأولية التي تسعفه على فهم عصره، والاطلاع على الثقافات المختلفة للعصر، الأمر الذي ساعد على صقل مواهبه الأدبية.

وقد كان أبوه «منير» منشداً، ينشد أشعار العوني في أسواق طرابلس، فهو قد نشأ في بيت علم وأدب.

وكان الشعر في عائلته منذ زمن طويل، فقد أشار الأميني «إلى أن جد والد ابن منير «مفلح الطرابلسي» كان شاعراً أيضاً».[٢]

وقد أشادت المصادر، والمراجع بسعة ثقافة شاعرنا، وتعدد معارفه، وجعلته إماماً، ويظهر ذلك مما خُلع عليه من ألقاب لا يوصف بها إلا العلماء.

وقد بلغ ابن منير من العلم درجة رفيعة، فقد كان يعقد مجالس لتدريس الأدب واللغة في مدينة حلب، وفي ذلك قال أبو البقاء علي بن هداب العلثي[٣] «كنت أغشى مجلس أبي الحسين للقراءة عليه مع الجماعة بحلب، فقرأ عليه إنسان «كِلِينِي لِهَمّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِب» فصحفه وقال: «كُلَيْبَتِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ بَاضَتْ» فقال

---

(١) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/١٠٠. مرآة الزمان ج٨ق١/٢١٧. وفيات الأعيان ج١/١٥٦. مختصر تاريخ دمشق ج٣/٣٠٦. تتمة المختصر ج٢/٨٥. عيون التواريخ ج١٢/٤٦٧. الوافي بالوفيات ج٦ق٨/١٩٣. شذرات الذهب ج٤/١٤٦. الغدير ج٤/٣٣١. أمل الآمل ج١/٣٥. روضات الجنان ج١/٢٦١.

(٢) انظر: الغدير ج٤/٣٣٧.

(٣) أبو البقاء علي بن هداب العلثي: لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له ابن منير: ويحك! أما علمت أن كل سكّاء[١] تبيض، وكل ذات أذنين تحيض؟ فقال بعض من حضر، والله لقد انتفعنا بتصحيفه أكثر مما انتفعنا بصحيحه».[٢]

ومن تتبع شعر ابن منير، أستطيع القول بأن مصادر ثقافته هي:

أولاً: بيئة طرابلس العلمية، وما احتوته هذه المدينة من العلماء، والأدباء والاساتذة ومنهم:

القاضي ابن أبي روح.[٣] والأديب الأستاذ «الطليطلي»[٤]، الذي كان أستاذاً للشاعر ابن الخياط، والشاعر أسامة بن منقذ، وقد تتلمذ له عدد غير قليل من الشعراء والأدباء الذين كانوا من طلبة «دار العلم»، وأرجح أن يكون ابن منير واحداً منهم.

ثانياً المذهب الديني، فما من شك أن للمذهب والمعتقد أثراً كبيراً في فكر الشاعر ونتاجه الأدبي، وهذا ما لمسناه من شعر ابن منير، فقد كان الشاعر شيعي المذهب، وسأعرض لذلك في الصفحات التالية.

ثالثاً: اطلاعه على الموروث الشعري القديم الذي تمثل بمحاكاة بعض الشعراء ممن سبقوه مثل أبي العتاهية، فقد مدح ابن منير عماد الدين زنكي سنة «٥٣٤هـ» عندما فتح حصن «بارين» وهزم ملوك الفرنج فقال:

فَدَتْكَ المُلوكُ وأيّامُها ... وَدامَ لِنَقْضِكَ إبْرامَهـا
وَزَلّتْ لِعَيْنكَ أقْدامُها ... وَزَالَ لِبَطْشِكَ إقْدامَها[٥]

---

(١) سكّاء: صغيرة الأذن. انظر تاريخ إربل ق١/٢٩١.

(٢) تاريخ إربل ق١/٢٩١.

(٣) القاضي بن أبي روح: هو أسعد بن أحمد بن أبي روح، أبو الفضل القاضي الطرابلس، من أكابر قضاة طرابلس وعلمائها، كان رأساً للشيعة في الشام، توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى من الفتح العربي، حتى سقوط الإمارة الصليبية ٢٥-٦٦٨هـ / ٦٤٦ -١٢٨٩م،د. عمر عبدالسلام تدمري، مؤسسة فلسطين للتأليف والترجمة، ١٩٧٢، ص٩٢، ٩٣.

(٤) الطليطلي: هو أحمد بن محمد أبو عبدالله الطليطلي النحوي، توفي سنة ٥١٢هـ. انظر الحياة الثقافية في طرابلس ص٩٩.

(٥) الديوان: ص١٩٤، ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تأثر ابن منير في هذه القصيدة بقصيدة أبي العتاهية في مدح المهدي التي مطلعها:

أَلاَ مَا لِسَيِّدَتِي مَالَهَا ... أَدَلَّتْ فَأَجْمَلَ إِدلاَلَهَـا
وإلاَّ فَفِيمَ تَجَنَّتْ وَمَـا ... جَنَيتَ وسَقَى اللّهُ أَطْلاَلَهَا[1]

ومن المحاكاة قول ابن منير:

وَلَوْ لَمْ تُسْلِمْ إِلَيْكَ القُلُـو ... بُ هَوَاهَا لَمَا صَحَّ إِسلاَمُهَا[2]

وهذا مأخوذ من قول أبي العتاهية:

وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَنَاتُ القُلُوبِ ... لَمَا قَبِلَ اللّهُ أَعْمَالَهَا[3]

ومن اطلاعه على الموروث القديم، حفظه لبعض كتب الأدب مثل كتاب «الجمهرة» لأبي بكر بن دريد[4].

رابعاً: علاقات الشاعر بمختلف جوانبها، سواء أكانت السياسية مع الحكام والأمراء أم الأدبية مع الأدباء والشعراء، فقد كانت له علاقات ودٍ وصداقة مع الأمراء والوزراء ومدح عدداً غير قليل منهم من أمثال: «بوري طغتكين»[5]

---

(١) ديوان أبي العتاهية «الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية» عني بطبعة الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٤. الطبعة الرابعة ج٢/١.

(٢) الديوان: ١٩٥.

(٣) ديوان أبي العتاهية ج٢/١.

(٤) انظر: بغية الطلب ج٣/١١٥٤.

(٥) بوري طغتكين: هو ابن طغتكين أتابك دمشق، ولد سنة «٤٧٨هـ» كانت سيرته سيرة جميلة قتل سنة «٥٢٦هـ» وأوصى بالولاية لابنه شمس الملوك إسماعيل. انظر الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠هـ. راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ج٩/٢٦٥، مرآة الزمان ج٨/١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدداًمن أمراء شيزر وعماد الدين زنكي، و «جلال الدين بن صدقة»[١] وزير الخليفة المسترشد بالله، والفقيه الحنبلي[٢] الواعظ شرف الإسلام، والملك العادل نور الدين زنكي، وأمير الأكراد البشنوي[٣]، ورئيس حلب عفيف الدين بن المستوفي[٤]، ووزير الموصل «جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور».[٥]

ولعل العيش في ظل قصور السلاطين، وملازمة الأمراء، وكثرة التردد على الوزراء، والكبراء، والأعيان أمور تُكسب صاحبها وعياً سياسياً وثقافياً ينعكس أثره على أدبه وفكره. فمن ذلك قول ابن منير في مدح نور الدين زنكي:

يَا مُحْيِيَ العَدْلِ وَيَا مُنْشِرَهْ مِنْ بَيْنِ أَطْبَاقِ البلَى وَقَدْ هَمَدْ[٦]

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ابن الحنبلي: هو شرف الإسلام عبدالوهاب عبدالواحد أحمد بن محمد بن علي الشيرازي الدمشقي المعروف بابن الحنبلي. توفي سنة ٥٣٦هـ يكنى أبا القاسم، كان على الطريقة المرضية، والخلال الرضيّة. انظر ذيل تاريخ دمشق ص٢٧٥، شذرات الذهب ج١١٣/٤، الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنابلي عبدالرحمن بن شهاب الدين الحنبلي ت ٧٩٥هـ. دار المعرفة بيروت ج١٩٨/١.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت الإشارة إليه.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) الديوان: ١٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها:

مَحَوْتَ مَا أَثْبَتَهُ الجُودَ مَضَى ... عَلَيْهِ إِخْلَادُ اللَّيالِي فَخَلَدْ
مِنْ كُلِّ مَكَّاسٍ يَظَلُّ قَاعِداً ... لِمَا يَسُوءُ المُسْلِمِينَ بالرَّصَدْ
كَانَتْ لأَرْجَاسِ اليَهُودِ دَوْلَة ... أَزَالَهَا مِنْكَ الهَصُورُ ذُو اللَّبَدْ[1]

ففي هذه الأبيات نلاحظ وجود ثقافة سياسية لدى الشاعر تتمثل في استخدام بعض الألفاظ المجتزأة من المعجم السياسي، مثل العدل، الجور، المكّاس، الرصد، أرجاس، دولة، وهنالك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إليها بخاصة في شعره الحماسي الذي قيل في الجهاد.[2]

وأما علاقة الشاعر ببعض الأدباء والشعراء من أبناء عصره، فقد كان لابن منير مع بعض الشعراء مكاتبات ومساجلات، ووقع بينه وبين بعضهم معارضة ومهاجاة، ظهر ذلك جلياً في الشعر.[3]

ومما تقدم، نلاحظ أن هذه المصادر وغيرها قد ساعدت على تشكيل شخصية ابن منير الثقافية ورسمت معالمها على النحو الذي رأيناه في شعره.

وقد ظهرت ثقافة ابن منير في شعره من لغته وأسلوبه الشعري، فبالإضافة إلى استخدامه لغة سهلة واضحة، لجأ إلى استخدام الغريب من اللغة والمهجور منها لإثبات المقدرة اللغوية والثقافة العامة، وكذلك، فقد تلونت أساليب التعبير وكثرت لتدل على سعة ثقافة الشاعر، وتملكه لناصية الأدب.[4]

شيوخه:

لم تذكر لنا الكتب التي ترجمت لابن منير اسم شيخ من شيوخه الذين درس عليهم، وإذا كانت الكتب القديمة قد أغفلت ذكر أحد من شيوخه، فإنني قد أستطيع

---

(١) الديوان: ص١٨٧.

(٢) نفسه: ص١٨٧-٢٧١.

(٣) انظر: الفصل الأول من هذا البحث «علاقة ابن منير بشعراء عصره».

(٤) انظر: الفصل الثالث «اللغة والأسلوب».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإشارة إلى بعضهم وذلك بجمع الإشارات الواردة في بطون الكتب من هنا وهناك.

وأول شيوخه هو والده «منير بن أحمد الطرابلسي» هذا ما أشارت إليه معظم الكتب التي ترجمت لابن منير، فقد ذكرت أن أباه كان شاعراً يتمتع بصوت حسن، ويغني في أسواق طرابلس، ذاكراً آل البيت، ومادحاً إيّاهم، ومنشداً قصائد العوني، وبالتالي من الطبيعي أن يسمع الفتى الناشئ من أبيه.

ومن شيوخه القاضي أسعد بن أحمد بن أبي روح «أبو الفضل الطرابلسي»[١] أحد العلماء الذين أشرفوا على دار العلم، ودرسوا بها قبيل الغزو الصليبي للمدينة سنة ٥٠٢هـ، ثم الشيخ أحمد بن محمد بن أبي عبدالله الطليطلي[٢] النحوي، الذي تسلم إدارة دار العلم أيضاً، وممن درّس بها في أثناء اختلاف ابن منير إليها.

تلاميذه ورواة شعره:

ذكر ابن العديم طائفة منهم، هم: الأمير أبو الفضل إسماعيل بن سلطان بن منقذ ت «٥٦١هـ»[٣]، وأبو عبدالله الحسن بن علي بن أبي جراده ت «٥٥٥هـ»[٤]، والخطيب أبو طاهر هاشم بن أحمد بن هاشم[٥]، وأبو القاسم عيسى بن أحمد المعروف بـ «الحنيك»[٦]، ويحيى بن سعد بن ثابت الحلبي المعروف بابن المراوي[٧]، وأبوالحسن علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي ت «٥٩٩هـ»[٨]، ومجد العرب

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) انظر: ترجمته الأنساب ج١/ ٣٠٠، بغية الطلب ج٢/ ٧٥، النجوم الزاهرة ج٥/ ٣٣١.

(٥) انظر ترجمته: بغية الطلب ج٢/ ٧٥.

(٦) انظر ترجمته: نفسه ج٢/ ٧٥.

(٧) انظر: نفسه ج٢/ ٧٥.

(٨) هو الواعظ زين الدين الحنبلي المعروف بابن نجيّة، ولد سنة ٥٠٨هـ بدمشق وتوفي بمصر سنة ٥٩٩هـ، انظر ترجمته: مرآة الزمان ج٨/ ٥١٥، بغية الطلب ج٢/ ٧٥، وفيات الأعيان ج٢/ ٥٣٠، البداية والنهاية ج١٢/ ٣٤، النجوم الزاهرة ج٦/ ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامري[١] ت «٥٧٣هـ» و «الحكيم بن نافع بن أبي الفرج الحلبي»[٢] وأبو محمد عبدالله بن أحمد الحميري الكاتب[٣] وقاضي العسكر بحلب محمد بن يوسف بن الخضر[٤] و يحيى بن سعيد الحريري[٥] و «أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد الخشاب الحلبي»[٦] و عبدالوهاب بن سالم بن أبي الحسن أبو المكارم[٧] الذي ذكره ابن العديم وقال: إنه نسخ ديوان ابن منير بخط يده نقلها عن الأصل، ونقل منها ابن العديم.

وذكر ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت «٧٧٥هـ» في ترجمته لعبد الوهاب الحنفي الدمشقي: «أنه كان راوية لشعر ابن منير في بغداد، ومن رواة شعره أبو البقاء علي بن هداب العلثي.[٨]

وقدْ أورد صاحب الخريدة من رواة شعره:

الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ[٩]، والشيخ بدر الدين يونس بن حمد ابن محمد الفارض[١٠]، وإبراهيم بن محمد القيسي الذي كان صديقاً لابن منير، وعنده اختفى لما اختبأ في مسجد الوزير بظاهر دمشق[١١]. و الحسين بن عبدالله العباسي

---

(١) انظر: خريدة القصر ج١ق١/٧٩، بغية الطلب ج٢/٧٥، معجم الأدبا، ج٥/٢٢٧.

(٢) انظر: بغية الطلب ج٢/٧٥.

(٣) انظر: نفسه ج٢/٧٥.

(٤) انظر: نفسه ج٢/٧٥.

(٥) انظر: نفسه ج٢/٧٧.

(٦) انظر: نفسه ج٢/٧٦.

(٧) انظر: نفسه ج٢/٨٠.

(٨) لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

(٩) انظر: الخريدة ج١ق١/٧٦، انظر الفصل الأول من هذا البحث «ابن منير وشعراء عصره».

(١٠) انظر الخريدة ج١ق١/٨١.

(١١) انظر: نفسه ج١ق١/٨٠، مرآة الزمان ج٨ق١/٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلبي[١] و قاضي السويداء أبا المجد[٢]، و الشريف فخر الدين أبا البركات العباس ابن عبدالله العباس الحلبي[٣] وأبا العباس أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد البغدادي المقرئ العراقي الذي ذكره ابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، قائلا: «لقي المهذب ابن منير الشاعر بحلب وروى عنه»[٤]، وقد ذكره أيضاً صاحب أعيان الشيعة.[٥]

مذهبه:

كان ابن منير شيعي المذهب، مغالياً في علويته، متطرفاً في رافضيته، فكان ذلك سبباً في شقائه واضطهاده، وعدم استقراره، وقد حاول أن يتخلى عن مذهبه ظاهرياً، ليصبح حموياً، أموياً، وليهنأ في العيش وسط قوم ينكرون عليه تطرفه في اعتقاده، بل إن تشيعه قد سبب له خلافات خطيرة، كادت تقضي عليه، وتودي به إلى قطع لسانه، وصلبه، فنظم القصيدة التي تعد شاهداً كبيراً واعترافاً صريحاً على أنه شيعي المذهب، نظم هذه القصيدة في أثناء إقامته في حماة ودفع بها إلى الشيخ تقي الدين أبي الخير أمين الملك «سلامة بن يحيى البقفي»[٦]، يقول فيها:

قُلْ لابْنِ يَحْيَى مَقَالَ غَيرِ غَوِ ... اشْهَدْ مِنَ الآن أَنَّنِي حَمَوِيّ
لاَ رَافِضِيٌّ غَثٌّ أُقِيمُ عَلَى الـ ... ـشَّيْخَيْنِ سُوقَ البُهْتَانِ بَلْ أَمَوِيّ
لَمْ أَنْتَفِعْ مُذْ أَقَمْتَ فِي حَلَبٍ ... طَرْفَةَ عَيْنٍ بِأَنَّنِي عَلَوِيّ
وَأَنَّ قَلْبِي جَوٍ لأَيَّامِ صِفْـ ... ـينَ وَدَائِي مِنْ كَرْبَلاَءَ دَوِ

---

(١) انظر: الأنساب ج١/٣٠٣، الخريدة ج١ق١/٧٩.

(٢) انظر: الخريدة ج١ق١/٨٢، وفيات الأعيان ج١/١٥٨.

(٣) انظر: الخريدة ج١ق١/٧٦، بدائع البدائه، علي بن ظافر الأزدي ت ٦١٣هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٧٠م. ص١٥٢.

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ت ٧٩٥هـ. دار المعرفة بيروت ج١/٣٧٦.

(٥) أعيان الشيعة، ج١/١٤٨.

(٦) سلامة بن يحيى البقفي: لم أجد له ترجمة في كتب التراجم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَصْنَعُ بِي كَهْلُهَا وَيَافِعُهَا ... مَا يَصْنَعُ الحَنْبَلِيُّ بِالثَّنَوِي
كَأَنَّمَا عَايَنُوا مُعَاوِيَةَ ... يَلُوحُ مِن نَقْشِ فَصِّ الغَرَوِي
لاَ أَدَبٌ عَاطِفٌ عَلَى أَدَبِي ... بَلْ كُلُّ وَجْهٍ دَنَوْتُ مِنْهُ زَوِي
فَالرِّزْقُ لاَ مُصْقَبٌ وَلاَ أُمَمٌ ... حَتَّى كَأَنِّي خُلِقْتُ غَيْرَ سَوِي[1]

تؤكد هذه القصيدة أن ابن منير شيعي رافضي، وأنه لقي في سبيل تشيعه السوء والأذى من معاصريه، وها هو ذا يتقرب من ابن يحيى كبير شيوخ حماة، في عصره، ويشهده على نفسه ليعلن أمام الناس أنه غدا حموي المذهب، أي سنياً، لأن أهل حماة كانوا كلهم من أصحاب المذهب السني، وليبعد عن نفسه أذى المعاصرين، ويتخلص من هذا الإعراض وهذه العزلة.

وغنيٌ عن البيان أن الإشارات والمصطلحات الدالة على تشيعه في هذه القصيدة، كثيرة تُوّجت باعترافه بما كان عليه مذهبه، وتراجعه عنه.

ومن تتبع شعر ابن منير، نجد إشارات، وتصريحات كثيرة لابن منير، تبين أنه من دعاة هذا المذهب، ولعل أدلّ مثالٍ يؤكد رافضيته، وغلوه في علويته، القصيدة «التترية» المشهورة، التي أرسلها لنقيب الأشراف بالعراق «السيد المرتضى الموسوي» والتي يطلب إليه فيها إعادة المملوك «تتر» ويهدده بالعدول عن التشيع والالتحاق بالركب السنّي.

قال صاحب كتاب «أمل الآمل» عن القصيدة «التترية»[2]. : «أذكر منها

---

(١) الديوان: ص١٥٢.

(٢) ما قيل في مناسبة هذه القصيدة: أن ابن منير هاجر إلى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي، نقيب الأشراف بها، وكان الشريف من كبار الشيعة، فلما دخل بغداد جهز إلى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه «تتر» الذي سارت الركبان بغرامه فيه، فأخذ الشريف الهدية، واستحسن المملوك، فأبقاه، وقصد أن يعوضه عن ذلك بأضعافه، فلما شعر ابن منير بذلك التهب على مملوكه، وكتب إلى الشريف هذه القصيدة. انظر:=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبياتاً دالة على تشيعه منها قوله»:[1]

بالْمَشْعَرِيـــنِ وبالصَّفَـــا ... والبَيتِ أُقْسِـــمُ والحَجَـــرْ
وبِمَنْ سَعىَ فِيـــهِ وطَـــا ... فَ ولبَّـــىَ واعْتَمَـــرْ
لَئن الشَّرِيفَ المُوَسَـوِيّ ... ابنَ الشَّرِيفِ أَبِي مُضَـــرْ
أَبدَى الجُحُودَ وَلَمْ يَـرُدَّ ... إِلـــيَّ مُلْوكِـــي تَتَـــرْ
وَآليتُ آلَ أُمَيَّـــةَ الـــ ... ـــطهرِ المَيامِـــينِ الغُـــرَرْ
وَجَحدتَ بَيعـــةَ حَيْدَر ... وَعَدلتَ عَنْـهُ إِلَى عُمَـــرْ
وأَكذَّبَ الرَّاوِي وأَطعـنُ ... فِـي ظُهـــورِ المُنْتَظَـــرْ
وإِذَا رَوَوا خَبَرَ «الغَدِيرِ» ... أَقُولُ: مَا صَـــحَّ الخَبَـــرْ
وإِذَا جَرَى ذِكْرُ الصَّحَـــا ... بَةِ بَيْنَ قَـــومٍ واشْتَهَـــرْ
قُلتَ: المُقَدَّمُ شَيخُ تَيْـــ ... ـــمٍ ثُمَّ صَاحِبُـــهُ عُمَـــرْ
مَا سَلَّ قَطُّ ظُبىً عَلـــى ... آلِ النَّـــبِـيِّ وَلاَ شَهَـــرْ
كَلاَّ وَلاَ صَـــدَّ البَتَـــو ... لُ عَنِ التُّراثِ وَلاَ زَجَـــرْ
وَأَثَابَهَا الحُسْنَـــى وَمَـــا ... شَقَّ الكِتَـــابَ وَلاَ بَقَـــرْ
وَأَقُـــولُ أُمُّ المُؤمِنِـــ ... ـــينَ عُقُوقُها إِحْدَى الكَبَـــرْ
رَكِبَتْ عَلَى جَمَلٍ وَسَـــا ... رَتْ بَينَها فِـــي زَحَـــرْ
وَأَتَتْ لِتُصْلِـــحَ بَيْنَ جَيْـ ... ـشِ المُسلِمِينَ عَلَى غُـــرَرْ
فَأَتَا أَبُوَ حَسَـــنٍ وَسَـــ ... ـلَّ حُسَامَهُ وَسَطَا وَكَسَـــرْ
وَأَذَاقَ إِخْوَتَـــهُ الرَّدَى ... وَبَعِيـــرَ أُمِّهِـــمُ عَقَـــرْ
وَأَقُـــولُ إِنَّ إِمَامَكُـــمْ ... وَلِـــيُّ بِصِفِّـــينٍ وَفَـــرّ
وَأَقُولُ إِنْ أَخْطَـــا مَعَـا ... وِيَةُ فَمَا أَخْطَـا القَـــدَرْ
هَذَا وَلَـمْ يَغْـدُرْ مَعَـا ... وِيَةُ وَلاَ عَمْـــرٌو مَكَـــرْ

= ثمرات الأوراق في المحاضرات ص٢١٦، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ص١٧٦، أعيان الشيعة ج١٠/١٥٣، الغدير ج٤/٣٢٧، أمل الآمل ق١/٣٧، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ج٢/٦٠٨، الديوان من ص١٥٨-١٧١.

(١) أمل الآمل، الحر العاملي ق١/٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَأَقولُ ذَنْبُ الخارجـ ... ـينَ عَلَى عَليَ مُغْتَفَرْ
وَحَلَقْتُ فِي عَشْرِ المُحَرَّ ... مِ مَا اسْتَطَالَ مِنَ الشَّعَرْ
وَنَوَيْتُ صَوْمَ نَهَارِهِ ... وصِيامَ أَيّامٍ أُخَرْ
وَغَسَلْتُ رِجْلِي حاضِراً ... ومَسَحْتُ خُفَّي فِي السَّفَرْ
آمِينَ أَجْهَرُ فِي الصَّلا ... ةِ كَمَنْ بِهَا قَبْلِي جَهَرْ[1]

وهذه القصيدة دليل ثانٍ على تشيع ابن منير، فمن القرائن الدالة على ذلك:

- قسمه بالمشعرين وبالبيت الحرام، وبالحجر الأسود وبالحجاج والمعتمرين.
- قوله «وآليت آل أمية» وجحدت بيعة حيدر و«عدلت عنه إلى عمر».
- أنه كان يصدق الراوي ويصدق ظهور الإمام المنتظر ويصدق خبر الغدير.
- أنه كان يسب الصحابيين الجليلين «أبا بكر وعمر» رضي الله عنهما.
- الإشارة إلى قضية اتهام عثمان بن عفان باغتصاب الخلافة.
- القدح في سيرة عثمان وعائشة رضي الله عنهما.
- ذكر حادثة صفين وما حدث بالشيعة.
- اتهام معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بالخيانة والغدر.
- اتهام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بالفسق وأنه فاجر مسرف في شرب الخمور.
- هنالك إشارات كثيرة حول الفقه الشيعي في الطهارة والصلاة، ولا مجال لذكرها.

وتجدر الإشارة إلى أن صاحب أمل الآمل قد علق في نهاية هذه الأبيات بقوله: والعجيب أن بعض العامة، ذكر أن هذا الرجل كان شيعياً، فرجع عن مذهبه، إلى التسنن، واستدل بهذه القصيدة، وغفل عن الشرط، والجزاء وما عقب عليه».[2]

---

(١) الديوان: ص١٦١-١٦٩.

(٢) الديوان: ص١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشرط قول ابن منير:

لَئن الشَّريفُ المُوسَويَّ ابنُ الشَّريفِ أَبي مُضَرْ
أبْدَى الجُحُودَ ولَمْ يَرُدَّ إليّ مَملوكِي تَتَرْ.[1]

وأما الجزاء فقول ابن منير:

وإلَى الشَّريفِ بَعَثْتُهَا لَمَّا قَرَاهَا فَانْبَهَرْ
رَدَّ الغُلامَ وما استَمَـ ـرَّ على الجُحودِ ولا أَصَرْ
وأَثَابَنِي وجَزَيْتُهُ شُكْراً وقَالَ لَقَدْ صَبَرْ
وأَظْفَرُ مِنْهُ بالمُنَى والصَّبْرُ عُقْبَاهُ الظَّفَرْ[2]

وأما ما عقب الجزاء: أنه عندما وصلت هذه القصيدة إلى الشريف، ضحك وقال: قد أبطأنا عليه، فهو معذور، وجهز المملوك مع هدايا حسنة، فمدحه ابن منير بقوله:

إلى المُرْتَضَى حثَّ المَطَايَا فإنَّهُ إمَامٌ عَلَى كُلِّ البَرِيَّةِ قَدْ سَمَا
تَرَى النَّاسَ أَرْضاً فِي الفَضَائِلِ عِنْدَه وَنَجْلُ الزَّكِيِّ الهَاشِمِيِّ هُوَ السَّمَا[3]

ولدى النظر في شعر ابن منير نجد أن هنالك إشارات متفرقة تبين تشيع ابن منير فمن ذلك:

* هجومه على بني أمية وتجريدهم من إسلامهم ونعتهم بالنفاق إذ يقول:

نَفَرٌ مِنْ أُمَيَّةَ نَفَرَ الإسْـ ـلامُ نَفُورَ إبَاقْ
أَنْفَقُوا فِي النِّفَاقِ مَا غَصَبُوهُ فَاسْتَقَامَ النِّفَاقُ بِالاتِّفَاقْ[4]

ومن الأفكار والمعتقدات الشيعية عدم جواز خروج الخلافة من آل البيت،

---

(١) الديوان: ص١٦٩.
(٢) الديوان: ص١٦٩.
(٣) الديوان: ص١٧١.
(٤) الديوان: ص١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللإمام بيعة في عنق كل فرد من الرعية، ولا يصح إسلامه إلا بها، وهذا ما أشار إليه ابن منير في معرض مديحه لنور الدين زنكي بقوله:

ولَوْ لَمْ تُسْلِم إِلَيْكَ القُلُو بُ هَوَاهَا لَمَا صَحَّ إِسْلَامُها[1]

ومن المعتقدات الشيعيّة المنتشرة في شعره موقفه من الخلفاء الراشدين الذين استلموا الخلافة قبل «علي بن أبي طالب» واتهامهم باغتصاب الخلافة.

وقد دخل شعره كثير من الألفاظ المستخدمة في المذهب الشيعي مثل:

«البيعة، حيدر، آل البيت، العترة، الراوي، الإمام المنتظر، عاشوراء، الخبر المعنعن، الوصي، الولاء، صفين، الهداية والنظر، ضال وضُلاّل، الغدير، الشريف، الخارجين».

ومما يسجل لابن منير في هذا الصدد أنه في أخريات حياته، لازم عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي، وكتب فيهما شعراً يفيض حماسة، وتشوقاً إلى تحرير بلاد المسلمين من الفرنج، ويتسامى في قصائده الحماسية عن الصغائر أو السفاسف من العنعنات المذهبية وغيرها فيكبر في عين تلاميذه ورواة شعره، بل ومن يطلع على نتاجه، وبذلك، يؤكد عظمة هذا الدين، وصدق الانتماء إليه، ويبرهن على ما وصل إليه الشاعر من نضوج ووعي كبيرين.

---

(١) الديوان: ص١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن منير وشعراء عصره:

امتد رواق الأدب في عصر ابن منير ليشمل عدداً كبيراً من الشعراء، فقد غزر إنتاج الشعر في زمن الحروب الصليبية، وكثر قائلوه، منهم البارع المشهور وهناك المقل وغير المعروف.

ومن شعراء العصر من كانت لابن منير معه علاقة ودٍ وصداقة، ومنهم من كانت له علاقة خصومة ومنافسة، ومنهم من التقى به ومنهم من لم يشاهده، ومن الضرورة بمكان أن أشير إلى أن معظم شعراء العصر لم تصلنا دواوينهم بمن في ذلك «ابن منير الطرابلسي»، الذي فُقد ديوانه، وما وصلنا من مختارات وقصائد لشعراء العصر غير كاملة، لا تمثل العصر، وليس بمقدور الباحث أو الدارس الإلمام بجميع جوانب الصورة، فالصورة التي يحاول الدارس رسمها للشعر والشعراء في هذا العصر صورة جزئية.

ويطول بنا القول لو أننا عددنا الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر، مع تعدد نواحيهم، وربما كان أدلهم على عصره، وممن كانت له علاقة بابن منير:

مع ابن القيسراني[1] "٤٧٨هـ - ٥٤٨هـ":

تجمع المصادر على أن علاقة ابن منير بالقيسراني، كانت علاقة تشوبها المشاحنات والمكاتبات والأجوبة، والمهاجيات، وبعضهم شبهها بعلاقة جرير بالفرزدق[2]. وفي ذلك يقول ابن كثير في حوادث سنة «٥٤٨هـ»: «وفيها كانت

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن نصر بن صغير المعروف بالقيسراني، الملقب بـ «شرف الدين» ولد في مدينة عكا سنة "٤٧٨هـ» وتوفي في دمشق في الثاني والعشرين من شعبان سنة «٥٤٨هـ».

انظر ترجمته: خريدة القصر. قسم شعراء الشام ج١ق١/٩٦-١٦٠، معجم الأدباء ج١٩/٨، ٦٤، ١٢٧. معجم البلدان ج١٥/١٠٥. الروضتين ج١ق١، مواضع متعددة جداً، وفيات الأعيان ج١٦/٢. سير أعلام النبلاء ج٢٠/٢٢٤، ٢٢٥. النجوم الزاهرة ج٥/٢٨٤، ٢٩٩، ٣٠٢، ج٦/٣٤٧، ج٧/٢٠٩.

(٢) انظر: الخريدة قسم شعراء الشام ج١ق١/٧٦. معجم الأدباء ج١٩/٤٦. العبر في خبر من غبر ج٤/١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاة الشاعرين القرينين الشهيرين في الزمان الأخير بالفرزدق وجرير، وهما أبو الحسين أحمد بن منير الجوني بحلب، وأبو عبدالله محمد بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق».[١]

وقد ساعد على وجود هذه العلاقة من المهاجاة والمعارضة فيما بينهما عوامل عدّة، من أهمها:

أ- أنهما كانا شاعري الشام في زمانهما، وينظر كل واحد منهما للآخر نظرة المنافس، والمنافسة تفرض المعارضة والمهاجاة.

ب- أنهما كانا يختلفان في المذهب، فالقيسراني سنّي،[٢] وابن منير رافضي شيعي بإجماع المصادر كافة، والاختلاف في المذاهب قد يولد تضارباً في وجهات النظر، والمخالفة والمعارضة.

جـ- علاقة الودّ والصداقة التي كانت تربط ابن منير بكثير من الأمراء، والوزراء والأعيان أثارت مكامن الغيرة والحسد عند ابن القيسراني، فدفعته للوقوع في مباراة ابن منير، ومعارضته، ومهاجاته، في حين أن ابن منير كان يترفع عن الوقوع في معارضة القيسراني، والرتوع في مرعى مناقضته.[٣]

ولم يثبت الديوان ومجموع شعر ابن القيسراني، سوى هذين البيتين اللذين قالهما ابن القيسراني في ابن منير، وكان قد هجاه:

ابنَ مُنِيرٍ قَدْ هَجَوْتَ مِنِّي ... خَبَراً أفَادَ الوَرَى صَوَابَهْ

وَلَمْ تُضَيِّقْ بِذَاكَ صَدْرِي ... فَإنَّ لِي أُسْوَةً الصَّحَابَهْ[٤]

وورد في ديوان ابن منير بيتان من الشعر في هجاء ابن القيسراني، ضمن

---

(١) البداية والنهاية ج١٢/١٤٩.

(٢) انظر: الخريدة ج١ق١/٧٦. سير أعلام النبلاء ج٢٠/٢٢٤.

(٣) انظر: ذيل تاريخ دمشق ص٣٢٢. الخريدة ج١ق١/٧٩. مخطو مسالك الأبصار ج١٥/٥١٨.

(٤) الديوان ص٣١، شعر ابن القيسراني تحقيق ودراسة د. عادل جابر صالح، الناشر الوكالة العربية للنشر والتوزيع، الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسالة التي بعث بها ابن منير إلى رئيس حلب عفيف الدين المستوفي[١] عندما وصل الخبر من حلب إلى ابن منير وهو في حماة في أثناء مرضه، أنه توفي، فبعث ابن منير رسالة إلى رئيس حلب تتضمن تسعة وتسعين بيتاً من الشعر، ينال فيها من خصومه، وأعدائه، وحسّاده. منهم ابن القيسراني وهي قصيدة طويلة، مليئة بالفحش والبذاءة، وقد عرّض ابن منير بالقيسراني، وسلوكه مع عياله، ووصف جشعه وطمعه وحرصه على الدنيا، من خلال أخذه أموال زوجته وكنزها عند ابنه خالد، في الوقت الذي تكون زوجته وأولاده بأمس الحاجة إلى ما ينفق عليهم، ويصور جشعه، وبخله، ودناءته فيقول:

أَتُرَانِي أَكَلْتُ جَذْرَ عِيالِي ... مِثْلَ مَا كَانَ يَفْعَلُ الْقَيْسَرَانِي
أَمْ كَنَزْتُ الْفُلُوسَ فِي خَالِدِ ابْنِي ... عَامَ قَادَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سِنَانِ[٢]

ومن قصيدة أخرى غير موجودة في الديوان أثبتها في ملحق هذا البحث[٣] هذا مطلعها:

يَا طَوَيْسَ الشُّؤْمِ هَذِي الحَرَكَهْ ... أَلْحَقَتْ جِلَّقَ بِالْمُؤْتَفِكَهْ[٤]

تقوم القصيدة على وصف ابن القيسراني بالشؤم بحيث إنه لو وضع رجله تحت كيوان لهدم، وإن شؤم رجله أشد من سم العقرب، ومن أصابه بعينه فقد هلك، ويدعو في القصيدة حاكم دمشق «مجير الدين» أن يخرجه من دمشق إن كان حريصاً على أهله وملكه من الضياع والهلاك، يقول:

لك رجل قطعت لو جمعت ... تحت كيوان لهدّت فلكه
شؤمها أسرى من السم فما ... ربّ للملسوع إلا أهلكه
يا مجير الدين من دلّ على ... ربعك المأهول هذي الهلكة

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الديوان: ص١٥٤.

(٣) لقد تفضل الدكتور «شفيق الرقب» بإعطائي عدداً من قصائد ابن منير، لم تنشر في الديوان، كان قد حصل عليها من مكتبة الأمبروتريانا/ايطاليا. فإليه شكري وتقديري وامتناني.

(٤) ملحق الرسالة. ص ٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَنْ إذا لاَحَق شَملاً بَتَّهُ وإذَا عَنَّ لِوَصْلٍ بَتَّكَـهُ[١]

وفي باقي القصيدة فحش وإقذاع وسباب.

وقد أشار الشاعر «أبو الحكم المغربي» إلى العلاقة بين الشاعرين في قصيدتين، رثى المغربي فيها ابن القيسراني، وجاء على ذكر ابن منير فيهما فيقول:

مُذْ تُوُفِّي مُحمد القَيْسَراني هَجَرَتْ لَذَّةُ الكَرى أَجْفَانِي

ومنها: «يقول على لسان ابن القيسراني»

وَأَرانِـي أَمـوتُ يَومِـي هَـذَا وَلَئِن فَاتَنِي فَيومِـي الثَّانِـي
فَاكْتُموا جَفْوَتِي عَن ابْـنِ مُنيـرٍ وادْفَنُونِي سِراً لِكَيْ لا يَرَانِي
فَهوَ مِنْ أَشْمَتِ الأنامِ إذا مِتُّ وعِنْدِي مِن عَتبِـهِ مَـا كَفَانِـي
وَهُو لَوْ كَانَ فِي الجِنانِ لأَسْرَعْتُ فِـراراً مِنْـه إلـى النِّيـران[٢]

ويقول «أبو الحكم المغربي» في قصيدة أخرى يرثي ابن القيسراني أيضاً:

مُذْ تَوفَّي مُحَمَّدُ بنُ صَغِير هَمَلَتْ مُقْلَتِي بِدَمْعٍ غَزِيرْ

ومنها:

ثُمَّ عَهْدِي بِـهِ وَقَـد أَنزَلُـوهُ القَبرَ مَا بَيْنَ مُنكَـر وَنَكِيـرْ
وَقَد اسْتَولَيَـا عَليـهِ فَهـذَا بِجَـرابٍ وَذَا بِنَعْـلٍ فَطِيـرْ
ثُمَّ لَم يَكْتَـرِثْ بِذلِـكَ لَـولاَ مَـا رَأى شَمَاتَـةَ ابْـنِ مُنيـرْ
عِنْدَمَا جَاءَهُ يُقَهْقِهُ ضَحِكاً وَيُنَـادِي هَـذا مِـن التَّعْثِيـرْ
فَتَلَقَّاهُ بِالخُصُومَةِ والشَّتْـمِ وَجَذْبِ اللِّحى وَنَتْفِ الشُّعُورْ

إلى قوله:

وَغَداً يَسْتَجِيرُ فِي القَبرِ بِالمَوْتَى وَلا يَلتَقِي لَهُ مِنْ مُجِيرْ[٣]

---

(١) ملحق الرسالة ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) عيون التواريخ ج١٢/ ٤٨٠.

(٣) نفسه ج١٢/ ٤٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر ابن خلكان شيئاً من مناكفة الشاعرين لبعضهما فقال: «كان بالشام شاعران، ابن منير وابن القيسراني، وكان ابن منير كثيراً ما يبكّتُ ابن القيسراني بأنه ما صحب أحداً إلا نكس، فاتفق أن أتابك عماد الدين زنكي، صاحب الشام غناه مغن على قلعة جعبر -وهو يحاصرها- قول الشاعر:

وَيْلي مِنَ الغَضْبَانِ إذَا نَقَلَ الـ ... واشي إليه حديثاً كلـه زور
سَلَّمْتُ فازور يزوي قَوْسَ حَاجِبِهِ ... كَأَنَّنِي كَأْسُ خَمْرٍ وَهُوَ مَخْمُورُ

فاستحسنها زنكي، وقال: لمن هذه؟ فقيل: لابن منير، وهو بحلب، فكتب إلى والي حلب يسيره إليه سريعاً، فسيره، فليلة وصل ابن منير، قتل أتابك زنكي... فلما دخل ابن منير إلى حلب صحبة العسكر، قال له ابن القيسراني هذه بجميع ما كنت تبكتني به».[1]

ولم يقتصر هجاء الشاعرين على النظم وحسب، بل تعداه إلى النثر، هذا ما أخبرنا إيّاه العماد الكاتب، في الرسالة الوحيدة المنثورة التي وصلتنا من إنشاء ابن منير، جواباً على رسالة زين الدين بن حليم رسول معين الدين أنر عندما طلب منه العودة إلى دمشق، فاعتذر ابن منير، فأرسل له الرسالة التالية، وفيها ينال من خصومه في دمشق، وعلى رأسهم «ابن القيسراني» الذي حظي بالمنزلة عند عطاء بن حفّاظ السلمي الخادم[2] الذي فوض إليه «مجير الدين أبق» أمور دمشق، ومما جاء في الرسالة:

«... ومن جملة ما أحكيه لتحفظه عني وترويه، أن «عطا» عطّ الله فاه كما عط بالدرة قفاه، وعن قليل فتراه، أفرط في ذمي، بعد أن ولغ أمس في دمي وأخذ يفاضل بيني وبين كلب لو عقرني لأنفت أن أزجره -يقصد ابن القيسراني- ولو

---

(١) وفيات الأعيان ج١/١٥٨، ١٥٩.

(٢) عطاء بن حفاظ السلمي الخادم: أحد أمراء دمشق تغلب على الأمور بأمر مجير الدين، وكان متوالياً على بعلبك، قتله مجير الدين سنة «٥٤٩هـ» كان ظالماً غاشماً. انظر ذيل تاريخ دمشق ص٣٢٦. الروضتين ج١/٢٢٦. البداية والنهاية ج١٢/٢٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبدني لتعاليت أن أذكره».[1]

مع ابن قسيم الحموي[2] «... - ٥٤١هـ».

تشير المصادر التي ترجمت لابن قسيم الحموي أن له مع ابن منير علاقة اتسمت بالصداقة حيناً، وبالخصومة حيناً آخر، وكانا يتطارحان الأشعار الإخوانية فمن ذلك:

وَأَينَ البيضُ مِنْ لحَظَاتِ بِيضٍ ... قَطَعْتَ بِها اللَّيالِي غَيْرَ سُودِ
وَفِي الحَيِّ المُمَنَّعِ مِنْ عَقِيلٍ ... عَقَائِلُ كَالصَّوارِمِ فِي الغُمودِ[3]

وقد كان بينهما مراسلات، فمن ذلك قول العماد: «وقال -يعني ابن قسيم- في جواب كتاب ابن منير الشاعر، وشعره على الوزن والقافية»:

بَعَثْتَ الكِتَابَ فَأَهْلاً بِهِ ... تَسَرُّ النَّواظِرُ تَنْمِيقَهُ
لَئِنْ أَخْجَلَ الرَّوْضَ مَوْشِيُّهُ ... لَقَدْ فَضَحَ الدُّرَّ مَنْوُقَهُ
غَرِيبُ الصَّنَاعَةِ تَجْنِيسُهُ ... نَفِيسُ البِضَاعَةِ تَطْبِيقُهُ[4]

ومن العلاقة المتسمة بالخصومة والحدّة في التعامل بين الشاعرين: ردّ ابن قسيم على كتاب ابن منير الذي أرسله الأخير لشيخ حماة «يحيى البقفي»[5] في أثناء إقامته فيها، فيعلن ابن منير تخليه عن مذهبه الشيعي، وتحوله لمذهب أهل

---

(١) الخريدة ج١ق١/٩٥.

(٢) هو ابو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم الحموي التنوخي الملقب بـ «شرف الدين» لا يُعرف سنة مولده، ويُنسب إلى حماه، توفي سنة ٥٤١هـ.

انظر ترجمته: الخريدة قسم شعراء الشام ج١ق١/٤٣٣-٤٨، الروضتين ج١ق١/٢٤، ٣٢، الكامل في التاريخ ج١١/٢٤، عيون التواريخ ج١٢/٤٠٨.

(٣) الخريد ج١ق١/٤٣٢، ٤٣٣، ديوان ابن منير القصيدة في ٢٢ بيتاً انظر الصفحات (٢٨١-٢٨٣).

(٤) الخريدة ج١ق١/٤٤٢، ديوان ابن منير ص٢٨٣.

(٥) لم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السنة والجماعة، فردّ عليه ابن قسيم قائلاً:

يَا شَاعِراً أَوْدَعَتْ أَنامِلُهُ ... دُرَّ القَوَافِي كِتَابَهُ النَّبَوِيْ
وَلَوْ كَشَفْنَاكَ لَمْ تَكُنْ حَلَبِيّاً ... فِي مَذْهَبٍ وَلَا حَمَوِيْ
لَوْ كَانَ إِبْلِيسُ قَبْلَ لَاحَ لَهُ ... آدَمَ مِنْ نَقْشِ فَصِّكَ الغَرَوِيْ
لَخَرَّ مَا شِئْتَ سَاجِداً وَعَنَا ... لِلَّهِ طَوْعاً وَكَانَ غَيْرَ غَوِيْ[1]

مع أبي الحكم المغربي[2] "٤٨٧-٥٤٩هـ".

كانت بين «أبي الحكم» وبين ابن منير علاقة ود، فأرسل أبو الحكم له كتاباً وهو في شيزر يوصي به شاعراً من أصدقائه واسمه «أبو الوحش» ينوي التوجه إلى شيزر ليمدح بني منقذ، ويسترفدهم، فالتمس من أبي الحكم كتاباً لابن منير فكتب إليه:

أَبَا الحَسَنِ اسْتَمِعْ مَقَالَ فَتىً ... عُوجِلَ فِيمَا يَقُولُ فَارْتَجَلَا

ومنها:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ بِحُسْنِ شَرْحِكَ مَا ... أَتْلُوهُ مِنْ حَدِيثِهِ جُمَلَا
وَخَبِّرِ القَوْمَ أَنَّهُ رَجُلٌ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسَ مِثْلَهُ رَجُلَا
تَنُوبُ عَنْ وَصْفِهِ شَمَائِلُهُ ... لَا يَبْتَغِي عَاقِلٌ بِهِ بَدَلَا[3]

وعلى الرغم من العلاقة الوطيدة التي كانت تربطهما، فإنه لم يتورع عن أن يرثي ابن منير بعد موته بأبيات هزلية ساقطة يقول فيها:

---

(١) الخريدة ج١/٤٧٩، ديوان ابن منير ص٢٨١.

(٢) هو عبيد الله بن المظفر بن عبدالله بن محمد الباهلي، الحكيم الأديب المعروف بالمغربي، أصله من أهل المرية بالأندلس، ولد ببلاد اليمن، وقيل بالمرية سنة «٤٨٧هـ» عمل معلماً للصبيان في بغداد، وطبيباً عند السلطان «محمد بن ملكشاه». كان شاعراً خليعاً مطبوعاً. توفي سنة ٥٤٩هـ، انظر ترجمته: الخريده قسم شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي الجيلاني الحاج بن يحيى. الدار التونسية للنشر ١٩٦٦م. من صفحة ٢٨٩-٣٠٠. وفيات الأعيان ج٣/١٢٣-١٢٦، عيون التواريخ ج١٢/٤٨٠-٤٨٤. شذرات الذهب ج٤/١٥٣.

(٣) وفيات الأعيان ج٣/١٢٤، ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَهَفِي عَلَى ابْنِ مُنِيرِ الشَّاعِرِ اللُّوطِي مُفَضِّلِ السَّرمِ أَحْيَاناً عَلَى القُوطِ
أَتَوْا بِهِ فَوْقَ أَعْوادٍ تَسِيرُ بِهِ وَغَسَّلُوهُ بِشَاطِي نَهْرِ قَلُوطِ
وَأَسْخَنُوا المَاءَ فِي قِدْرٍ مُرَصَّصَةٍ وَأَشْعَلوا تَحْتَهَا عِيدَانَ بَلُّوطِ
وَغَادَرُوهُ لَدَى جَوْفَاءَ مُظْلِمَةٍ بِالقَاعِ مَا بَيْنَ أَقْوَامٍ عَضَارِيطِ[1]

مع أسامة بن منقذ[2] «٤٨٨-٥٨٤هـ».

كان أسامة بن منقذ من حفظة شعر ابن منير ومن رواته ومن المعجبين به[3] وعلى الرغم من أنه كان معاصراً له، فإنه لم يره.

وقد اختلف الأدباء، والمؤرخون في نسبة هذين البيتين من الشعر:

وَصَاحِبٍ لَمْ أَمَلَّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فُرْقَةَ الأَبَدِ[4]

قال العماد الأصفهاني: «وأنشدني أسامة لنفسه البيتين اللذين سارا له في خلع ضرسه» وذكر البيتين[5]، وقد ذكر أبو شامة المقدسي هذين البيتين وقال: «أنشدني هذين البيتين...» وذكرهما ثم قال: «ومن عجيب ما اتفق أني وجدت هذين البيتين مع بيتين آخرين والمجموع أربعة أبيات، في ديوان أبي الحسين أحمد ابن منير الأطرابلسي. ومات ابن منير سنة ثمان وأربعين وخمسماية، وقرأت في ديوانه. وقال في الضرس:

---

(١) ديوان ابن منيرص٢٧٩.

(٢) هو الأمير مؤيد الدولة «أبو المظفر» أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن مضر بن منقذ الكناني ولد سنة ٤٨٨هـ بقلعة شيزر وتوفي سنة ٥٨٤هـ بدمشق، أحد الشعراء المشهورين، بلغ من العمر ستاً وتسعين. انظر ترجمته: الخريدة ج١/٤٩٨-٥٤٨، وفيات الأعيان ج١/١٩٥-١٩٩، البداية والنهاية ج١٢/٣٥٣. شذرات الذهب ج٤/٢٧٩، النجوم الزاهرة ج٥/١٠٧.

(٣) انظر: الخريدة ج١/٧٦، ٧٧.

(٤) ديوان ابن منير ص٢٧٢.

(٥) انظر الخريدة ج١/ص ٤٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَصَاحِبٍ لاَ أَمَلُّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ يَسْعَى لِنَفْعِي وَأَجْنِي ضُرَّهُ بِيَدِي
أَدْنَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي وَمِنْ تِلاَدِي وَمِنْ مَالِي وَمِنْ وَلَدِي
أَخْلُو بِبَثِّي مِنْ خَالٍ بِوَجْنَتِهِ مِدَادُهُ زَائِدُ التَّقْصِيرِ لِلْمَدَدِ

ثم قال:

لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرَيَّ افْتَرَقْنَا فِرْقَةَ الأَبَدِ[1]

وقد علق أبو شامة قائلاً:

«فالأشبه أن ابن منير أخذهما، وزاد عليهما، ولهذا غير فيهما كلمات، وقد وجدت هذا البيت الأول على صورة أخرى حسنة»:

«وَصَاحِبٍ نَاصِحٍ لِي فِي مُعَامَلَتِي...»

ثم يستأنف أبو شامة قائلا: «ويجوز أن يكون أسامة أنشدهما متمثلاً فنسبا إليه لما كان مظنّة ذلك، ويجوز أن يكونا اتفقا، والله أعلم»[2].

وما أميل إليه هو أنه يجوز أن يكون أسامة قد أنشدهما متمثلاً فنسبا إليه، وذلك لما عهد عن أسامة أنه من المفتونين بشعره.

مع أبي نزار النحوي[3] «٤٨٩-٥٦٨هـ».

اتسمت العلاقة بينه وبين ابن منير بالمناكفة والمهاجاة، وكلما التقى به ابن منير كان يقول له:

---

(١) الروضتين، طبعة دار الجيل ج١/٢٦٤.

(٢) الروضتين، طبعة دار الجيل ج١/٢٦٤.

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبدالله بن نزار بن أبي الحسن النحوي البغدادي المعروف بـ «ملك النحاة» ولد بالجانب الغربي من مدينة السلام سنة ٤٨٩هـ، وتوفي بدمشق سنة ٥٦٨هـ، انظر ترجمته معجم الأدباء، ج٢/٨٦٦-٨٧٣. وفيات الأعيان ج٢/٩٢-٩٤. النجوم الزاهرة ج٦/٦٨، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف القفطي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٥٠م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج١/٣٠٥-٣١٠؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١/٥٠٤، ٥٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«ماذا خرى الملك على لسانك اليوم»؟ وقد هجاه ابن منير، فمن ذلك: أن أبا نزار النحوي كتب إلى أحد القضاة، وتَصنّع في الكلام فقال «القاضوي» فاستهجنها ابن منير، وهجاه بهذه الأبيات:

أَيَا مَلِكَ النَّحْوِ والحَاءِ مِنْ ... تَهَجِّيهِ مِنْ تَحْتٍ قَدْ أَعْجَمُوهَا
أَتَانَا قِيَاسُكَ هَذَا الَّذِي ... يُعجِمُ أَشْيَاءَ قَدْ أَعْرَبُوهَا
وَلَمَّا تَصَنَّعْتَ فِي «القَاضَوِيّ» ... غَدَا وَجْهُ جَهْلِكَ فِيهِ وُجُوهَا
وَقَالُوا قَفَا الشَّيْخ إِنَّ المَلُو ... كَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا[1]

فأجابه أبو نزار بقوله:

أَيَا مَنْ حَسِبْتَ الهِجَا ... ءَ رُتْبَةَ فَخْرٍ فَبَالَغْتَ فِيهَا
جَمَعْتَ القَوَافِي مِنْ ذَا ومِنْ ذَا ... وأَفْسَدْتَ أَشْيَاءَ قَدْ أَصْلَحُوهَا
فَقَالُوا قَفَا الشَّيْخ إِنَّ المُلُو ... كَ إِذَا أَخْطَأَتْ سَوْقَةٌ أَدَّبُوهَا[2]

وهجاه ابن منير عندما رآه قد ربط يده بمنديل بعد أن عضّته قطة. قال:

عَتِبْتُ عَلَى قِطِّ مَلِكِ النُّحَاةِ ... وَقُلْتُ أَتَيْتَ بِغَيْرِ الصَّوَابْ
عَضَضْتَ يَداً خُلِقَتْ لِلنَّدَى ... وَبَثَّ العُلُومَ وَضَرْبِ الرِّقَابْ
فَأَعْرَضَ عَنِّي وَقَالَ اتَّئِدْ ... أَلَيْسَ القِطَاطُ أَعَادِي الكِلَابْ[3]

وقيل هذه الأبيات لفتيان الشاغوزي[4]، وقيل لأبي الوحش[5].

وصفوة القول أن ابن منير احتل مكانة مرموقة بين شعراء عصره، حتى غدا شاعراً كبيراً، وعلماً من أعلام الشعر في زمانه، واستطاع أن يخوض غمار ميادين الشعر، وأن يفوز بقصب السبق في كل ميدان، ولولا سلاطة لسانه، وشدة تعلقه بفن الهجاء، لدخل تاريخ الأدب من أوسع أبوابه.

---

(١) الديوان: ص٣٠.

(٢) الديوان: ص٣١.

(٣) معجم الأدباء ج٢/٨٧٢.

(٤) معجم الأدباء ج٢/٨٧٢.

(٥) انظر: ديوان ابن منير ص١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاته:

تجمع كتب المصادر على أن وفاة ابن منير كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسماية، في يوم الأربعاء، العشرين من الشهر المذكور. إلا أن هنالك قلة من الذين ترجموا له، خالفوا عن الإجماع، فبعضهم قال: «توفي سنة خمسين وخمسماية»[١] وقد علق على ذلك محقق كتاب الخريدة بقوله: «لم أجد في كتب التراجم ما يساعد على هذا التحديد إلا أن يكون وهم أراد قبل، فكتب بعد»[٢]. وأقول رداً على قول المحقق، لو كان العماد يريد كتابة قبل، فكتب بعد، لما كرر قوله بوفاة ابن منير سنة ٥٥٠هـ في موضع آخر. حيث يقول: «وكنت أنا بالعراق أسمع أخبارهما -يعني ابن منير وابن القيسراني- ثم اتفق انحداري إلى واسط سنة اثنتين وخمسين وخمسماية، فانحدر بعض الوعاظ الشاميين إليها... فسألته عنهما، فأخبر بغروب النجمين، وأفول الفرقدين، في أقرب مدة من سنتين، وكانت وفاة القيسراني قبله سنة ثمان وأربعين وخمسماية».[٣]

وقد ردّ «سبط بن الجوزي» على صاحب الخريدة قائلاً: «وذكره العماد في الخريدة -يعني ابن منير- وقال كان شاعراً مجيداً هجاءً... إلا أنه قال: مات ابن منير بعد سنة خمسين وخمسماية، قلت: وهم، والصحيح ما ذكره ابن عساكر، وابن القلانسي، أن ابن القيسراني مات سنة ٥٤٨هـ»[٤]، وقال ابن القلانسي: «كلاهما مات في سنة ٥٤٨هـ».[٥]

ومن الذين خالفوا: ابن تغري بردي، فقد ذكره في وفيات سنة «٥٤٥هـ» قائلاً: «وفيها توفي أحمد بن منير، الأديب، أبو الحسين الطرابلسي الشاعر»[٦]. وهذا وهم واضح لسببين: أنه ولد للملك العادل نور الدين ولد سنة «٥٤٦هـ بحمص

---

(١) انظر الخريدة قسم شعراء الشام ج١ق١/٧٦.

(٢) نفسه: ج١ق١/٧٦.

(٣) انظر: نفسه ج١ق١/٧٩. ديوان ابن منير ص٧٩، ٨٢.

(٤) مرآة الزمان ج٨ق١/٢١٨.

(٥) انظر: ذيل تاريخ دمشق: ص٤٩٨.

(٦) النجوم الزاهرة ج٥/٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنأه ابن منير به».[١] وصحب ابن منير نور الدين حين فتح أنطرسوس سنة (٥٤٧هـ) وهنأه بالفتح بالقصيدة التي أولها:

أَبَداً تُبَاشِرُ وَجْهَ غَزْوِكَ ضَاحِكاً وَتَؤوبُ فِيهِ مُؤَيَّداً مَنْصُورَا[٢]

وأما الذين قالوا بأنه توفي «في حدود سنة أربعين وخمسماية»[٣] فلم يقصدوا بذلك تحديد سنة «٥٤٠هـ» وإنما عنوا عقد الأربعينات، وهذا يدخل ضمن سنة «٥٤٨هـ».

ومما تقدم يحرو بنا أن ألاّ نقيم كبير وزن لرواية من قال: إنه توفي سنة «٥٤٧هـ» اعتماداً على ما قرأ في ديوان أبي الحكم المغربي[٤]، إذ لربما وقع في الديوان تصحيف أو خطأ في النسخ أو النقل.

وأما مكان وفاته، فقد اتفقت المصادر على أنه توفي بحلب في دار «ابن عسرون» وما ورد عن ابن خلكان، من أن ابن منير كانت وفاته بدمشق كما قرأ في ديوان أبي الحكم المغربي، فهذا وهم، وقد سوّغ ذلك ابن خلكان بعد أن ذكر أن وفاته كانت بحلب ثم قال بدمشق. فقال: «فعساه أن يكون قد مات بدمشق، ثم نقل إلى حلب فدفن فيها».[٥]

وأقول: إن ابن منير توفي بحلب، ودفن بها، ولم يدخل دمشق آنذاك لأنه كان مع جيش «نور الدين» الذي قفل عائداً من حصار دمشق سنة «٥٤٨هـ» إلى حمص، ثم ارتأى ابن منير أن يذهب بصحبة العسكر إلى حلب، حيث عاوده المرض إلى أن توفي بها.[٦]

وأما عن سبب الوفاة فقد روى ابن العديم: «... أنه أكل تيناً أخضر وجلس

---

(١) انظر الروضتين ج١ق١/ ٥٠.

(٢) انظر الروضتين ج١ق١/ ٢١٦.

(٣) أنظر الأنساب ج١/ ٣٠٣، روضات الجنان الخوانساري ج١/ ٢٦٤.

(٤) انظر: وفيات الأعيان ج١/ ١٦٠، الغدير ج٢/ ٣٣٦.

(٥) وفيات الأعيان ج١/ ١٦٠.

(٦) انظر: تهذيب تاريخ دمشق ج٢/ ١٠١. مرآة الزمان ج٨ق١/ ٢١٨. بغية الطلب ج٣/ ١١٥٦. =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الشمس ففصد في الحال، وورم وجهه، وبقي إلى يوم الأربعاء، العشرين من جمادى الآخرة، وتوفي إلى رحمة الله وصُلي عليه بالجامع، ودفن بظاهر باب قنسرين بالقرب من تربة مشرق، قلت يعني مشرق بن عبدالله العابد»[١]. ثم قام الحكيم بن نافع بن أبي الفرج بن نافع بنبش قبره، ونقل عظامه، وحوّل قبره إلى سفح «جبل جوشن»[٢]، بالقرب من مشهد الحسين، وقبره الآن ظاهر، هناك. والذي دفع الحكيم لتحويل قبره خوفه أن يسحق القبر أو يُدرس، عندما حرز السلطان الملك الظاهر خنادق حلب ووضع التراب على المقابر القريبة».[٣]

وقد ذكر ابن العديم أنه ساعة احتضر ابن منير نظم بيتين من الشعر، وأوصى أن يُكتبا على قبره، فنقشا على أحجار قبره، وهما:

مَنْ زَارَ قَبْرِي فَلْيَكُنْ مُوقِناً ... أَنَّ الَّذِي أَلْقَاهُ يَلْقَاهُ

فَيَرحَمِ اللَّـهُ امْـرَأً زَارَنِـي ... وَقَالَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ[٤]

وذكر ابن خلكان وابن رجب الحنبلي أنهما زارا قبر ابن منير، ووجدا مكتوباً عليه البيتان الآنفا الذكر.[٥]

ولم يسلم ابن منير من خصومه، حتى بعد وفاته، فقد رثاه أبو الحكم المغربي بأبيات هزلية سبقت الإشارة إليها.

وعن أحوال ابن منير بعد الموت، كما ورد عند بعض من ترجم له فـ «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى»[٦] ولا يستطيع أحد أن يحكم أو

= مختصر تاريخ دمشق ج٣/٣٠٦. سير أعلام النبلاء ج٢٠/٢٢١. عيون التواريخ ج١٢/٤٦٧. الوافي بالوفيات ج٦ق٨/١٩٤. الغدير ج٤/٣٣٢.

(١) بغية الطلب ج٣/١١٦٣.

(٢) جبل جوشن: جبل في غربي حلب، ومنه كان يُحمل النحاس الأحمر، وفيه مقابر ومشاهد للشيعة. انظر معجم البلدان، مادة «جوشن».

(٣) بغية الطلب ج٣/ ١١٦٣.

(٤) انظر: بغية الطلب ج٣/١١٦٣، -البيت الثاني منكسر الوزن-.

(٥) انظر: وفيات الأعيان ج١/١٥٩. شذرات الذهب ج٤/١٤٧.

(٦) الآية ٥٢ من سورة طه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتكهن بدخول الجنة أو النار لنفسه أو لغيره، إلا خالقهما العزيز الجبار. ومن هذا المنطلق فقد ترددت في الكتابة عن أحوال ابن منير بعد الموت، إلا أن طبيعة البحث العلمي تقتضي أن يكتب الباحث كل ما ذكر عن الموضوع الذي يعالجه.

ذكر ابن عساكر أنه وجد بخط «إبراهيم بن محمد القيسي» وكان صديقاً لابن منير، وعنده اختفى لما اختبأ في مسجد الوزير، أن أبا محمد عبدالقاهر بن عبدالعزيز خطيب حماة قال: «رأيت ابن منير الشاعر بعد موته في النوم، وأنا على قُرنة بستان مرتفعة فسألته عن حاله، وقلت له اصعد إلى عندي، فقال: ما أقدر من رائحتي، فقلت: أتشرب الخمر؟ قال: شراً من الخمر يا خطيب، فقلت ما هو؟ قال: تدري ما جرى عليّ من هذه القصائد التي قلتها في مثالب الناس، فقلت له: ما جرى عليك منها: فقال: لساني قد طال، وثخن، وصار مد البصر، وكلما قُرأت قصيدة منها صارت كلاباً يتعلق بلساني، وأبصرته حافياً، عليه ثياب رثّة إلى غاية، وسمعت قارئاً يقرأ من فوقه «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَل» ثم انتهيت مرعوباً».[1]

وقد أورد ابن العديم ما هو أكثر هولاً، وأعظم فزعاً، فقال: «حكى لي أبو طالب القيم وكان شيخاً مسناً عندنا بحلب، وكان أولاً قيماً بالمسجد الجامع بحلب، قال: لما مات ابن منير، خرجنا جماعة من الأحداث نتفرج بمشهد الخف، فقال بعضنا لبعض قد سمعنا أنه لا يموت من كان يسب أبا بكر، وعمر -رضي الله عنهما- إلا ويمسخه الله في قبره خنزيراً، ولا نشك أن ابن منير كان يسبهما، فأجمع رأينا على أن نمضي إلى قبره تلك الليلة، وننبشه لنشاهده. قال لي: فمضينا جميعاً، ونبشنا قبره، فوجدنا صورته صورة خنزير، ووجهه منحرف عن القبلة إلى جهة الشمال، وكان معنا ضوء فأخرجناه على شفير قبره ليشاهده الناس، ثم بدا لنا فأحرقناه، ووضعناه في القبر، وأعدنا التراب عليه، هذا معنى ما حكاه لي أبو طالب القيم

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج٢/١٠١، وعنه أخذ سبط بن الجوزي، انظر مرآة الزمان ج٨/٢١٨، وابن العديم بغية الطلب ج٣/١١٦٣، وابن خلكان وفيات الأعيان ج١/١٥٩، والكتبي، عيون التواريخ ج١٢/٤٧١، والصفدي، الوافي بالوفيات ج٦ق٨/١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والله أعلم».[١]

وقد أنكر صاحبا الغدير، وأعيان الشيعة مثل هذه الرؤيا، وما ذكره ابن العديم وعدَّاها مختلقة، بسبب تحاملهم على ابن منير للعداوة الدينية.[٢]

وقولي في ذلك، أن ابن منير قد نظم في أخريات حياته شعراً في الجهاد وتعبئة الأمة لدحر الغزاة الصليبيين، ما عُدّ من نفائس شعر العصر، وإخال أن ذلك علامة من علامات التوبة، ومظهر من مظاهر حسن الخاتمة، وحسبنا قول الله تعالى: «فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»[٣] لذا أستبعد مثل هذه الرؤى بعد أن التزم شاعرنا خط الجهاد مع نور الدين زنكي.

---

(١) بغية الطلب ج٣/١١٦٤.

(٢) انظر الغدير ج٤/٣٣١، أعيان الشيعة ج١٠/١٤٧.

(٣) الآية ٣٩ من سورة البقرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الديوان – موضوعات شعره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشِّعْر

الديوان:

أشار الأقدمون من مؤرخي القرنين السادس والسابع الهجريين، إلى وجود ديوان مخطوط لابن منير، فقال ابن العديم (ت ٦٦٠هـ): «ووقع إليّ نسخة من شعر ابن منير بخط أبي المكارم عبدالوهاب بن سالم بن أبي الحسن، وبخطه في آخره وجدت على ظهر الأصل المنقول منه هذا الديوان».[١]

وذكر أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ): أنه قرأ في ديوان ابن منير «وقرأت في ديوان ابن منير الطرابلسي من قصائد يمدح بها نور الدين».[٢]

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ): إن له ديوان شعر[٣]. وكذا قال بعض المتأخرين من مؤرخي القرن الثامن والحادي عشر الهجريين، منهم الذهبي (ت ٧٤٨هـ)[٤] واليافعي (ت ٧٦٨هـ)[٥]، والحر العاملي (ت ١٠٠٨هـ)[٦] والخوانساري.[٧]

وقد ذكر العماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ) وجود ديوان لابن منير، ولكنه لم يتفق له أن رآه. يقول: «ولم يتفق لي ديوانه لأختار مختاره، وأقتار مشتاره، وأجني من روض حسنه، وردهُ وبهاره، ورنده، وعراره».[٨]

كما تناقلت المراجع خبر ديوانه، وأكدت وجوده.، منها ما ذكره الزركلي: «له

---

(١) بغية الطلب ج٣/١١٦٣.

(٢) الروضتين ج١ق١/٥٠.

(٣) انظر وفيات الأعيان ج١/١٥٦.

(٤) انظر العبر في أخبار من غبر ج٤/٣٠.

(٥) انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٣/٢٨٦.

(٦) انظر أمل الآمل ق١/٣٥.

(٧) انظر روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات ج١/٢٦١.

(٨) خريدة القصر ج١ق١/٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان شعر»[١]، ومحمد راغب الطباخ «ابن منير صاحب الديوان المعروف»[٢]، وعمر رضا كحالة: «من آثاره ديوان شعره».[٣] وعبدالله حبيب نوفل: «له ديوان شعر كبير الحجم غير مطبوع».[٤]

ومن الجدير بالذكر أنه قد تم التوصل إلى وجود النسخة المخطوطة من ديوان ابن منير في مكتبة الأمبروزيانا في مدينة ميلانو الإيطالية تحت رقم ٢١٠، ولم يتسن لي الحصول على نسخة منه رغم كثرة المحاولات.[٥]

وقد طبع شعر ابن منير لأول مرة في الكويت سنة ١٩٨٢م، تحت عنوان «شعر ابن منير الطرابلسي» جمعه وحققه وقدم له الدكتور سعود محمود عبدالجابر في مطبعة دار القلم، الكويت، ولقد كانت لي عليه مجموعة من الملحوظات أوجزها فيما يلي:

* **المنهج:**

- اتبع المحقق المنهج العلمي الصحيح المتبع في جمع الدواوين وتحقيقها، وقد وضح طريقته في تناول شعر ابن منير، وكيفية التعامل معه.[٦]

- كان اعتماد المحقق على المصادر التي ترجمت للشاعر، ولم تتح له فرصة الاطلاع على المخطوط.

---

(١) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩، ج١/ ٢٦٠.

(٢) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ الحلبي صححه وعلق عليه محمد كمال دار القلم، حلب، ج٤/ ٢٢٠.

(٣) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج١/ ١٨٤.

(٤) تراجم علماء طرابلس وأدبائها. عبدالله حبيب نوفل، مطبعة الحضارة/ طرابلس ١٩٢٩م، ص١٦.

(٥) قمت بالاتصال مع مكتبة الأمبروزيانا بالتعاون مع مركز الوثائق والمخطوطات الأردنية. وطلبت منهم المخطوط. وجاء الرد بالسلب ثم اتصلت بهم هاتفياً غير مرّة. ثم أرسلت كتاباً بواسطة الفاكس، وجاء الرد بأن التكلفة باهظة جداً.

(٦) انظر: كتاب «شعر ابن منير الطرابلسي» د. سعود محمود عبدالجابر. الصفحات ٣١، ٣٢، حيث يوضح طريقته في المنهج المتبع في التحقيق مفصلاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **مصادر التخريج:**

لم يتتبع المحقق مصادر تخريج الأبيات من مظانها المتعددة، فقد كان يكتفي بمصدر واحد غالباً،لذا فقد وجد النقص في المادة الشعرية المجموعة، وذلك لتفرد بعض المصادر بأبيات من شعر الشاعر دون غيرها، والأمثلة كثيرة أجتزئ منها:

الأبيات الواردة في الصفحة ١٠٥ المقطوعة ذات الرقم ٤٨ التي أولها:

لاَ وَحُبِّيك لاَ عَبَدْتُكَ سِرّاً لَيْلُ صَدْغَيْكَ صَيَّرَ اللَّيْلَ ظُهْرَاً

ذكر المحقق أن تخريج الأبيات من كتاب الخريدة ج١/٧٩، ٨٠، في حين أننا نجدها أيضاً في وفيات الأعيان ج١/١٥٨، ونهاية الأرب ج٢/٧٩، وعيون التواريخ ج١٢/٤٧٠، والغدير ج٤/٣٣٤.

مثال آخر: الأبيات الواردة في صفحة ١٣٣ المقطوعة ذات الرقم٥٦ التي مطلعها:

يَا جَائِزاً غَايَ كُلِّ فَضْلٍ تَضِلُّ فِي كُنْهِهِ الإِحَاطَهْ

خرّجها من كتاب أعيان الشيعة ١٠/٢٤٧، ٢٤٨، في حين أنها توجد أيضاً في معجم الأدباء ج١٦/٣٢، والغدير ج٤/٣٣٦.

مثال آخر: الأبيات الواردة في الصفحة ٩٣ المقطوعة ذات الرقم٤٠ التي مطلعها:

اليَومَ نُورُ حَبِيبِ الدَّجن مَزْرُورْ والطَّلُّ مُنْتَظَمٌ والظَّلُّ مَنْثُورْ

خرّجها من عيون التواريخ ج١٢/٤٦٩-٤٧٠. في حين أنها توجد أيضاً في التذكرة الفخرية ص٤٠٠، ٤٠١.

* القراءة الخاطئة لبعض الأبيات:

وردت عند المحقق بعض القراءات الخاطئة لبعض الأبيات، فمن ذلك:

مثال: في صفحة ٤٣ المقطوعة ذات الرقم١٠ ورد البيت التالي:

لاَ تُغَالِطِني فَيما تَخْـ ـفي عَلاَمَاتُ المَرِيبِ

ورد الخطأ في (فيما) والصحيح (فما) وورد الخطأ في (تخفي) والصحيح (تخفى).

مثال آخر: الأبيات الواردة في صفحة ٤٧ مقطوعة ذات الرقم١٤ ورد البيت التالي:

تَجَلَّى لَهَا حَيْدرِيُّ المَصَا عِ أَغْلَبُ مُودٍ بِغِلاَبِها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطأ (بغلابها) والصحيح (بغِلاّبها).

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ٨٣ صفحة ١٧٥ البيت التالي:

وَأَبْتَ بكَلْبِهِمْ فِي الكَبُولِ مبَاحَ الحَرِيمِ مَذَالَ الحَرَمْ

الخطأ (وأبت) والصحيح (دَأَبْتَ).

* **الفهم الخاطئ لبعض الأبيات:**

مثال: وجد لدى المحقق فهم خاطئ لبعض الأبيات، فمن ذلك:

الأبيات ذات الرقم ٣٥ من الصفحة ٨٥ ورد البيت التالي:

يَومَاً يَزِيرُكَ جَوْفَ عِرْقَةَ مَعْلَماً جَوْنٌ لَهُ خَلْفَ الدُّرُوبِ أُوَارُ

فسر المحقق جون: بقوله الجون الأبيض والجون الأسود من الخيل والإبل، وهذا فهم خاطئ. والصحيح الجون: هو جون عرقة: وهو ضاحية من ضواحي طرابلس.[1]

مثال:

المقطوعة ذات الرقم ١٥ صفحة ٥٥ البيت التالي:

طَيَّانَ خَفَّ السَّرحَ طَالَ زَئِيرُهُ نَطَقَتْ سُطَاكَ لَهُ فَطَالَ صُمَاتُهُ

فسر المحقق السرح: موضع بالشام عند بصرى. وهذا لا يستقيم مع المعنى العام للبيت والصحيح: السرح المال السائم يسام في المرعى من الأنعام. انظر اللسان مادة سرح.

وهناك خطأ في القراءة (خفّ) والصحيح (خلف).

* **عدم الضبط الصحيح لبعض الأبيات:**

لم يعتن المحقق بضبط الأبيات، وقلّما تجد ضبطاً لبيت أو لبعض الأبيات. والسمة الغالبة عدم اهتمام المحقق بالضبط والأمثلة كثيرة منها:

مثال: المقطوعة ذات الرقم ٩ صفحة ٤١ البيت التالي:

وأَحْكِمْ بالخَطِيم لَهُمْ خُطَاماً أَمرَّ بِرَعِهِ مُرّ الضِّرابِ

الخطأ (وأَحْكِمْ) والصحيح (وأَحْكَمَ)

مثال: المقطوعة ذات الرقم٢١ صفحة ٧١ البيت التالي:

وسَواعِدُ ضَرَبَتْ بِهِنَّ وبالقَنَا مِنْ دُونِ مِلَّةِ أَحمَدَ الأَسْدَادُ

---

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك في معرض الحديث عن نسبه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطأ (ضَرَبَتْ) والصحيح (ضُرِبَتْ)

مثال: المقطوعة ذات الرقم٨٦ صفحة ١٧٨ البيت التالي:

مَحمودُ المَحْمُودُ جداً وجداً أرْخَصَ جَلْدُ الأرْضِ حُكم عَامِها

الخطأ هو (جداً وجداً) والصحيح (جِدّاً وجِدّاً)

مثال: المقطوعة ذات الرقم٢١ صفحة البيت التالي:

تَدْأَى ومِنْ وَحْيِ الكُمأةِ صُفُورها فَالزَّحر قَيْدٌ والنَّدَى قِيَاد

الخطأ (صُفورها) والصحيح (خُمورها)

الخطأ (النَّدى) والصحيح (النَّدّاء)

مثال: المقطوعة ذات الرقم٢٣ صفحة ٧٣ البيت التالي:

أَبَدَاً تَنْكُبُ عَنْ ضَلالٍ سَادِراً بِثُقُوبِ زَنْدِكَ أَوْ تَدُل عَلَى هُدَى

الخطأ (تَنْكبُ) والصحيح (تُنَكِّبُ)

مثال: المقطوعة ذات الرقم٩٤ صفحة ١٩٢ البيت التالي:

هَمَّ قُسْطَنْطِينُ أن يفرعها وَمَضَى لَمْ يحَوِّ مِنْهَا قسط طِينْ

الخطأ (يفرعها) والصحيح (يَفْرَعَهَا)

وقد ترك المحقق أبياتاً كان ينبغي عليه ضبطها لإنه ليس من السهل التكهن بمعرفة الضبط الصحيح لها. والأمثلة كثيرة مثال:

المقطوعة ذات الرقم ٧٣ صفحة ١٥٨ البيت التالي:

أخرست شقشقة الضلال وقدته قود الذلول أطاع بعد صيال

فقد ترك البيت من غير ضبط.

والضبط الصحيح هو:

أَخْرَسْتَ شَقْشَقَةَ الضَّلَالِ وَقُدْتَهُ قَوْدَ الذَّلُولِ أَطَاعَ بَعْدَ صِيَالِ

* **الأخطاء المطبعية والتصحيفات:**

كَثُرت الأخطاء المطبعية في هذه الطبعة، كما كثرت التصحيفات، فمن ذلك:

في صفحة ٤١ المقطوعة ذات الرقم ٩ ورد البيت التالي:

فأشْرَف وهُو عَنْ شَرَفٍ معوقٍ وَأصْعدَ وَهُوَ غَايَةُ الإنضبابِ

الخطأ وجود همز في كلمة (الإنضباب) والصحيح عدم وجودها (الانضباب).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثال: صفحة ٤٣ المقطوعة ذات الرقم ١٠ ورد البيت التالي:

أيْنَ ذَاكَ البِشْرُ يَا مَوْلَا لَايَ مِنْ هَذَا القُطُوبِ

الخطأ المطبعي مولالاي والصحيح مولاي.

مثال آخر:

هامش رقم «١» تخريج الأنباء في صفحة ٧٨ المقطوعه ذات الرقم ٢٩: ورد خطأ مطبعي في التخريج حيث قال: الخريدة ج٢/٦٧٧، ٦٧٨. وهذا خطأ والصحيح كتاب الروضتين ج٢/٦٧٧، ٦٧٨.

مثال آخر:

في الصفحة ٩٧، المقطوعة ذات الرقم ٤٣ ورد البيت التالي:

القَلْبُ أنْتَ فَإنْ تَعامَى عَنْ هَوَىً عُضْوٌ أَهَابَ بِهِ فَعَادَ بَصِيرَا

الخطأ (هوىً) والصحيح (هُدَىً)

مثال آخر:

في الصفحة ٩٨ المقطوعة ذات الرقم ٤٣ ورد البيت التالي:

إقْلِيدَها كَانَتَ وَقَدْ أُعْطِيَتَهُ واسْأَلْ بِهِ مِمَّنْ دَهَتْهُ خَبِيرَا

الخطأ (أعطيته) والصحيح (أنطيته)

مثال آخر:

في الصفحة ١٥٤ المقطوعة ذات الرقم ٦٩ ورد خطأ في ترتيب الأبيات:

الخطأ (١٦، ١٦، ١٧) والصحيح (١٦، ١٧، ١٨)

«والأخطاء المطبعية كثيرة لمن أراد أن يتقصاها».

ولعل من متطلبات التحقيق العلمي أن يقوم المحقق بشرح معاني المفردات وتوضيحها وهذا ما لم نجده عند المحقق، فقد ترك صفحات كاملة دون أن يوضح أي مفردة ومن الأمثلة على ذلك انظر الصفحات: «٤٦، ٥٧، ٥٩، ٧٧، ٨٣، ٨٨، ٩٧، ١٠١، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٦».

وفي سنة «١٩٨٦م» قام الدكتور «عمر عبدالسلام تدمري» بجمع شعر ابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منير من بطون المصادر والمراجع، فاستقصى معظم المصادر والمراجع التي ترجمت له، إلى أن توفر لديه قرابة «١٨٠٠» بيت من الشعر. فجمعها في كتاب سماه «ديوان ابن منير الطرابلسي». ويمكن أن ألخص ملحوظاتي على عمله بما يلي:

* **المنهج:**

- نقل المحقق أشعار ابن منير من المصادر القديمة، مصدراً مصدراً، وحين كان يفرغ من الأشعار الواردة في مصدر ينتقل إلى ذكر الأشعار الواردة في غيره، وهكذا فترتب على ذلك تكرار الأبيات في غير موضع، وذلك لورود بعض الأبيات في مصادر متعددة.

- لم يعتمد الباحث على نسخة مخطوطة في تحقيق الديوان، واكتفى بجمع شعر ابن منير من المصادر والمراجع القديمة، وهذا العمل يفتقر إلى الخطوة الأساسية في عملية التحقيق.

* **مصادر التخريج:**

استقصى الباحث معظم المصادر التي ترجمت لابن منير، لذا، فقد كان يوثق كل بيت من مصادره، وهذه طريقة جيدة.

* **القراءة الخاطئة لبعض الأبيات:**

وقع الباحث في بعض القراءات الخاطئة، فمن ذلك:

مثال: الأبيات ١٥، ١٦، ٣١، من المقطوعة ذات الرقم ٦٥ صفحة ١٥٣ ورد ما يلي:

١٥- أَنَا ذُو المَالِ يَا بَني البَظْرِ لاَخَا ... لِي وَلاَ ضَيْعَتِي وَلا نِسْيَانِي

ورد الخطأ في (خالي، نسياني) والصحيح (خاني، بستاني)

١٦- لاَ وَلاَ رَزْمَتِي تَحُلُّ وَلاَ زمـ ... ـتِي مُسْتَبْعَضاً ولاَ كِنَانِي

ورد الخطأ في (رمتي، كناني) والصحيح (زيتي، كتّاني)

٣١- يا أُمَنِيَتَين تَهْجُمانِ عَلى المَوْ ... تَى تُحْيِي قَبَس وَارِدِ عُمَانِ

ورد الخطأ في (امنيتين، تحيي، وارد) والصحيح (أَمِنَيْنِ، بِجُبّي، وأَزْدِ)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٠٣ صفحة ٢٣٤ البيت التالي:

مَحمودَ المَحْمَوْد جَداً وجِدّاً ... أَرْخَصَ جَلد الأَرْضِ حُكم عَامِهَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطأ (وجداً) والصحيح (وجِدًا)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٠٩ الصفحة ٢٤٨ البيت التالي:

أسرتهُ لامَنعَتْ سُراهُ وعَزّهُ ... بالقَاع إنّ رَامَ الوُرُودُ سَرَابَهُ

الخطأ (وعزّه) والصحيح (وغَرّه)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٢٣ صفحة ٢٦٢ البيت التالي:

تَدأى وَمِنْ وَحْي الكُمَاةِ صُفُورُها ... فَالزَّجْرُ قَيْدٌ والنَّدَى قِيَادُ

الخطأ (صفورها) والصحيح (خُمورها)

الخطأ (الندى) والصحيح (النِّداء)

* **عدم الضبط الصحيح لبعض الأبيات:**

من الملاحظ أن الباحث لم يعتن بضبط الأبيات بالشكل السليم، بل إنه ترك كثيراً من الكلمات دون ضبط، ولا تكاد تخلو صفحة من ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

المقطوعة ذات الرقم ١٠٣ صفحة ٢٣٥ البيت التالي:

وامْتَكَ مَاءً «مَكّةَ» رواضع ... يقصر باع الدهر عَنْ خِطَامِها

الخطأ (وامْتَكَ) والصحيح (وامْتَكّ)

الخطأ (رواضع) والصحيح (رَوَاضِعٌ) والخطأ (يقصر) والصحيح (يَقْصُرُ)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٢٣ صفحة ٢٦٢ البيت التالي:

لَمْ يبقَ مَذْ أرهفتْ عزمكَ دونَه ... عَدد يَراعَ بهِ ولاَ اسْتعدَادُ

الخطأ (عدد) والصحيح (عَدَدٌ)

مثال آخر: من المقطوعة نفسها:

وسَواعِدٌ ضَرَبتْ بهنَّ وبالقَنَا ... مِنْ دُون مِلّةَ أحمد الأسْدَاد

الخطأ (ضَرَبتْ) والصحيح (ضُرِبَتْ)

مثال آخر: المقطوعة ذات الرقم ١٢٨ صفحة ٢٧١ البيت التالي:

أخرست شقشقة الضلال وقدته ... قود الذلول أطاع بعد صيال

الصحيح هو الضبط التالي:

أَخْرَسْتَ شَقْشَقَةَ الضَّلالِ وَقُدْتَهُ ... قَوْدَ الذَّلُولِ أَطَاعَ بَعْدَ صِيَالِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«والأمثلة على ذلك كثيرة».

* **الأخطاء المطبعية والتصحيفات**، فمن ذلك الجدول التالي الذي يبين جزءاً منها وليس حصراً لها:

رقم الأبيات	رقم الصفحة	رقم البيت	الخطأ	الصواب
٣٠	١١٨	٨	غرْطنّ	غَرَّ طَنَّ
٦٥	١٥٣	٢٤	سرموتي	سُرَّ مَوْتي
٧٧	١٩٠	٦	فاستصحدا	فاستحصدا
٨٤	٢٠١	٣٤	مُشحاً	محشاً
٩٨	٢٢٥	٦	زُبَر	ذُبَر
١٠٨	٢٤٥	١٤	نشورا	نسورا
١١٠	٢٤٩	٨	تعترف	تعترق
١١٣	٢٥١	٨	انتشار	انتثار
١١٦	٢٥٥	١٨	إقراماً	إقداماً
١٢١	٢٥٩	١٢	وأنت	دأبت

* **الاستدراكات:**

على الرغم من حرص الباحث على جمع أكبر عدد ممكن من شعر ابن منير، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال اتكائه على عدد كبير من المصادر والمراجع، فإنني أثبت في نهاية هذا البحث ما يقارب (٢٠٠) مئتي بيت من الشعر لم ترد عند الباحث.

وجدير بالإشارة أن الدكتور «تدمري» قد استدرك على الدكتور «سعود» بقرابة ثلاثماية بيت زد على ذلك ما أثبتُّهُ في ملحق هذه الدراسة من أشعار لم ترد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند المحققَيْن، بلغت عدتها مئتي بيت. وبذلك، يكون عدد الأبيات التي استدركت على الدكتور «سعود» قرابة خمسماية بيت.

ومما يؤخذ على الباحث أنه اعتنى بتوثيق الأبيات على حساب توضيح المفردات الصعبة، فقلّما تجد تفسيراً وتوضيحاً لمفردة أو لفظ صعب. بل إن هنالك صفحات مليئة بالكلمات والمفردات الصعبة. أعرض الباحث عنها ولم يوضحها مثال ذلك:

الصفحات: «٨٢-٨٧، ٩٢-٩٦، ١٠٤-١٠٨، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١٤٦-١٤٨، ١٥٢-١٥٩، ١٦١، ١٦٥-١٦٧، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١-٢٠٤...الخ».

وما قام به الدكتور تدمري يحتاج إلى جهد كبير كما أن تناوله للأبيات من حيث التخريج كان أكثر دقة من طبعة الديوان السابقة وأشد استقصاءً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر "دراسة موضوعيّة"

ظهرت مخايل النجابة على ابن منير منذ طفولته، فأقبل على العلم آخذاً من كل فرع بطرف، إلى أن ظهرت ميوله الأدبية، فنظم الشعر في وقت مبكر، وأجاد فيه إلى أن غدا علماً من أعلامه، يؤكد ذلك أسامة بن منقذ في سياق حديثه عن ابن منير بقوله: «كل فن من فنون الشعر يقصده، يستولي على محاسنه، وفنونه ويُحرز أبكار معانيه وعونه».[١]

وقد برع في فنون الشعر كلها، واستحوذ على أبواب الشعر، هذا ما أشار إليه في بعض أشعاره، فقد قال:

فَهَنيئاً لِمَنْ هَجَوْتُ وَمَنْ أَمْـ ... ـدَح إنْ ضَمَّنَ اسْمَهُ دِيوَانِي[٢]

وازداد إعجاب الشاعر بنفسه، وأخذ يتغنى مُفتخراً بها. يقول:

أَنَا مَنْ إذَا مَا الدَّهْرُ هَمَّ بِخَفْضِهِ ... سَامَتْهُ هِمَّتُهُ السِّمَاكَ الأَعْزَلاَ

وَاعٍ خِطَابَ الخَطْبِ وهُو مَجَمْجِمٌ ... رَاعٍ أَكَلَّ العِيسِ مِنْ عَدَمِ الكَلا[٣]

لقد تنوعت الأغراض الشعرية التي نظم بها ابن منير، وسأستعرض هذه الأغراض مبتدئاً بأكثرها شيوعاً في شعره، ثم الذي يليه وهكذا.

---

(١) بغية الطلب ج٣/١١٥٨.

(٢) الديوان: ص١٥٧.

(٣) نفسه: ص١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعرُ الجهَاد

يُعد شعر الجهاد غرضاً أصيلاً في شعر ابن منير، وقد احتلّ هذا الغرض مكاناً بارزاً في ديوانه، حتى أصبح له المقام الأول بين سائر الفنون التي أبدع فيها ابن منير، ولا غرو في ذلك، فقد كان دخول الفرنج بلاد المسلمين، واستيلاؤهم على بيت المقدس، باعثاً على قول هذا اللون من الشعر، وهو يرى تدمير البلاد، وضياع قبلة المسلمين الأولى، فهاله ما سمع من أفاعيل الفرنج، وسقوط البلاد والحصون الشامية في يد الصليبيين، وما صحبها من مجازر بشعة اقترفها الصليبيون عندما دخلوا بلادنا.

كان شعر هذه الفترة ينبعث بصدق وإخلاص لأنه يعبر عمّا كان يختلج في نفوس الشعراء من بغض الأعداء، ورغبة ملحة في طردهم من بلاد المسلمين، وكانوا يعبرون في الوقت نفسه عن أماني الأمة الإسلامية، وتطلعاتها في استعادة بلادها، ومقدساتها.

وإزاء هذه الظروف الجسام التي أحاطت بأمة الإسلام، كان لزاماً على شاعرنا أن يُكثر من الشعر الجهادي، بل إن الجهاد أصبح عنواناً لشعره، بعد أن رأى في عماد الدين زنكي ما لم يعهده في غيره من الحكام. فقد تزعم ردة الفعل الإسلامي القوية للغزو الصليبي، وهو الذي بعث الآمال الخابية في نفوس المسلمين.

ومضى شاعرنا في ركب الجهاد بالكلمة التي تُذكي في القلب نار الحماسة، وبالفعل الذي يؤرّق مضاجع الصليبيين، فعمل تحت لواء عماد الدين زنكي، ثم تحت لواء نور الدين زنكي، الذي يمثل أمل أمة، وتطلعات جماعة، والذي اشتدت حاجة المسلمين إلى مثله، بعد أن بلوا من سوء الحكام، وأنانيتهم ما أذلهم، وأفقدهم أرضهم وأوطانهم.[1]

لقد ساير شعر الجهاد الحروب الصليبية، وسجّل أحداثها، ودوّن الشعراء الأحداث البارزة قبل أن يتناولها المؤرخون. فتحدث الشعراء -ومنهم ابن منير- عن

(١) انظر: د. محمود إبراهيم: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني. المكتب الإسلامي دمشق. مكتبة الأقصى/ عمان، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م: ص١٥٥، ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انتصارات المسلمين، وعن الهزائم التي لحقت بأعدائهم، وخلدوا بأشعارهم عظماء المسلمين ممن كان له باع في مقارعة الصليبيين، وفي الوقت نفسه، هجوا المتخاذلين والمتقاعسين من الأمراء، والسلاطين، ورثوا الذين ماتوا أو استشهدوا من أبطال المسلمين أمثال عماد الدين زنكي، وابنه سيف الدين غازي أمير الموصل، الذي سيأتي الحديث عنه في الرثاء والتعزية.

كما وصفوا المعارك التي وقعت بينهم وبين أعدائهم، وتحدثوا عن الأسلحة التي استعملت فيها، وهكذا، جاء شعر الجهاد عندهم صورة للواقع، وتعبيراً عمّا يختلج في صدور الناس، وقد سمت مكانة الشعر الجهادي في هذه الفترة على الأغراض الشعرية الأخرى، وربما لا أجد نفسي مغالياً إذا زعمت أن ثلثي ما وصلنا من شعر ابن منير هو من هذا الصنف، فقد أحصيت ما يقارب ١٢٠٠ بيت من الشعر معظمها تصب في معين شعر الجهاد وموضوعاته. ومن موضوعات شعر الجهاد عند ابن منير.

الدعوة إلى الجهاد والتحريض

عشية الزحف الصليبي على بلاد الشام، غدا جسد المسلمين مترهلاً، وفي هذه الظروف العصيبة، أخذت تتعالى صيحات المخلصين من أبناء الأمة ممن أبصروا عواقب الأمور، وأيقنوا أن الجهاد هو السبيل الوحيد، والدواء الناجع.

وكان الشعراء ومنهم ابن منير يدعون الأمة، ويستنهضون هممها وعزائمها، فمن ذلك ما قاله شاعرنا ابن منير:

اللَّهَ أَحْوطَ لِلْعُلَى مِنْ أَنْ يَرَى ... سَاحَاً مُعَطَّلَةً وَسَرْجَاً مُهْمَلا[1]

ففي هذا البيت إشارة واضحة إلى أن الجهاد مُعطّل، وأن الناس قد عزفوا عنه، وأهملوه، لانشغالهم بالدنيا وملذاتها. فجاءت صرخة ابن منير هذه دعوة لأولئك الذين يرغبون في هدوء الحياة، ويفتشون عن راحة الفكر، ونعمة البال على حساب الكرامة، يدعوهم إلى الجهاد والمقاومة.

في سنة «٥٤٦هـ» حاصر نور الدين زنكي مدينة دمشق، لأن أهلها عاضدوا

(١) الديوان: ص١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرنج واستنصروهم، فمدحه ابن منير بقصيدة حرضه فيها على الجهاد وفيها يدعو ابن منير نور الدين إلى جهاد الخونة ممن عطلوا الجهاد، وتواطأوا مع الفرنج ضد المسلمين، يقول:

أَخَليفَةَ اللَّهِ الَّذي ضَمِنَتْ لَهُ ... تَصْديقَ واصِفِهِ سُراةُ المِنْبَرِ
صَفَّرْ بِحَدِّ السَّيْفِ دارَ أَشائِبٍ ... عَقَلُوا جِيادَكَ عَنْ بَناتِ الأَصْفَرِ[1]

وقد تعرض للحكام الذين أعطوا الدنية في دينهم، ووصفهم بالنفاق، فهم يستحقون القتل في الدنيا، والنار يوم القيامة. فيطلب من نور الدين أن يُشمّر عن ساعديه وأن يُعمل السيف في رقابهم يقول:

هُمْ شَيَّذوا صَرْحَ النِّفاقِ وأَوْقَدُوا ... نَاراً تَحُشُّ بِهِم فِي المَحْشَرِ
شَمِّرْ فَقَدْ مَدَّتْ إِلَيْكَ رِقَابَها ... لاَ يُدرِكُ الغَايَاتِ غَيرُ مُشَمِّرِ[2]

وفي سنة «٥٤٧هـ» مدح نور الدين، وهنأه بفتح انطرسوس[3]، ويحمور[4] بقصيدة مطلعها:

أَبَداً تُباشِرُ وَجْهَ غَزْوِكَ ضَاحِكاً ... وَتَؤُوبُ مِنْهُ مُؤَيَّداً مَنْصُورا[5]

يبين الشاعر أن الفرنج أصابهم الغرور، وأخطأوا عندما ظنوا أنهم في مأمن من سيف نور الدين، لذا، فهو يطلب منه أن يدمر الأرض من تحتهم يقول:

إِنَّ الأُولَى أَمِنوا وِقَاعَكَ بَعْدَها ... غُرُّوا وَقَدْ رَكِبُوا الأَغَرَّ غُرُورَا
أَلْقِ العَصَا فِيمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى ... مِنْهُمْ وَدَمِّرْ أَرْضَهُمْ تَدْمِيرَا

---

(١) الديوان: ص٢٢٨.

(٢) نفسه: ص٢٢٩.

(٣) أنطرسوس: وهي أنطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام. ذكر ياقوت أنها كانت آخر أعمال دمشق وأول أعمال حمص وهي شرقي عرقة. انظر معجم البلدان مادة أنطرطوس وذكر الدكتور تدمري أنها مدينة طرطوس حالياً وهي بين جبلة وطرابلس على الساحل. انظر الديوان: ص٢٤٥.

(٤) يحمور: لم أهتد إلى تحديد موقعها، والظاهر أنها يحمول: وهي قرية مشهورة من قرى حلب. انظر معجم البلدان مادة «يحمول».

(٥) الديوان: ص٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يُلْهِهِمْ أَنْ قَدْ مَنَنْتَ وَشُنَّهَا شَنْعَواءَ تَصْلي الكَافِرِينَ سَعِيراً[١]

وقد برزت الدعوة إلى تحرير بيت المقدس عند ابن منير، لما له من مكانة سامية في عقيدتنا الإسلامية؛ فهو قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين، وهي الأرض المباركة التي وصفها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله:

«سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله».[٢]

فارتباطنا بها ليس مجرد ارتباط شعب بتراب يعيش فوقه، بل قاعدة أرضية مقدسة من قواعد الإسلام لا تقوم مقامها أرض في الدنيا بأسرها.[٣]

* ومن شعر ابن منير في الدعوة إلى تحرير بيت المقدس، ما قال يمدح به عماد الدين زنكي ويهنئه بفتح الرّها[٤] سنة «٥٣٩هـ» في قصيدة مطلعها:

بِعِمادِ الدِّينِ أَضْحَتْ عُرْوَةُ الدِّ ينِ مَعْصُوباً بِها الْفَتْحُ الْمُبِينْ

ومنها:

وَغَداً يُلْقِي عَلَى القُدْسِ لَهَا كَلْكَلاً يَدْرُسُهَا دَرْسَ الدَّرِينْ

هِمَّةٌ تُمْسِي وَتُضْحِي عَزْمَةً لَيْسَ حِصْنٌ إِنْ نَحَتْهُ بِحَصِينْ[٥]

ونلاحظ أن الشاعر يربط بين الرّها،التي هي من أعظم المدن عند النصارى وأعظمها محلاً وهي إحدى الكراسي عندهم، إذ إن أشرفها بيت المقدس، ثم أنطاكية، ثم رومية، ثم قسطنطينية والرها[٦]، وبين بيت المقدس، فيعبر عن فرحته باسترداد الرها من الفرنج، ويدعو نور الدين إلى تحرير بيت المقدس، حتى تكتمل فرحة المسلمين بالنصر.

---

(١) الديوان: ص٢٤٦.

(٢) سورة الإسراء الأية١.

(٣) انظر: صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني: ص١٤٤.

(٤) الرّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ. انظر معجم البلدان مادة «الرّهاء».

(٥) الديوان: ص١٩٩-٢٠١. الدرين: حطام المرعى القديم اليبيس. انظر لسان العرب مادة «درن».

(٦) الروضتين ج١ق١/٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي موضع آخر نرى الشاعر يمدح نور الدين، ثم يشيد بجهاده المتصل ليله بنهاره، ويدعو الله أن يبقيه سنداً وذخراً لهذا الدين، ثم يختم القصيدة بالدعوة إلى تحرير بيت المقدس، فيصوّر عيسى -عليه السلام- قد لجأ إلى سيف نور الدين يستنصره لتطهير بيت المقدس من دنس الفرنج. يقول:

فِدَاكَ مَنْ صَامَ وَمَنْ أَفْطَرَا ... وَمَنْ سَعَى سَعْيَكَ أَوْ قَصَّرَا
وَمَا الْوَرَى أَهْلاً فَتُفْدَى بِهِمْ ... وَهَلْ يُوَازِي عَرَضٌ جَوْهَرَا

ومنها:

جِهَادَ لَيْلٍ فِي نَهَارٍ فَفُزْ ... إِذْ كُنْتَ فِيهِ الأَصْبَرَ الأَشْكَرَا
أَبْقَاكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ مَنْ ... خَلاَّكَ فِي لَيْلِهِما نَيِّرَا
حَتَّى نَرَى عِيسَى مِنَ القُدْسِ قَدْ ... لَجَا إِلَى سَيْفِكَ مُسْتَنْصِرَا[1]

وفي سنة «٥٤٦هـ» حاصر نور الدين دمشق لمعاضدة حاكمها الفرنج، واستنصاره بهم، وقال ابن منير قصيدة يمدح فيها نور الدين ويحرضه على قتاله، ويدعوه أن يحرر المسجد الأقصى، وأن يطهره من دنس علوج الفرنج، يقول:

أَخَلِيفَةَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَتْ لَهُ ... تَصْدِيقَ وَاصِفِهِ سُرَاةَ المِنْبَرِ

إلى أن يصل إلى قوله:

يَا هَضْبَةَ الإِسْلاَمِ مَنْ يَعْصِمْ بِهَا ... يُؤْمِنْ وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْهَا يَكْفُرِ
كَانُوا عَلَى صَلْبِ الصَّلِيبِ سُرَادِقاً ... أَنَبَتَ بَنِيَّتَهُ بِكُلِّ مُذَكَّرِ
آثَارُهُمْ نَجَسٌ أَذَالَ المَسْجِدَ الـ ... ـأَقْصَى فَصُنْ مَا دَنَّسُوهُ وَطَهِّرِ
جَارَ الخَلِيلُ وَمَنْ بِغَزَّةَ هَاشِمٍ ... بِلِهَامِكَ[2] المُتَدَمْشِقِ المُتَمَصِّرِ[3]

وتمثل هذه الأبيات صرخة استغاثة جسّدها الشاعر على لسان مدينة خليل الرحمن، ومدينة غزة هاشم، وهما يئنان ويجأران إلى الله من ظلم الفرنج،

---

(١) الديوان: ص٢٠٦.

(٢) بلهامك: اللهم: الإبتلاع، واللهام الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء. انظر لسان العرب مادة «لهم».

(٣) الديوان: ص٢٢٨-٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستجيران بنور الدين وجيشه العظيم.

ومن قصيدة أخرى بالمناسبة نفسها، يربط الشاعر بين دمشق والقدس، وكأنه يريد أن يذكر نور الدين بالهدف الأكبر من حملته الجهادية، المتمثل في تحرير بيت المقدس، يقول:

دِمَشْق دِمَشْق إنَّما القُدْسُ سَرْحَة[1] ... وَمَرْكَزُهَا صَرْحٌ عَلَيْهَا مُمَرَّدُ
حَمَوْهَا لِكَيْ يَحْمُوا وَقَدْ بَلَغ المَدَى ... بِهِم أَجَلٌ حَتْمٌ وَعُمْر مُحَدَّدُ
مَتَى أَنَا رَاءٍ طَائِرَ الفَتْح صَادِحَاً ... يُرَفْرِفُ فِي أَرْجَائِهَا وَيُغَرِّدُ[2]

وفي سنة «٥٤٧هـ» نزل نور الدين على حصن أنطرسوس، وافتتحه، وقتل من كان فيه من الإفرنج، ومنح الباقين الأمان، فأنشده ابن منير قصيدة، مدحه بها وهنأه بهذا الفتح. ثم نلمس الدعوة لتحرير الأقصى ظاهرة. يقول:

وتُرِيكَ لَامِعَةُ التَّرِيكِ بِسَاحَةِ الـ ... أَقْصَى مُطَهَّرة لَهَا تَطْهِيرا[3]

مما تقدم، نجد أن شاعرنا لا يكاد يترك حدثاً يقع إلا ويتخذ منه مجالاً للدعوة إلى تحرير بيت المقدس، والدعوة إلى الجهاد واستنهاض الأمة لاسترداد الديار والأمصار من الفرنج الكفار.

الدعوة إلى وحدة الأمة:

أيقن ابن منير أن الوحدة، والأخذ بأسباب القوة سببان من أسباب النصر، ولا يمكن للأمة أن تعود لسالف مجدها وهي في حالة من الفرقة والتشرذم، فلا بدّ من توحيد القوى الإسلامية ضد الصليبيين، وذلك بتوحيد البلاد تحت راية واحدة، يحكمها حاكم واحد يقود جيشاً إسلامياً قوياً، يقول في قصيدة بعثها إلى نور

---

(١) سرحة: سرح سرحاً وسروحاً، خرج بالغداة، وقيل شجرة عظيمة طويلة، انظر لسان العرب مادة «سرح».

(٢) الديوان: ص٢٣٣.

(٣) الديوان: ص٢٤٦، انظر: مجلة المورد العدد الأول، المجلد الحادي عشر ربيع ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدين زنكي وهو محاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ يحرضه على قتال صاحبها «مجير الدين» ويُعرِّضُ به، ويطلب من أهل دمشق أن يسارعوا إلى الانضمام إلى جيش نور الدين الذي دانت له الشام، وأن يفروا إليه لأنه هو الذي حقق الانتصارات الكبيرة على الفرنج، يقول:

وقل "لِمُجَيرِ الدِّين" وهو مُجيرُهُ ... بَزَّعْم لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَزْبَدُ
تَنَصَّرْتَ أَمَّا بَلْ تَمَجَّسْتَ وَالِدَاً ... وَعَمَّاً فَعِرْقَ الْكُفْرِ فِيكَ مُرَدَّدُ

ثم يقول:

إِلَيْكُمْ بَنِي العِلَّاتِ عَنْ مُتَشَاوِسٍ ... لَهُ «الشَّام» مَرْفَا و«العِرَاق» مَرْفَدُ
وَمَا مِصْرُ إِلَّا بَعْض أَمْصَارِهِ الَّتِي ... إِلَى أَمْرِهِ تَسْعَى قَمَاءُ[1] وَتَحْفِدُ[2]
أَنِيبُوا إِلَيْهِ فَهُوَ أَرْحَمُ قَادِرٍ ... لَهُ الصَّفْحُ دِينٌ وَاقْبَلُوا النُّصْحَ تَرْشَدُوا
وَفِرُّوا إِلَى مَوْلَاكُمُ الَّذِي لَهُ ... عَلَيْكُمْ أَيَادٍ وَسْمُهَا لَيْسَ يَجْحَدُ[3]

وفي الأبيات السابقة دعوة صريحة لوحدة الأمة تحت قيادة قوية، تتمثل في نور الدين زنكي، الذي يرى فيه الشاعر صفات القائد القوي الحليم الراشد، الذي له أيادٍ بيضاء على الرعية لا يجحدها إلا كل كافرٍ مارق. فقد طوع البلاد تحت إمرته.

ويعبر ابن منير عن إيمانه بالقوة سبيلاً لتحرير الأرض، ودحر الغزاة، حين مدح نور الدين بقصيدة سنة «٥٤٤هـ» بعد استيلائه على حصن «أنب» إذ يُعدّ شاعرنا نور الدين نموذجاً للبطل القوي، بل رمزاً للقوة التي تحقق الظفر على الأعداء. يقول:

تَرَكُوا مُشَاجَرَةَ الرِّمَاحِ لِحَاذِقٍ ... جُعِلَتْ مَخَافَتُهُ الْقُصُورَ قُبُورَا
لِرَبِيبِ حَرْبٍ لَمْ تَزَلْ فِعْلَاتُهُ ... كَالرَّاءِ يَلْزَمُ لَفْظُهَا التَّكْرِيرَا

---

(١) قماء: قمأ الرجل وغيره قماءً وقماءةً: صغر وذلّ في الأعين. انظر لسان العرب مادة «قمأ».

(٢) حفد: حفد الرجل ونحوه: حفداناً: خف وأسرع في العمل. انظر اللسان مادة «حفد».

(٣) الديوان: ص٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَسَدٌ إِذَا مَا عَادَ مِنْ ظَفَرٍ بِمُفْـ ... ـتَرِسٍ أَحَدٌ لِمِثْلِهِ أَظْفَوراً[1]
يَتَنَاذَرُ الأَعْدَاءُ مِنْهُ سَطْوَةً ... مِلءَ الزَّمَانِ تَغَيُّظاً وَزَفِيراً
عَرَفُوا لِنُورِ الدِّينِ وَقْعَ وَقَائِعٍ ... وَفَّى بِهَا الإِسْلَامُ أَمْسَ نُذُورا
أَبَداً يُظَافِرُكَ القَضَاءُ عَلَى الَّذِي ... تَبْغِي فَتَرْجِعَ ظَافِراً مَنْصُوراً[2]

وتفصح الأبيات عن حقيقة مؤداها، أنه ما كان لأمة الإسلام آنذاك أن تتوحد لولا مخافة نور الدين الذي تهابه، وتخشاه، وتعلم أنه لا يُقَدِّمُ على وحدة الأمة شيئا، ولا يُحابي أحداً ولو كان ذا قُربى. وما كان لهذه الانتصارات أن تتحقق على أرض الواقع، لولا إيمان نور الدين بالقوة سبيلاً لتحقيق النصر. وما كان للفرنج أن يندحروا عن بلادنا كاسفين مقهورين، لولا أنهم لاقوا من القوة ما ليس لهم به قِبل.

وفي أبيات من قصيدة يمدح فيها نور الدين، يذهب ابن منير إلى أن قوة السلاح من لوازم النصر. يقول:

وَأَنْتَ السَّيفُ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ... وَلَا شَحَذَتْ مَضَارِبَهُ القُيُونُ
تَرَقْرَقُ فَوْقَ صَفْحَتِهِ الأَمَانِي ... وَيَقْطُرُ مِنْ غَرَارِيهِ المَنُونُ
وَقَبْلَكَ مَا سَمِعْتَ بِذِي فَقَارٍ ... يَبِيرُ الفَقْرَ كَانَ وَلَا يَكُونُ
وَلَا غَيْثٌ سَمَاوَتُهُ سَرِيرٌ ... وَلَا لَيْثٌ وَسَادَتُهُ عَرِينُ[3]

ومما يعزز مفهوم القوة والإيمان، أن الشاعر استهل قصائده بمطالع تمجد القوة وتُعلي شأنها. يقول بعد فتح حصن «أفاميه»[4] سنة «٥٤٤هـ» مخاطباً نور الدين.

---

(١) اظفورا: مادة قرنية في أطراف الأصابع، أظافير، وأظافر. انظر: اللسان مادة «ظفر».

(٢) الديوان: ص٢١٨.

(٣) الديوان: ص ٢٣٦.

(٤) أفامية: مدينة حصنية من سواحل الشام، وكورة من كور حمص. انظر معجم البلدان مادة «أفامية».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَسْنَى المَمَالِكَ مَا أَطَلْتَ مَنَارَها وَجَعَلْتَ مُرْهَفَةَ الشِّفَارِ دِسَارَهَا[١]

ثم مطلع القصيدة التي مدح فيها نور الدين وهنأه بفتح حصن «إنب»[٢] سنة «٥٤٤هـ» يقول:

خَنَسَ الثَّعَالِبُ حِينَ زَمْجَرَ مُصْحِرُ مَلأَ البِلاَدَ هُمَاهِمَاً وَزَئِيراً[٣]

ومطلع القصيدة التي أنشدها بُعيد استيلاء نور الدين على «دُلُوك»[٤] سنة «٥٤٥هـ»:

هِيَ الخَيْلُ خَيرُ عَتَادِ الكَرِيـ ـمِ يَحْضُرُ لِلْهَمِّ إِحْضَارُهَا[٥]

وقصيدة يمدح فيها نور الدين، ويذكر انتصاراته في مواقع عديدة، كإنب وهاب، وحارم، وإنطاكية، وعزاز. يقول:

أَيَا سَيْفاً أَعَزَّ الدِّينَ فِيهِ الـ ـغِرارُ العُضْبُ[٦] والنَّوْمُ الغِرَارُ[٧]

ومن قصيدة أخرى يقول:

عَزَّتْ سُيُوفُكَ فَالعِرَاقُ عِرَاقُهَا وَالشَّامُ غَيرُ مَدَافِعَاتٍ شَامَهَا[٨]

إن اختيار الشاعر لهذه المطالع التي تتسم بقوة اللفظ، وجزالة الجرس الموسيقي، يتناسب مع جو القصيدة المفعم بمعاني القوة التي ارتضاها الشاعر أسلوباً للتعبير عن حاجة الأمة إليها، إذ لا كرامة، ولا مجد لمن يفتقدها، وما هذه القوة التي ينشدها الشاعر إلا ثمرة من ثمار الوحدة التي كرّس جهده لها.

---

(١) الديوان: ص٢١٥، دسارها: الدسار: المسامير: وقيل الشريط من الليف الذي يشد بعضه ببعض، انظر اللسان مادة «دسر».

(٢) إنب: حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب: انظر معجم البلدان مادة «إنب».

(٣) الديوان: ص٢١٨.

(٤) دُلُوك: بليدة من نواحي حلب انظر معجم البلدان مادة «دلوك».

(٥) الديوان: ص٢٢٦.

(٦) العضب: عضب السيف عضوبا: صار قاطعا. انظر اللسان مادة «عضب».

(٧) الديوان: ص٢٥١.

(٨) نفسه: ص٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **صورة البطل:**

افتخر الشاعر العربي في كل عصوره بالبطل الظافر، ووجد في بطولته معيناً على شاعريته، فهو الذي حقق الانتصارات، وطرد العدو، وأخذ بالثأر فشفى به صدور قومه، وكان عماد الدين زنكي وابنه نور الدين من أشهر أبطال تلك الفترة، وكان نور الدين أكثر حظاً في الشهرة من أبيه، ساعده على ذلك عدة أمور من أهمها:

طول مدة حكمه، وحرصه على لحاق العدو بنفسه، وقوة شخصيته، وشدة تعلقه بالله تعالى وخشيته له، فهابته الملوك، وخافه العدو.

ولقد رسم ابن منير صورة للبطل تجمع في جوانبها الصورة المثلى للقائد المسلم، والحاكم المسلم، صورة تتجسد فيها الصفات الحسية، والفضائل المعنوية، فمن صفات البطل عند ابن منير أنه:

أ- القائد المجاهد: إذ يصور بطله أنه صاحب عزيمة لا تلين أمام الأعاصير، فهو مجاهد قوي حازم شجاع، والشواهد الشعرية على هذه الصورة كثيرة، أجتزئ منها ما يلي، يقول في عماد الدين:

صِفَاتُ مَجْدِكَ لَفْظٌ جَلَّ مَعْنَاهُ ... فَلاَ اسْتَرَدَّ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ

يَا صَارِمَاً بِيَمِينِ اللَّهِ قَائِمُهُ ... وَفِي أَعَالِي أَعَادِي اللَّهِ حَدَّاهُ[1]

وفي فتح الرها، يصفه بقوله:

مُنِيَتْ مِنْهُ بِلَيْثٍ قَائِدٍ ... بِعَرَانِ الذُّلِّ آسَادِ العَرِينْ

زَارَهَا يَزْأَرُ فِي أُسْدٍ وَغَى ... تُبدِلُ الأُسْدَ مِنَ الزَّأْرِ الأَنِينْ[2]

ومن صور الجهاد أن البطل جريء في اقتحام حصون الأعداء، ولا يتركها إلا وهي محطمة، ويصاحب هذه الجرأة خفة وحركة تباغت العدو، يقول:

صَدَمْتَهُمُ بِأَرْعَنَ مُرْجَحِنّ ... كَأَنَّ مَطَارَ أَنْسُرِهِ غَمَامُ

---

(١) الديوان: ص١٩٥.

(٢) نفسه: ص١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأَيَّةَ لَيْلَةٍ لَمْ تَلْفِ فِيها ... لَهُمْ طَيْفاً يَرُوعُ بِهِ مَنَامُ[١]

وفي موضع آخر يقول:

مَلَأْتَ جَوانِحَ الأَقْطَارِ رَجْفاً ... كَأَنَّ الأَرْضَ خَامَرَهَا دُوَارُ
تُحَرِّقُ مَنْ عَصَاكَ وَأَنْتَ مَاءٌ ... وَتُغْرِقُ مَنْ رَجَاكَ وأَنْتَ نَارُ
تَبَادِرُهُ كَأَنَّ المَوْتَ غُنْمٌ ... وَمَا مِنْ عَادَةِ البَدْرِ البِدَارُ[٢]

والبطل عند شاعرنا يجاهد احتسابا ويدافع الغيرة على هذا الدين وإرضاءً لرب العالمين. يقول:

وَهَبَبْتَ لِلإِسْلامِ وَهْوَ مُصَوَّحٌ ... فَاهْتَزَّ أَهْضَابٌ وَرَقَّ نُجُودُ[٣]

ويقول:

يا ابْنَ الَّذِي لَمْ يَأْلُ فِي نَجْدَةِ الـ ... إِسْلامِ إِدْلاَجاً وَتَهْجِيرَا[٤]

ويقول:

غَضَباً لِدِينِ اللَّهِ خَصَّ جَنَاحَهُ ... بَغْياً وَأَدْمَى صَفْحَتَيْهِ لِدَامُها[٥]

وتجلو الأبيات صورة البطل، وقد هبّ للذود عن الإسلام وأهله، لا يخشى في الله لومة لائم، فانقادت له البلاد رغباً ورهباً. وقد ورث هذه الغيرة على الدين كابراً عن كابر.

وقد أجاد ابن منير عندما صور بطله نور الدين عقب فتح حصن أفامية سنة «٥٤٤هـ» فوصفه بالماهر في القتال، الذي تفتحت عيناه على الحرب، ومصارعة الأعداء، فغدا أسداً بعد أن نشأ شبلاً، وهو الذي تخشاه الأعداء،وهو ذو همة وعزيمة لا تفتر، ومن هذه الأبيات:

---

(١) الديوان: ص٢٤٩.

(٢) نفسه: ص٢٥١، ٢٥٢.

(٣) نفسه: ص٢٤١.

(٤) نفسه: ص٢٥٧..

(٥) نفسه: ص٢٥٥. اللدم: اللطم والضرب بشيء ثقيل يُسمع وقعه. انظر اللسان مادة لدم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَرَكُوا مُشَاجَرَةَ الرِّمَاحِ لِحَاذِقٍ جَعَلَتْ مَخَافَتُهُ القُصُورَ قُبُورَا[١]

ب- المقتدي بالسلف: والبطل نور الدين يترسم خطى السلف الصالح، فهو الذي أحيا العدل بعد أن كان ميتاً في دنيا الناس، وأنقذ دين الله بعد أن كادت الأصنام تطغى عليه، واستطاع أن يعيد للأمة الإسلامية سالف مجدها. يقول:

أَيَا مُحْيِيَ العَدْلِ لَمَّا نَعَا هُ أَيَامَى البَرَايَا وأَيتَامَهَا
وَمُسْتَنْقِذَ الدِّينِ مِنْ أُمَّةٍ أَزَالَ المَحَارِيبَ أَصْنَامَهَا[٢]

والشاعر يعيد للذاكرة صوراً عاشها الصحابة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيشبه معاركه بفتوحات النبي عليه السلام ثم يصفه بأنه أعاد للمسلمين أمجاد النصر في بدر، وأحد، والتفّ الناس حوله، تاركين أوطانهم وأهليهم، مهاجرين إلى الله ورسوله، يلبون داعي الجهاد لاسترداد البلاد من الفرنج. فانضم إليه أهل البلاد المستردة يناصرونه، ويؤازرونه، فالتقى الفريقان، المهاجرون والأنصار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وجدد الإسلام في نفوس الناس بعد أن كاد يزول. ويشبه انتصارات نور الدين. وبطولاته بعقد ثمين يزين عنق الدهر مدى الحياة. يقول:

أَعَدْتَ بِعَصْرِكَ هَذَا الأَنِيـ ـقَ فَتْحَ النَّبِيِّ وأَعْصَارَهَا
فَوَاطَأْتَ يَا حَبَّذَا «أُحُدَيْهَا» وأَسْرَرْتَ مِنْ بَدْرٍ أَنْوَارَهَا
وَكَانَ مُهَاجِرُهَا تَابِعِيكَ وَأَنْصَارُ رَأْيِكَ أَنْصَارَهَا
فَجَدَّدْتَ إِسْلَامَ سَلْمَانِهَا وَعَمَّرَ جَدُّكَ عَمَّارَهَا
وَصُغْتَ حَلَى مِنْ عُلاً أَحْكَمَتْ عَلَى عَنِقِ الدَّهْرِ أَزْرَارَهَا[٣]

كما صورت الأبيات «نور الدين» البطل النموذج، الذي اشتدت حاجة المسلمين إليه فجمع بين الرجولة ورجاحة العقل، وحسن الخلق، إذ أنه استطاع أن يضم المسلمين جميعاً، وأن يُجند طاقاتهم لخدمة هذا الدين، ومقاتلة الفرنج. وبناء الأمجاد التي تعيد للأمة الإسلامية مكانتها بين الأمم.

---

(١) الديوان: ص٢١٨.

(٢) نفسه: ص١٩٥.

(٣) نفسه: ص٢٢٧، ٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر الاقتداء بالسلف أنه تقيّ يخشى الله في خلواته، عابد، زاهد، بعيد عن اللهو والترف، دائم الذكر لله نهاراً، والقيام لله ليلاً، كثير الصدقات، يستمع للرعية بكل تواضع. يقول:

يَقْظَانَ يَخْشَي اللّهَ فِي خَلَواتِهِ ... لاَ مُتْـرَفٌ لاهٍ وَلاَ جَبّـارُ[١]

* * *

مَلِكٌ تَنَامُ عَنِ الفَحْشَاءِ هِمَّتُـهُ ... تُقَـىً وَتَسْهَـرُ لِلْمَعْـرُوفِ عَيْنَـاهُ[٢]

* * *

أَمَّا نَهَارُكَ فَهْوَ لَيْلٌ مُجَاهِـدٍ ... وَاللَّيْـلُ مِنْ طُـولِ القِيَـامِ نَهَـارُ[٣]

* * *

لِسَانُ بِذِكْرِ اللّهِ يَكْسُو نَهَارَهُ ... بَهاءً وَحَتَّى فِي الدَّجَى لَيْسَ يَرْقُدُ

* * *

وَبَـذْلٌ وَعَـدْلٌ أَعْرَقَا وَتَأَلَّقَا ... فَلاَ الوِرْدُ مَثْمُودٌ وَلاَ البَابُ مَوْصُودُ[٤]

إن القارئ لهذه الشواهد يُحس بأنه أمام أحد الخلفاء الراشدين، فقد صورت الأبيات مآثر ومناقب البطل بواقعية وصدق، وهذا ما تؤكده كتب التاريخ والسير.

ومن مظاهر التأثر والاقتداء بالسلف أنه يسابق الصالحين بالعبادة، ويحافظ على النوافل، حتى صرن عنده لوازم، يقول:

كَمْ سِيَـرة أَحْيَيْتَهَـا عُمَريَّـةً ... رُفِعَتْ لَها فَي الخَافِقَيْنِ مَنَارُ

وَنَوَافِـلٌ صَيَّرْتَهُـنَّ لَوازِمَـاً ... بِأَقَلِّهَـا تُسْتَعْبَـدُ الأَحْـرَارُ

لاَ زِلْتَ تَقْفُـو الصَّالِحِيَن مُسَابِقَـاً ... لَهُمُ وَتَطْلُـعُ خَلْفَـكَ الأَبْـرَارُ

نَفْسَ السِّيَادَةِ زُهد مِثْلِكَ فِي الَّذي ... فِيهِ تَفَانَتْ يَعْـرَبٌ ونِـزَارُ[٥]

لم تقف الأبيات عند تشبيه البطل بأحد الخلفاء الراشدين -عمر بن الخطاب-

---

(١) الديوان: ص٢٢٤.

(٢) نفسه: ص١٩٥.

(٣) نفسه: ص١٩٢.

(٤) نفسه: ص١٨٩.

(٥) نفسه: ص١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في سيرته، وعدله ومآثره وحسب، بل قدمت لنا صورة للحاكم المسلم الذي يتصف بخلال لا تجدها إلا في الأنبياء، حتى أمسى الأبرار، والصالحون، والزهاد، يتطلعون إليه علهم يلحقون به.

حُقّ لابن منير أن يصف بطله نور الدين بكل هذا. فقد وصفه غيره بقوله: «السلطان الملك العادل العالم العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المرابط نور الدين... سيد ملوك الشرق والغرب وسلطانها، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، ناصر دولة أمير المؤمنين»[١] وقد نقل ابن الجوزي عن ابن الأثير قوله في نور الدين: «قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمة من قبل الإسلام إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبدالعزيز ملكاً أحسن سيرة من نور الدين، ولا أكثر تحرياً للعدل، والإنصاف منه...»[٢]

جـ- راعي المسلمين: كان نور الدين راعياً للمسلمين، ودينهم وأموالهم، وجه اهتمامه لبناء مجتمع إسلامي قوي متماسك ليجابه به العدو الصليبي، فجعل من نفسه رقيباً عليها، فباستقامته استقامت الرعية، وبنى دولة قوية آمنة، وادعة مستقرة، أضحى المسكين فيها عزيزاً، والمتغطرس الجبار ذليلاً يقول:

مَلَكْتَ والأَرْضَ مَغْبَرَّةً ... تَكَادُ تَحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
فَمَا زِلْتَ تَدْجَنُ حَتَّى مَحَوْتَ ... دُجَاهَا وَشَعْشَعْتَ أَنْوَارَهَا
وَصُلْتَ فَأَعْزَزْتَ مِسْكِينَهَا ... وصُلْتَ فَأَذْلَلْتَ جَبَّارَهَا[٣]

لقد بنى دولة عمها الأمن والرخاء، ثم يصوره بالأب الرحيم الذي يسير على رعاية أبنائه ويكلؤهم بعطفه وحنانه. فيقول:

دَوْلَةً مَنْ دَانَتِ البِلَادُ[٤] لَهُ ... وَعَمَّهَا ظِلُّهُ فَأَغْنَاهَا[٥]

لقد سعى نور الدين إلى توفير الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم، فعاشت

---

(١) مرآة الزمان: ج٨ق١/٣٢٣.

(٢) نفسه: ج٨ق١/٣٠٧.

(٣) الديوان: ص٢٢٨.

(٤) في الديوان «البلد» وبه ينكسر وزن البيت، وصححته «البلاد» لإقامة الوزن.

(٥) الديوان: ص٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرعية بسلام، وأمان في دينها ودنياها. هذا ما عبّر عنه ابن منير بقوله:

أَمَّا الرَّعَايَا فَإِنَّهَا رَشَفَتْ ... لَدَيْكَ نُعمى عَذباً ثَنَايَاهَا

سَلَكْتَ نَهْجَ العَدْلِ القَوِيم بِهَا ... فَاحْمَدْتَ دِينَهَا ودُنْيَاهَا[١]

يحاول الشاعر أن يقدم لنا صورة المجتمع الآمن المطمئن، وكأن لسان حاله يقول؛ بأن نعمة الأمن والاستقرار ثمرة من ثمار العدل، وهذا يذكرنا بمقولة رسول كسرى، عندما جاء لمقابلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فرآه نائماً تحت ظل شجرة، من غير حراسة، على غير عادة الملوك والحكام. فقال له: حكمت فعدلت فأمنت فنمت، يقول ابن منير:

ثم أَلْبِسُوا عَدْلَكَ المُدَبَّجَ فَاخْتَا ... لوُا بِنَاتٍ فِي وَشْيِهِ وبَنِينَا

سَهِرَتْ عَيْنُكَ الكَلُوءُ وَنَامُوا ... تَحْتَ أَكْنَافِ رَعْيِهَا آمِنِينَا[٢]

يركز الشاعر على إظهار صفة العدل في بطله فنراه يكررها في غير موضع بصور متعددة ولعل سبب ذلك تعطش الأمة لهذه الخصلة في الحكام، فقد عاش الناس قبل نور الدين وعماد الدين زنكي حياةً مضطربة، يسودها الظلم والجور، واتباع الهوى، إلى أن جاءت دولة آل زنكي، فقوّضت الظلم وبنيانه من القواعد، وأقامت بدلاً منه، ما يناسب الفطرة البشرية من القسط والعدل، يقول:

وَأَحَقُّ مَنْ مَلَكَ البِلَادَ وَأَهْلَهَا ... رَؤُوفُ تَكَنَّفَ عَدْلُهُ أَقْطَارَهَا

فَأَقَرَّ ضَجْعَتَهَا وأَنْبَتَ نَيَّهَا ... وأَسَاغَ جُرْعَتَهَا وأَثْبَتَ زَارَهَا[٣]

كما رعى نور الدين المسلمين اقتصادياً، فأسقط المكوس، فلم يترك في بلد من بلاده ضريبة، ولا مكساً، ولا عشراً، بل أطلقها -رحمه الله- جميعها في بلاد الشام والجزيرة جميعها... وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون ديناراً...»[٤]

يقول ابن منير:

---

(١) الديوان: ص٢٥٦.

(٢) نفسه: ص١٩٤.

(٣) نفسه: ص٢١٥.

(٤) الروضتين: ج١ق١/١٤، انظر: مرآة الزمان ج٨ق١/٣١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمَحَا المَظَالِمَ مِنْكَ نَظْرَةُ رَاحِمٍ ... لِلَّـهِ فِـي خَطَرَاتِـهِ أَسْـرَارُ
غَضْبَانَ لِلإِسْـلامِ مَـالَ عَمُـودُهُ ... فَلِنَـوْرِهِ مِمَّـا عَـرَاهُ نُـوَارُ
وَجَذَمْتَ كُلَّ يَدٍ تَسَوَّرَ عن يَدٍ ... فَأَحَلْتَ ذَاكَ السُّورَ وَهْوَ سُوَارُ
لَمْ يَبْقَ مَاكِسُ مُسْلِمٍ سَلِعاً وَلا ... سَاعٍ لِمَظْلَمَةٍ وَلا عَشَّارُ[١]

وكأن الشاعر هنا يريد أن يبين أن مسؤولية الحاكم المسلم، لا تقف عند عدم إيقاع الظلم أو الحيف على الرعية وحسب، بل تتعداها إلى إزالة المظالم التي أوقعها من سبقه من الحكام، فالحاكم أشبه بالطبيب الذي يستأصل كل خبيث يراه في مريضه أثناء العلاج، حتى ولو لم يطلب المريض منه ذلك.

ومن واجبات الحاكم المسلم إنشاء المؤسسات الاجتماعية التي ترعى المسلمين في حياتهم، في مسكنهم وملبسهم، ومأكلهم ومشربهم لذا فقد أنشأ نور الدين البيمارستانات، والمدارس، والمساجد، والخوانق، والرباطات وغيرها، ووقف الأوقاف على ما أنشأه من مؤسسات وذلك لتسيير شؤونها، يقول:

سَمَكْتَ المَدَارِسَ فَوقَ النُّجُومِ ... فَكَمْ مُنْجَمٍ تَحْتَهَا قَدْ نَجَمْ
وعَـاشَ الحَنِيفِـيُّ والشَّافِعِـيُّ ... بِمَا شِدْتَ مِنْهَا وَكَانَا رِمَمْ[٢]

وبعد هذا كله، فالبطل عند ابن منير، صاحب مكانة عالية، فهو ليس كأي حاكم أو أي ملك، لذا فصورة البطل عند ابن منير متميزة، قل أن يجود الزمان بمثله. بل يرفعه الشاعر فوق مرتبة الملوك، يقول:

المَلِكُ العَادِلُ لَفْظٌ طَابَـقَ الـ ... ـمَعْنَى وَفِي الوَصْفِ مَعَادٌ مُسْتَرَدّ
خَيْرُ النُّعُوتِ مَا جَرَى الوَصْفُ عَلَى ... صَفْحَتِهِ جَرْيَ النَّسِيمِ فِي الوَمَدْ[٣]
النَّاسُ أَنْـتَ والمُلُوكُ شَـرطُ ... تَعَـدُّ لَيْثَـاً ويُعَـدُّونَ نَقَـدْ
مِثْلَـكَ لا يَسْخُـو بِـهِ زَمَانُـهُ ... ومِثْلَ مَا أُوتِيتَ لَمْ يُؤْتَ أَحَدْ[٤]

---

(١) الديوان: ص ١٩٢

(٢) نفسه: ص٢٥٩، انظر الديوان: ص١٩٣، ٢٦٢.

(٣) الومد: ندى يجيء في صميم الحرّ من ناحية البحر مع سكون الريح، وقيل هو الحر أياً كان من سكون الريح. انظر اللسان مادة «ومد».

(٤) الديوان: ص١٨٧، ١٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول في عماد الدين زنكي بُعيد تحرير الرها سنة «٥٣٩هـ».

أَصْبَحْتَ دُونَ مُلوكِ الأرضِ مُنْفرِداً بلاَ شَبيهٍ إذِ الأَمْلاكُ أَشْبَاهُ[١]

وما كان للبطل عند ابن منير أن ينفرد أو يتميز عن غيره من الملوك، والحكام، لولا همته العالية، وعزيمته الماضية. يقول:

هِمَمٌ تَحَجَّلَتِ المُلُوكُ وَرَاءَهَا بِدَمِ العِثَارِ وَمَا اقْتَفَتْ آثَارَهَا

وعَزَائِمٌ تَسْتَوْفِزُ الآسَادُ عَنْ نَهْشِ الفَرائِسِ إنْ أحَسَّ أُوارَهَا[٢]

ثم يرى الشاعر أنه لو مثل الإسلام ملك غير نور الدين لما تسنى له أن يفعل مثل ما فعل، وما حققه من انتصارات. يقول:

فَلَوْ قَدْ مَثَّلَ الإسْلاَمَ شَخْصاً لَرَشَفَ مَا وَطِئْتَ مِنَ السَّلامِ[٣]

ومما يدل على علو مكانته، مقارنته بغيره من الحكام، وبخاصة الحكام المتخاذلين، عن ذلك كتب ابن منير لنور الدين من حماة وهو محاصر دمشق سنة «٥٤٦هـ» قصيدة ينال فيها من صاحبها مجير الدين، ويُعرض به، إذ يقول:

فَيَا رَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ بُيُوتاً عَلَى جَيْرُونَ بِالذُّلِّ تَعْمُدُ

وقُلْ لـ«مُبِيرِ الدِّينِ» وَهْوَ مُجيرُهُ بِزَعْمٍ لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَزْبَدُ

حَمَلْتَ الصَّلِيبَ بَاغِياً وَنَبَذْتَهُ وَثَغْرُكَ مَطْوُوسُ النَّبَاتِ وَأَدْرَدُ

وَحَارَبْتَ حِزْبَ اللهِ وَاللهُ نَاصِرُ لِنَاصِرِهِ وَدِينُ أَحْمَدَ أَحْمَدُ

تَنَصَّرْتَ حِيناً وَالْبَلاَءُ مُوَكَّلٌ وَلاَ بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ تَتَهَوَّدُ[٤]

هذه الأبيات يمكن أن نعدها من النقد السياسي الذي ظهر جلياً في شعر ابن منير في غير موضع. ويقول عن نور الدين في معرض مقارنته مع غيره من الملوك:

مُشَمِّراً وَبَنُو الإسْلاَمِ فِي شُغُلٍ عَنْ بَدْءِ غَرْسٍ لَهُمْ أَثْمَارُ عُقْبَاهُ[٥]

فهو يرى في البطل الرجل الكفء الذي يقوم بالأمر دون الرجوع إلى الخليفة،

---

(١) الديوان: ص١٩٥.

(٢) نفسه: ص٢١٦.

(٣) نفسه: ص٢٦٥.

(٤) نفسه: ص٢٣١.

(٥) نفسه: ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا تعريض شديد بخليفة المسلمين. إذ يقول:

نَامَ الخَلِيفَةُ واسْتَطَالَ لِذِبِّهِ ... عَنْ سَدَّتَيْهِ واسْتُطِيرَ رُقَادُهُ[١]

ومن مظاهر تميز البطل، وعلو مكانته، عند ابن منير رجاحة العقل، وسداد الرأي، فهو كيّس فطن، زاده الله بسطة في العقل، وسداداً في الرأي. يقول:

تَجَرَّدْتَ للإسْلامِ دُونَ مُلُوكِهِ ... تَبْتَكَ أسْبَابَ المَذَلَّةِ والخَذْلِ

أَخُو الحَرْبِ غَذَّتْهُ القِرَاعُ مُفَطَّماً ... يَشُوبُ بإقْدامِ الفَتَى حِنْكَةَ الكَهْلِ[٢]

فقد جمع البطل بين شجاعة الشباب، عند مقارعة الأعداء في ساح الوغى، وبين حنكة الكهولة عند اتخاذ القرار. ثم يصفه بقوله:

يُنَكِّسُ رَأْيُهُ رَأْيَ المُحَامِي ... ويَقْتُلُ خَوفُه قَبْلَ القِتَالِ[٣]

فهو صاحب رأي ثاقب، خبر الحياة فأفاد من تجاربها، وهو صاحب مكانة وهيبة كبيرة تفرّ الأعداء منه قبل ملاقاته. ثم يقول عنه:

لَمْ يَخْتَرِمْ جَدٌّ نَمَاكَ وَلاَ أبٌ ... إنَّ النَّبَاهَةَ فِي الخَلِيفِ خُلُودُ[٤]

لم تكن النباهة والفصاحة والرأي الثاقب وليدة في البطل أو جديدة عليه، إنما هي أصيلة ضاربة في القدم منذ زمن آبائه وأجداده. ثم يصفه بقوله:

مَرَامٌ سُمَائِيٌّ وَحَزْمٌ مُسَدَّدٌ ... وَرَأْيٌ شِهَابِيٌّ وَعَزْمٌ مُؤَيَّدُ[٥]

وهذا أكمل وصف للبطل عند ابن منير فقد جمع بين الهمة العالية والحزم والمسدد، والرأي الشهابي، والعزم المؤيد.

ولئن كان البطل عند ابن منير من أصل غير عربي. فقد تجاوز شاعرنا ذلك بلباقةٍ وحسن تصرف، حين نسبه إلى الصلاح والمعالي والمجد، وأنه حقق الانتصارات التي تضاهي انتصارات الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول:

وإنْ لَمْ تَكُنْ هَاشِمِيَّ الأُصُولِ ... فَإنَّكَ فَرْعُ الهِزَبْرِ الهَشَمّ

---

(١) الديوان: ص٢٢٦.

(٢) نفسه: ص١٩٧.

(٣) نفسه: ص٢٠٦.

(٤) نفسه: ص٢٤١.

(٥) نفسه: ص١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمَنْ يَدَّعِي فِي العُلاَ مَا ادَّعَيْتَ وأَنْتَ ابْنُ مَنْ عَزَّ لَمَّا احْتَكَمْ
وَأُقْسِمُ مَا غَابَ سَيْفٌ سَقَتْ مَغَارِسَهُ عَيْنُ هَذِي الشَّيَمْ[١]

تشير الأبيات بوضوح إلى أن القوة والشجاعة، التي تشيد أمجاداً وتصنع رجالاً وتهذب أخلاقاً. أقرب إلى النفس، وأخلد في التاريخ من النسب الزكيّ المجرد، الذي يفتقر لمعاني البطولة. ومثل هذا القول الذي يصدر عن شاعر متشيع لآل البيت جدير بأن يُعلل، وأقول:

إما أن يقول الشاعر ذلك لنور الدين الذي هو من أصل تركي، صدقا وحقاً، بدافع القناعة والثقة المطلقة به بعد أن وجد فيه من الصفات ما لم يجدها في غيره، وإما أن يقول ذلك مجاملة لنور الدين بدافع مذهب «التقية» الذي يدين به الشاعر.

وبعد هذه الصفات والفضائل التي يُلبسها ممدوحه وبطله، والتي تنم عن إعجاب كبير به، وحب صادق له، نلحظ كثرة الدعاء له بأن يحفظه الله ويبقيه سنداً وذخراً للدين فمن ذلك قوله:

أَبْقَاكَ لِلدِّينِ والدُّنْيَا تَحُوطُهُمَا مَنْ لَمْ يُتَوِّجْكَ هَذا التَّاجَ إلاَّ هُو[٢]

ويقول:

يَا نُورَ دِينٍ أَظْلَمَتْ آفاقُهُ لَوْ لَمْ تُبَلِّجْ هَذِهِ الآثَارُ
لِلّهِ أَيّامُكَ مَا تَخُطُّهُ بالمِسْكِ مِنْ إسْفارِها الأَسْفَارُ
سَلِمْتَ لِلإسْلامِ تَرْعَى سَرْحَهُ إِذَا وَنَى رُعَاتُهُ وَجَارُوا[٣]

ومما تجدر الإشارة إليه في تمجيد ابن منير للبطل، أن كلماته كانت تأتي صادقة معبرة عن الواقع، بعيدة عن الخيال والزيف، فشعره يمثل إعجاباً صحيحاً بالبطل المسلم.

* **صورة العدو «الفرنج»:**

كان للشعراء دور كبير في تبيان حالة العدو، ورسم صورته، فلا تكاد تخلو

(١) الديوان: ص٢٥٩.
(٢) نفسه: ص١٩٧.
(٣) نفسه: ص٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصيدة لشاعر من شعراء الفترة ومنهم ابن منير، إلا وفيها ذكر للعدو ووصف حالته، وقد أكثر ابن منير من ذكر الفرنج في شعره، فباتت صورته غازياً معتدياً، حاقداً على الإسلام والمسلمين. يقول:

وَمَا يَوْمَ الفِرَنْجَةِ مِنْكَ فَذٌّ ... فَتحصُر عَدَّهُ خُطَطُ الحِسَابِ

مَشَوْا مُتَسانِدِينَ إلَى صَليبٍ ... يَبْرُقُ هَبْوَةَ الصَّمِّ الصِّلابِ

تَلُفُّهُمُ المَنَايَا فِي الثَّنَايَا ... وَتَفْجَؤُهُم[1] شَعُوبُ مِن شِعَابِ[2]

ثم يصور قوة الفرنج وكثرة عددهم، فهم جيش مدجج بالسلاح، قوي كثير، كأنهم السيل عدداً، يقول:

أتَاكَ بِمِثْلِ الرُّومِ حَشْداً وإنَّهُ ... لَيَفْضُلُ أَضْعَافاً كَثيراً عَنِ الرَّمْلِ[3]

ثم يقول:

أهْمَدْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا ملأوا المَلَا ... رَجْلاً فَهَلْ كَانَتْ سَيُوفُكَ مَرْقَدَا[4]

ومما يبين قوة العدو، تصوير قلاعهم وحصونهم، بأنها منيعة قوية، لا يمكن اقتحامها بسهولة، فمن ذلك يقول:

إنَّ الرُّهَا لهي «عَمُّوريَةٌ» وكَذَا ... مَنْ رَامَها لَيْسَ مَغْزَاهُ كَمَغْزَاهُ

أُخْتَ الكَواكِبِ عِزّاً مَا بَغَى أَحَدٌ ... مِنَ المُلُوكِ لَهَا وَقْماً فَوَاتَاهُ

حَتَّى دَلِفْتَ لَهَا بالعَزْمِ يَشْحَذُهُ ... رَأْيٌ بِبَيْتٍ فُوَيْقَ النَّجْمِ مَسْرَاهُ[5]

ويبين الشاعر بأن فتح الرها أعظم من وقعة عمورية التي طار ذكرها في الآفاق. والرها من أشرف مدن النصارى وأعظمها، ولها مكانة عالية عند النصارى، وقد حاول عدد من الملوك قبل عماد الدين الاستيلاء عليها، إلا أن منعة أسوارها، وقوة تحصينها حالا دون ذلك، إلى أن جاء عماد الدين، صاحب العزيمة الماضية،

---

(١) شعوب: المنية. انظر اللسان مادة «شعب».

(٢) الديوان: ص٢٥٣.

(٣) نفسه: ص١٩٨، البيت منكسر الوزن.

(٤) نفسه: ص١٩٠.

(٥) نفسه: ص١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمكانة العالية فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً ثم أعادها إلى حكم الإسلام.[١]

ومن قصيدة قالها يهنئ نور الدين بعد استيلائه على دُلوك سنة «٥٤٥هـ»، يذكر فيها واقعة حصن «إنّب» ويشبه معاركه بفتوح «النبي صلى الله عليه وسلم» قال:

وَمَا يَوْمَ «إنّب» إلاّ كَتَيْـ ... ـكَ بَلْ طَالَ بالْبَوْعِ أَشْبَارَهَا[٢]

يشبّهُ شاعرنا معركة «إنّب» بفتوح النبي صلى الله عليه وسلم في أهميتها، وقوتها ونتائجها ليقرر أن المعارك التي خاضها نور الدين مع الفرنج، واسترداد الحصون لم تكن أمراً سهلاً، ليصل في النهاية إلى نور الدين، وجاهزيته للقتال تفوق قوة الفرنج.

ثم يقول في موضع آخر:

بـ «صَرْخَد» و«الخَطِيم» وفِي «عَزَاز» ... وَقَائِعُ هَزَّ مَشْهَدُهَا الأَنَاما[٣]

يؤكد الشاعر قوة حصون الفرنج ومنعتها، وأن تحريرها شاق، ومع ذلك فقد استردها نور الدين وأعادها إسلامية كما كانت من قبل.

وينتقل الشاعر ليصور لنا تقهقر جيش العدو، وانهزامه، بأسلوب ساخر يقول:

زَبَنْتَهُمُ أَمْسِ عَنْ صَرْخَد ... فَفَضُّوا كَأَنَّ نَعَامَاً شَرَدْ[٤]

ويقول:

وَطَارُوا تَهَزُّ المُرْهَفَاتُ طِلاَبَهُم ... كَمَا انْصَاعَ مِنْ أُسْدٍ نَعَامٌ مُشَرَّدُ[٥]

يصور الشاعر الفرنج وقد دُفعوا وطردوا من البلاد، فيشبههم بنعام شارد هائم

---

(١) انظر: كتاب الروضتين: ج١ق١/٩٤.

(٢) الديوان: ص٢٢٧.

(٣) نفسه: ص٢٤٩.

الخطيم: لم أجد لها ترجمة في كتب التراجم.

عزاز: هي بلبدة فيها قلعة تقع شمالي حلب. انظر معجم البلدان مادة «عزاز».

(٤) الديوان: ص١٨٨، زبن: الزبن: الدفع، انظر اللسان مادة «زبن».

(٥) نفسه: ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على وجهه، لا يدري أين يتجه من شدة الخوف جراء رؤية الأسد والأسد هنا نور الدين وجيشه.

كما يصور الشاعر مصرع الفرنج، فيقول مخاطباً نور الدين:

أَلاَ لِلّهِ وَجْهُكَ والمَنَايَا ... مُكَحَّلَةٌ وللَبِيضِ افْتِرَارُ
هَتَكْتَ حِجَابَهُ والنَّصْرُ غَيْبٌ ... وَلِلْهَبَوَاتِ طَيٌّ وانْتِشَارُ
بِطَعْنٍ لِلْقُلُوبِ بِهِ انْتِظَامٌ ... وَضَرْبٌ لِلرُّؤُوسِ بِهِ انْتِثَارُ[١]

وتبدو صورة العدو وقد أثخن المسلمون فيهم القتل، ويرسم لنا الشاعر لوحة للمعركة تفيض بالحركة، بانت فيها الغلبة لنور الدين وجيشه بعد أن امتلأت أرض المعركة برؤوس الفرنج المتناثرة.

وفي مشهد آخر لمصرع الفرنج ترى، الأجساد صرعى، فلا همس ولا إشارة يقول:

مَاتُوا فَلاَ هَمْسٌ وَلاَ إِشَارَةٌ ... خَوْفَ هَمُوسٍ زَأْرُهُ إِزْهَاقُ[٢]

ويقول عن نور الدين:

وَتَرى الأَعْدَاءَ مِنْ هَيْـ ... ـبَتِهِ تَأْوِي الشِّعَابَا
وإِذَا مَا لَفَحَتْهُمْ ... نَارُهُ صَارُوا كَبَابَا[٣]

وأما عن مصرع قادتهم فيقول:

بَرْنَسْتَ رَأْسَ بَرْنُسٍ ذِلَّةٌ ... بَعْدَما جَاسَتْ حَوَايَا «جُوسلِينْ»[٤]

لا يكتفي الشاعر بالإشارة إلى قادة الفرنج، بل يذكرهم بأسمائهم، ويبين مصيرهم بأسلوب عُرف به ابن منير وهو أن يشتق من الأسماء أفعالاً تصور نهايتهم ولشدة هوان الفرنج على المسلمين، يصف الشاعر قائدهم بكلب يقول:

وَقْعَةٌ طَاحَتْ بِكَلْبِ الرُّومِ مِنْ ... قِطْعَةِ البَيْنِ إلى قَطْعِ الوَتِينْ[٥]

ويقول أيضاً من قصيدة أخرى:

---

(١) الديوان: ص٢٥١.
(٢) نفسه: ص٢٠٢.
(٣) نفسه: ص٢٠٣.
(٤) نفسه: ص٢٠٠.
(٥) نفسه: ص١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَكَفَّ كَلْبَ الرُّومِ مِنْ بَعْدِ أنْ ... أَنْشَبَهُ نَابَاً وأَظْفَورَا
فَأَهْلُهُ رَقَّكَ إنْ أَنْصَفُوا ... رَقَّاً بِحَدِّ السَّيْفِ مَسْطُورَا[١]

وأما عن صفاتهم الخُلُقية فقد نعتهم بنعوت كثيرة، توضح بجلاء كنه أخلاقهم فهم: قوم غدر، ونفاق، وخيانة، وكيد، يقول:

وإِذَا العِدَا زَرَعُوا النِّفَاقَ وأَحْصَدُوا ... كَيْداً فَعَزْمُكَ نَاقِضُ حَصَّادُ[٢]

ثم يصف أحد قادتهم «جوسلين» بقوله:

مَا زَالَ يَغْدُرُ ثُمَّ يَغْدُرُ قَادِراً ... حَتَّى أَتَاهُ بِجَامِعٍ أَصْحَابَهُ[٣]

ومن صفاتهم أنهم أهل كفر وشرك، وضلال، وهذا يبين الجانب العقائدي الذي يكمن وراء هذه الحروب، ليؤكد لنا الشاعر أن الصراع مع الفرنج صراع عقيدة، لا صراع أطماع وحسب يقول:

إِذَا أَنَاخَ الشِّرْكُ فِي أَكْنَافِهِ ... بِمِئِيْ أَلْفٍ ثَنَاهَا بِمِئِيْنْ[٤]

ويقول:

وَكَمْ عَبَرَ الصَّلِيبَ بِهِمِ صَلِيباً ... فَرَدَدْتَهُ قَنَاكَ وَفِيهِ لِيْنْ
وَمَا خَطَرَتْ بِدَارِ الشِّرْكِ إلاَّ ... هَوَى النَّاقُوسُ وارْتَفَعَ الأَذِينْ[٥]

ثم يقول مادحاً نور الدين:

أَخْلَى دِيَارَ الشِّرْكِ مِنْ أَوْثَانِهَا ... حَتَّى غَدَا ثَالُوثُهُنَّ نَكِيرَا[٦]

إن وصف العدو بأهل شرك، يستثير همم الناس، ويحرك عواطفهم الدينية ليلتفوا حول راية نور الدين. ويتضح من هذا كله أن ابن منير استطاع أن يصور العدو، بما هو فيه، فلم يتجنَّ عليه بل كان موضوعياً واقعياً، ولعل التاريخ قد سجل أفاعيل الفرنج وما أحدثوا من قتل وهتك وسلب.

---

(١) الديوان: ص٢٥٧.
(٢) نفسه: ص٢٦٢.
(٣) نفسه: ص٢٤٨.
(٤) نفسه: ص١٩٩.
(٥) نفسه: ص٢٣٧.
(٦) نفسه: ص٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن شعر الجهاد قد اضطلع بتحفيز الناس، واستنهاض هممهم، وتعبئة الأمة.

* صورة المعركة:

كان لشعر الجهاد والبطولة الذي واكب حركة الاسترداد والتحرير زمن الحروب الصليبية أهمية كبرى إذ يمكن الاستئناس به في توثيق الأحداث التي لم يتعرض لها المؤرخون، ذلك أن الشاعر وصف المعارك، وعدد أسماءها، وذكر نتائجها، وسمى بعض الأدوات الحربية المستعملة في القتال. وقد سلك شاعرنا هذا المسلك عندما صور المعركة وما يستخدم فيها من سلاح فمن ذلك، وصفه السيف والمنجنيق، يقول:

أَرِحْهَا فَهِيَ أَزْلَام المَعَالِي ... لَهُنَّ إِلَى الوَغَى تَوْق المَغَالِي
أَقَالَ مَقيلهَنَ بِكُلِّ نَقْعٍ ... يُقَوِّضُ بِالهُدَى عُمَرَ الضَّلالِ
وأَيّ سُيوفكَ الحُمر الحَوَاشِي ... مَنَزّلَة مَتى دُعيَت نَزالِ
مَوَاضٍ إِنْ سَلِلنَ سَلكنَ جَزماً ... نَفَاهُ مِن الطّلى لَفْظُ اعْتِلَالِ[1]

يصور الشاعر سيوف جيش نور الدين، وهي تقوّض أركان الضلال، وتستأصل وجوده فهي سيوف قوية ماضية، وهي حمر تقطر دماً، تقضي على الكافرين متى دُعيت للنزال.

ويصفها وهي تفتك بالفرنج بقوله:

والبيضُ تَخنَسُ فِي الصُّدورِ صُدورَها ... هَبْراً وتَكْتَحِلُ الشُّفُورَ شَفارُها[2]

فهي البيض لشدة لمعانها وحدتها، تستقر في صدور الأعداء بعد أن تجز اللحم، وتكتحل الشفاه بحديها العريضين.

وأما عن مجانقه فيصفها بقوله:

وإِذَا مَجانِقُهُ رَكَعْنَ لِصَعْبةِ الـ ... ـمَلقَاةِ أَسْجَد كالجَدِيرِ جِدارُها[3]

ومن الأسلحة المستخدمة في المعركة الرماح، والسهام، ويصف ابن منير خيل

(١) الديوان: ص٢٢.

(٢) نفسه: ص٢١٨.

(٣) نفسه: ص٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين وهي في أرض المعركة تروح وتجيء بقوة وثبات ونشاط، والرماح تقع في نحور الأعداء. يقول:

والخَيْلُ تَدْلَجُ تَحْتَ أَرْشِيَةِ القَنَا جَذْبَ المَوَاتِحِ غَاوَرَتْ آبَارُها[١]

ويصفها في موضع آخر وهي تخوض في بحر من الدماء عند التحام الجيشين يقول:

وَأَيْدِي الخَيْلِ تَذْرَعُ لُجَّ بَحْرٍ مِنَ الدَّمِ مِزبَدَ الثَّجَّيْنِ طَامِي[٢]

وأما عن السهام فقد نثرت في ساحة المعركة نثر الكرات على الأرض من كثرتها:

صَوَلَجُوا البِيضَ بِضَرْبٍ نُثِرَ السَّـ ـهَامُ فِي سَاحَاتِها نَثْرَ الكِرِيْنَ[٣]

ومن الجوانب المكملة لصورة المعركة عند ابن منير تصوير الجيش المسلم الذي غدا بنور الدين قوياً يهابه الأعداء. يقول:

إنْ سَارَ سَارَ وَقَدْ تَقَدَّمَ جَيْشَهُ رَجْفٌ يُقَطِّعُ فِي اللَّهَا دَعَّارَهَا[٤]

فمن شدة قوة الجيش تتقدمه رهبة ومخافة ترتعد منها فرائص الأعداء. ثم يقول:

كَتَائِبُ تَرْمِي جُنُوَدَ الصَّلِيـ ـبِ يَتْقِطِيعِ أَصْلَابِها[٥]

وكتائب الجيش المسلم قوية مدرّبة، تغير على الفرنج فتقطع أوصاله وتمزق شمله كما يصف الجيش بضخامة العدد والتفوق. يقول:

بِعَرْمَرَمٍ صَلَمَّتٍ وَعَاوِعَهُ عُرَى اسماعِ «جَيحونَ» وَسَيْفِ البَرْبَرِ[٦]

وينتقل الشاعر ليصف لنا جيش العدو مبتدئاً بمليكهم وقائدهم، فيذكر ما حلّ به من الخوف، والأسر، يقول:

---

(١) الديوان: ص٢١٧.

(٢) نفسه: ص٢٦٥.

(٣) نفسه: ص٢٠٠.

(٤) نفسه: ص٢١٧.

(٥) نفسه: ص٢٢١.

(٦) نفسه: ص٢٣٠.=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَيَـوْمَ العَرِمَـةِ أَقبلتهـمْ عُرَاماً تَثْعلَبَ مِنْهُ الأَسَدْ
حَبَيْتَ مليكَهُمُ فِي الصَّفَادِ وَعَفْوُكَ عَنْه أَعمَّ الصَّفَدْ[١]

ويقول:

دَأَبْتَ بِكَلْبِهِمْ فِي الكَبولِ مُبَاحَ الحَرِيمِ مَذَالَ الحَرَمْ[٢]

وينعت قائدهم «بالكلب»، ويقول: إنه توهم وظن أنّ الشام ستكون مرعى له ولجنوده وما علم أنه سيقابل من هو أقوى منه في الحرب والنزال. يقول:

وَمَا يَوْمُ كَلْبِ الرُّومِ إلاَ أَخُو الَّذي أَزَحْتَ بِهِ مَا فِي الجَنَاجِنِ مِنْ نَبلِ
تَوَهَّمَ أَنَّ الشَّامَ مَرعَى وَمَا دَرَى بِأَنَّكَ أَمْضَى مِنْهُ فِي الشَّزْرِ والسَّجْلِ[٣]
فَطَارَ وَخَيْرَ المُغْنَمَيْنِ ذِمَاؤُهُ إِذَا رَدَّ عَنْهُ مَغْنَمَ المَالِ والأَهْلِ[٤]

ويصور الشاعر قائد الفرنج وقد طفا به كيل الغرور، فظن أن الاستيلاء على الشام أمر يسير، ولم يحسب أنه سيقابل رجلاً مثل «نور الدين» أشد منه مضاءً في القتال والمباراة والمفاخرة. وعندما التقى معه ولى هارباً تاركاً الأهل والأموال.

ثم يصف الشاعر مقتل أحد قادة الفرنج، «البرنس» الذي قال عنه أبو شامة المقدسي: «وكان هذا اللعين من أبطال الفرنج المشهورين بالفروسية، وشدة البأس، وقوة الحيل وعظم الخلقة، مع اشتهار الهيبة، وكثرة السطوة، والتناهي في الشر»[٥]

وكان «البرنس» قد قتل وحمل رأسه إلى نور الدين. قال ابن منير.

وَسَقَى البِرَنْسَ وَقَدْ تَبَرْنَسَ ذِلَّةً بِالرَّوْحِ مُمْقِرُ مَا جَنَتْ غَدَرَاتُهُ

= صلمت: صلم: صلم الشيء صلماً قطعه من أصله. انظر اللسان مادة «صلم».

الوعواع: الصوت والجلبة، وقيل أول من يغيث من المقاتلة.

الوعاوع: الأشداء. انظر اللسان مادة «وع».

(١) الديوان: ص١٨٨.

(٢) نفسه: ص٢٥٩.

(٣) السجل: المساجلة: المفاخرة والمباراة، ساجل الرجل باراه: انظر اللسان مادة «سجل».

(٤) الديوان: ص١٩٨. الذّماء: بقية النفس، أو بقية الروح في المذبوح. انظر اللسان مادة «ذمي».

(٥) الروضتين ج١ق١/ ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَانْقَادَ فِي خَطْمِ[١] المَنِيَّةِ أَنْفَهُ ... يَوْمَ الخُطِيمِ وأَقْصَرَتْ نَزَوَاتُهُ
وَمَضَى يُؤَنِّبُ تَحْتَ «إِنَّبَ» هِمَّةً ... أَمْسَتْ زَوَافِرَ غَيْهَا زَفَرَاتُهُ
تَمْشِي القَنَاةُ بِرَأْسِهِ وَهُوَ الَّذِي ... نَظَمَتْ مَدَارَ النَّيِّرَيْنِ قَنَاتُهُ[٢]

يرسم الشاعر صورة مصرع «البرنس» الذي عُرف بالغدر والخيانة والعدوان، بتعابير وألفاظ تعج بالتهكم، لتخدم الفكرة التي يسعى إليها الشاعر، وهي إظهار الفرنج بصورة ذليلة محتقرة.

فقد شبهه بالدابة التي تقاد من خطمها للذبح. وهو يرى أنه منقاد إلى الموت لا محالة، ويختم المشهد بسقوط رأسه والدماء تسيل مكونة قناة، وهو الذي طار ذكره في الآفاق.

ويصور الشاعر جيش الفرنج وهم صرعى فيشبههم بقوم صالح عندما حلّ بهم سخط الله فماتوا جميعاً، مخلفين وراءهم الذل والعار والشقاء، يقول:

هَمَدُوا كَمَا هَمَدَتْ ثَمُودُ وَقَادَهُمْ ... لِخَسَارِهِمْ مِمَّا أَتَوْهُ قَدَارُ
العَارُ فِي الدُّنْيَا شَقُوا بِلِبَاسِهِ ... وَلِبَاسُهُمْ يَوْمَ الحِسَابِ النَّارُ[٣]

والصورة مستوحاة من القرآن الكريم في معناها، زد على ذلك استخدامه بعض الألفاظ الدينية ليستثير عواطف المسلمين ويستنهض هممهم ويعبئهم ضد الفرنج.

ويصور جيش الفرنج وقد وقع في قبضة جيش المسلمين، فاعملوا فيهم السيف قتلاً، وأسروا عدداً كبيراً، يقول:

سَلْ بَصِيراً كَمْ أُعْتِقَتْ يَوْمَ «بُصْرَى» ... مِنْ أَسَارِ المَوْتِ الزُّؤَامِ عِتَاقُهُ
كَمْ غَمَامٍ عَلَى «العَرِيمَةِ» شَبَّتْ ... ضَاقَ مِنْهُ عَلَى الصَّلِيبِ خِنَاقُهُ
وَلَكَمْ هَبْوَةٍ بِـ «هَابٍ» وَأُخْتَيْـ ... ـهَا لَهَا صَكَّتِ الأَنَارَى رِبَاقُهُ

---

(١) خطم: الخطم من كل دابة مقدم أنفها وفمها نحو الكلب والبعير، خطم الإنسان أنفه والجمع مخاطم انظر اللسان مادة «خطم».

(٢) الديوان: ص٢١٢، ٢١٣.

(٣) نفسه: ص١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَسَطَ الذُّلَ فوقَ بَسْطَةِ باسُو طَا وَلَكِنَّ طَواهُ عَنْهُ ارْتِفَاقُهْ[١]

وإذا حمي وطيس المعركة، ترك الفرنج أسلحتهم ولاذوا بالفرار. يقول:

نَبَذُوا السِّلاَحَ لِضَيْغَمٍ عَادَاتُهُ فَرَسُ الفَوَارِسِ والقَنَا غَايَاتُهْ[٢]

ويصور هزيمة الفرنج، فيرسم صورة للمعركة وقد امتلأت أرضها برؤوس الفرنج وتغطت سماؤها بانعقاد الغبار الكثيف، وجنود الأعداء تتدافع مولية الأدبار من هول ما رأت من بأس المسلمين، وقوتهم. يقول مادحاً نور الدين، وواصفاً جيش الفرنج:

وَرَأى سُيُوفَكَ كَالصَّوَالِجِ طَاوَحَتْ مِثْلَ الكَرِينِ تَقَلَّصَتْ كُرَاتُهُ

وَلَّى وَقَدْ شَرِبَتْ ظِبَاكَ كُمَاتُهُ تَحْتَ العَجَاجِ وأَسْلَمَتْهُ حُمَاتُهُ[٣]

* * *

ومما تقدم نتبين أن هذا الشعر الجهادي قد قام بدور هادف تمثل في التعبئة النفسية والمادية لدى المسلمين، إذ إن الشعر كما قيل ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها، فيه علم أنساب العرب، وتواريخها وأيامها ووقائعها[٤] وهو الوسيلة الإعلامية التي تعالج الحدث السياسي، وتوجه الناس نحو الطريق المرسوم، فلا غرو أن يكون الإعلام الهادف غرضاً من أغراض شعر الجهاد، في الوقت الذي اشتدت حاجة الناس فيه إلى من يعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم، ويحيي في الأمة الآمال، بعد أن أمسى التحرير ضرباً من الخيال، وأمراً من المحال.

لقد حقق شعراء الفترة -ومنهم ابن منير- النجاح في توظيف الشعر لخدمة قضيتهم الرئيسة المتمثلة في طرد الغزاة الفرنج من بلاد الإسلام. فخرج الشعر من نطاق النقل المجرد للأحداث، إلى تقديم هذه الأحداث بالصورة التي تخدم المجتمع

---

(١) الديوان: ص٢٠٥.

(٢) نفسه: ص٢١٠.

(٣) نفسه: ص٢١٣.

(٤) انظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. أبي هلال العسكري ت ٣٩٥هـ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلم وتحقق أغراضه، وقد تجلى ذلك في المحاور التالية:

- رفع الروح المعنوية لدى أفراد المجتمع المسلم. وذلك بالتغني بالأمجاد، والانتصارات وتخليد ذكر أبطال المسلمين، فمن ذلك: إشادة ابن منير بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ عندما فتحها عماد الدين زنكي. وقد وصف شاعرنا هذا الفتح بأنه أعاد على الإسلام بهجته، يقول:

فَتْحٌ أَعادَ عَلَى الإسْلامِ بَهْجَتَهُ ... فَافْتَرَّ مَبْسِمُهُ واهْتَزَّ عِطْفَاهُ[١]

ويصف هذا الفتح بقصيدة أخرى:

هَوَ الفَتْحُ أَنْسَى كُلَّ فَتْحٍ حَدِيثُهُ ... وَتَوَّجَ مَسْطُورَ الرِّوَايَةِ والنَّقْلِ[٢]

فمن عظمة هذا الفتح أنه يفوق سائر الفتوح السابقة. بل هو تاج الفتوحات السابقة واللاحقة. ويصور نور الدين بأنه صاحب الأمر والنهي، ما بين الخافقين لكثرة ما حقق من انتصارات، يقول:

وَتَوالَتْ لَكَ الفُتُوحُ إلَى أَنْ ... تَملأَ الخَافِقَيْنِ نَهْياً وَأَمْرَا[٣]

وعند فتح حصن «إنّب» سنة ٥٤٤هـ قال ابن منير قصيدة يهنئ نور الدين بالفتح.ويصفه بقوله:

أَقْوَى الضَّلالُ وَأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهُ ... وَعَلا الهُدَى وَتَبَلْجَتْ قَسَمَاتُهُ

وانْتَاشَ دِينَ مُحَمَّدٍ مَحْمُودَهُ ... مِنْ بَعْدِمَا عُلَّتْ دِمَاً عَبَرَاتُهُ

فَتْحٌ تَعَمَّمَتِ السَّمَاءُ بِفَخْرِهِ ... وَهَفَتْ عَلَى أَغْصَانِها عَذَبَاتُهُ

سَبَغَتْ عَلَى الإسْلامِ بِيضَ حُجُولِهِ ... واخْتَالَ فِي أَوْضَاحِهَا جَبَهَاتُهُ[٤]

يصف الشاعر فتح «إنّب» بأنه فتح فاخرت السماء به وفضلته على سائر الفتوح السابقة وعاشها المسلمون فرحة عارمة.

- تعزيز مفهوم «الصراع العقائدي» بين المسلمين والفرنج.

لقد نجح ابن منير في إضفاء الصفة الإسلامية على الصراع بين المسلمين

---

(١) الديوان: ص١٩٦.

(٢) نفسه: ص١٩٧.

(٣) نفسه: ص٢٦٨.

(٤) نفسه: ص٢٠٨، ٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفرنج، وهذه لفتة ذكية من شاعرنا، سارعت في تجاوب الشعوب الإسلامية بالتفافها حول البطل الذي قاد معارك التحرير ضد الغزاة.

فمن تتبع شعر ابن منير، بوسعنا أن نستخلص عدداً غير قليل من الألفاظ والمعاني والصور التي أدت إلى تعزيز هذا المفهوم. فمن ذلك: ذكر الكنائس والصليب، ووصف الأعداء بالكفار، وأهل الشرك، وتبيان أن الدافع من الحرب هو إرضاء الله، ونجدة الإسلام، ثم وصف الصراع الدائر بين المسلمين والفرنج بأنه صراع عقدي، وأن الفرنج جاءوا بدافع الصليب. يقول:

أَيَا نُورَ دِينٍ خَبَا نُورُهُ ... وَمُذْ شَاعَ عَدْلُكَ فِيهِ اتَّقَدْ
رَآكَ الصَّلِيبُ صَلِيبَ القَنَا ... ةِ أَمِينَ العِثَارِ مَتِينَ العَمَدْ
تهمُّ فَتَسْلُبُهُ مَا اقتَنَى ... وَتَدْأَى فَتَتْكَلُهُ مَا احْتَشَدْ[١]

ويقول أيضاً:

طَلَعَتْ نُجُومُ الحَقِّ مِنْ آفَاقِهَا ... وَأَعَادَهَا كَرُّ العُصُورِ كَمَا بَدَا
وَهَوَى الصَّلِيبُ وحِزْبُهُ وَتَبَخْتَرَ الـ ... إِسْلَامُ مِنْ بَعْدِ التَّسَاقُفِ أَغْيَدَا[٢]

ومن قصيدة أخرى يقول:

يَا هَضْبَةَ الدِّينِ التِي عَاذَ بِهَا ... فَعَبَادُ لَا بَغَتْ وَلَا إِرْهَاقُ
رَمَى الصَّلِيبَ بِصَلِيبِ الرَّأْيِ عَنْ ... زَوْرَاءَ أَوْهَى نَزْعَهَا الإِغْرَاقُ[٣]

ويقول:

صَدَمَ الصَّلِيبَ عَلَى صَلَابَةِ عُودِهِ ... فَتَفَرَّقَتْ أَيْدِي سَبَا خَشَبَاتُهُ[٤]

إن التركيز على نعت الفرنج بحزب الصليب، ونعت نور الدين وجيشه بأهل الحق، وهضبة الدين، بين واضح، والسبب في ذلك خدمة الغرض الأساس المتمثل بصبغة الصراع بالصبغة الدينية. وقد وفق ابن منير في ذلك.

ثم ينتقل الشاعر لذكر الكنائس. يقول:

---

(١) الديوان: ص١٨٨.

(٢) نفسه: ص١٩١.

(٣) نفسه: ص٢٠٢.

(٤) نفسه: ص٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كَمْ كَنِيسٍ كَنَسْتَ قَدْ رَامَهَا مِنْهُ بَعْدَ الرَّوْحِ فِي ظِلِّ السَّفِينِ[١]

ويقول:

مُظَفَّرِ الْعَزْمِ مَمْدُودِ الرُّواقِ عَلَى مَعَالِمِ الدِّينِ يَرْفِيهَا وَيَبْنِيهَا
رَدَّ الكَنَائِسَ كُنْسًا لِلْهُدَى فَخَبَتْ نَارُ الضَّلَالِ وَوَارَتْهَا أَثَافِيهَا[٢]

ويصف الشاعر الفرنج بالكفار، ليلفت الأنظار إلى أن الحرب مع الفرنج حرب عقيدة يقول:

وَجَادَ لَنَا بِكَ رَبٌّ بَرَاكَ لِلْكُفرِ نَارًا وَلِلدِّينِ نُورَا[٣]

ويصف الفرنج بأنهم أهل شرك. يقول مخاطباً نور الدين:

أَخْرَسْتَ شَقْشَقَةَ الضَّلَالِ وَقُدْتَه قَوْدَ الذَّلُولِ أَطَاعَ بَعْدَ صِيَالِ
وَرَمَيْتَ دَارَ الْمُشْرِكِينَ بِصَيْلَمٍ أَلْفَحْتَ فِيهَا الحَرْبَ بَعْدَ جِيَالِ[٤]

ومن المعاني التي تؤكد إسلامية الصراع، أن نور الدين يجاهد بدافع الغضب لله، وللدين، ولعزّة الإسلام. يقول:

مَحْمُودُ المَرْبَى عَلَى أَسْلَافِهِ إِنْ زَادَ فِي حَسَبِ الحَسِيبِ نجارُ
غَضْبَانَ لِلإِسْلَامِ مَالَ عَمُودَهُ فَلِثُورِهِ مِمَّا عَرَاهُ ثُوَارُ[٥]

ويقول:

لَقَدْ أَحْصَدْتَ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا يَفُوتُ سَنَامَهُ يَدُ كُلِّ قَالِ[٦]

ويقول:

رَدَدْتَ عَلَى الإِسْلَامِ عَصْرَ شَبَابِهِ وَثَبَاتَهُ مِنْ دُونِهِ وَثَبَاتَهُ[٧]

ويقول أيضاً:

---

(١) الديوان: ص٢٠٠.
(٢) نفسه: ص٢٥٤.
(٣) نفسه: ص١٩٣.
(٤) نفسه: ص٢٧١.
(٥) نفسه: ص١٩١.
(٦) نفسه: ص٢٠٦.
(٧) نفسه: ص٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غَضْبانَ لِلْإِسْلام لَا يغْيظُهُ إِسْـ ـتسلامها لِلْقسَرِ مِنْ إِسْلَامها[١]

والأمثلة على ذلك كثيرة.

مما تقدم يتبيّن لنا أن الشاعر وفق في تصوير نور الدين وهو يقاتل حميّة للدين غضبان للإسلام، يسعى جاداً لرفعة هذا الدين، وعزّة أهله.

وقصد الشاعر استخدام مصطلح الجهاد بدلاً من القتال، لأن ذلك يوافق هدفاً في نفس الشاعر، الذي عاش عصر احتلال الفرنج لبيت المقدس، وجزءاً كبيراً من بلاد الشام، وكان يتمنى في قرارة نفسه أن يرى حكام المسلمين قد تضافرت جهودهم، وتوحدت كلمتهم لطرد الغاصبين. فأطلق الشاعر هذا المصطلح ليحرض المسلمين على القتال.

* **تضخيم النصر والإعلاء من شأنه:**

من الإعلام الهادف قيام الشعراء بتضخيم النصر وفق صورة لا تبتعد عن الواقع كثيراً، وذلك عن طريق تضخيم المدن والحصون المستردة، وتصوير مشاهد استعادتها فمن ذلك القصيدة التي مدح فيها عماد الدين زنكي بُعيد فتح الرها سنة ٥٣٩هـ والتي مطلعها:

صفات مجدك لفظ جلّ معناه فلا استرد الذي أعطاكه الله[٢]

ويشير ابن منير إلى أن هذا الفتح أعظم من فتح عمورية، وأن فتح الرها أنسى كل فتح قديم لعظمته. ويقول: إن هذا الفتح ما كان له أن يتم، لولا الهمة العالية، والعزيمة الماضية التي كان يتمتع بها عماد الدين، والتي لا توجد في غيره من الملوك، يقول:

أَيْنَ الخَلَائِقُ عَنْ فَتْحٍ أُتِيحَ لَهُ مُظَلَّلٌ أُفُقَ الدنْيَا جَنَاحَاه
عَلَى المَنَابِرِ مِن أَنبَائِهِ أَرَجٌ مَقْطُوبَةٌ بِفَتِيقِ المِسْكِ رَيَّاهُ
فَتْحٌ أَعَادَ عَلَى الإِسْلَامِ بَهْجَتَهُ فَافْتَرَّ مَبْسِمُهُ واهْتَزَّ عِطْفَاهُ
يَهْدِي بِـ «مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ» فَتْكَتُهُ حَدِيثُهَا نَسَخَ المَاضِي وأَنْسَاهُ

(١) الديوان: ص٢٣٥.

(٢) نفسه: ص١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنَّ الرُّهَا لَهْيِ[1] فِي عَمُّورِيَةَ وكَذَا ... مَنْ رَامَها لَيْسَ مَغْزَاه كَمَغْزَاهُ
أُخْتَ الكَوَاكِبِ عِزّاً مَا بَغَى أَحَدٌ ... مِنَ المُلُوكِ لَهَا وَقْماً فَوَاتَاهُ
حَتَّى دَلِفْتَ لَهَا بِالعَزْمِ يَشْحَذُهُ ... رَأْيٌ بِبَيْتٍ فُوَيْقَ النَّجْمِ مَسْرَاهُ[2]

ويمكن أن نعتبر أن هذه القصيدة من القصائد النموذجية في شعر ابن منير، لذا كثر الاستشهاد بها.

- التخفيف من وقع الهزيمة على نفوس المسلمين:

الحرب كرّ وفرّ، ولا بد لمن يخوض غمار المعارك أن يضع في حسبانه كيف يواجه الهزيمة. ولا يقتصر دور الشاعر على التغني بالانتصارات وتمجيدها، بل لا بد من أن يتناول الهزيمة، وأن يُحسن معالجتها تجنباً للمضاعفات السلبية التي قد تقع في الصف المسلم.

ومهما يكن القائد على درجة من الدراية بأمور الحرب وفنون القتال، ومهما بلغ جيشه من جاهزية قتالية، فلا بد له في الغالب من أن يذوق الهزيمة أحياناً، وأن يتجرع مرارتها. ويسجل التاريخ أن حظ نور الدين من الهزائم كان قليلاً جداً. فقد «وردت الأخبار في رجب سنة ٥٤٣هـ من ناحية حلب بأن نور الدين صاحبها، كان قد توجه في عسكره إلى ناحية الأعمال الإفرنجية، وقصد «أفامية» وظفر بعدة من الحصون، والمعاقل الإفرنجية، وبعُدّة وافرة من الإفرنج، وأن صاحب أنطاكية جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه، فنال من عسكره، وأثقاله، وكُراعه ما أوجبته الأقدار النازلة، وانهزم بنفسه وعسكره، وعاد إلى حلب سالماً في عسكره لم يفقد

---

(١) أضفت لفظة «لهي» لكي يستقيم الوزن، وفي شعر ابن منير د. سعود ورد البيت على النحو التالي:

أن الرها غير عمورية وكذا ... من رامها ليس مغزاه كمغزاه

وهنا يستقيم الوزن. انظر شعر ابن منير ص١٩٦.

(٢) الديوان: ص١٩٥، ١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منه إلا النفر اليسير، بعد مقتل جماعة وافرة من الإفرنج».[١] وهذه الغزوة هي غزوة يُغراء.[٢]

إذ يصور فيها الشاعر أن هذه الهزيمة لم يكن لها أثر على أسد تُعرف قوته، ثم يربط هذه الهزيمة بما جرى مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحبه في غزوة «حُنين» عندما هُزم المسلمون في البداية، ثم تحولت الهزيمة إلى نصر بعد أن ثبت النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه. ويختم بقوله مؤكداً أن الحرب كرّ وفرّ، فيوم لك ويوم عليك. يقول:

لَمْ يَشْنَهُ مِنْ مَاءِ «يُغراءَ» أنْ فَرّ ... الأشَابَاتَ[٣] ذَادَ عَنْها انْدِلاَقَهْ
كَانَ فِيهَا لَيْثُ العَرِينِ حِمَى الأشْـ ... ـبَالِ مِنْهُ غَضْبَانَ كَالنَّارِ مَاقَهْ
وَشَبِيهُ النَّبِيِّ يَوْمَ «حُنَيْنٍ» ... إذْ تَلاَفَى أَدْوَاءَهُمْ دِرْيَاقَهْ
وهِيَ الْحَرْبُ فَحْلُها يُحسِنُ الكَرَّ ... ةَ إنْ عَضَّ بَأْسُهَا لاَ نِيَاقَهْ[٤]

وقد خفف الشاعر من وقع الهزيمة على نفوس الجند عندما ذكرهم أن الصحابة وهم حول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تجرعوا مرارة الهزيمة من قبل.

---

(١) الروضتين ج١ق١/١٤٣.

(٢) يغراء: مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد أنطاكية من حلب في المنطقة المطلة على نواحي طرطوس. انظر معجم البلدان مادة «يغراء».

(٣) الاشابات:الأشابة: أخلاط الناس. انظر اللسان مادة «أشب».

(٤) الديوان: ص٢٠٥، ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغراض شعرية أخرى

الهجاء:

الهجاء أحد الأغراض الشعرية التي تناولها ابن منير في شعره، وأكثر منه إلى درجة أنه عرف به، فقد وصفه معظم من ترجم له، بأنه كان هجاءً مقذعاً، خبيث اللسان، بل إن لسانه سبب له كثيراً من المتاعب، من نفي، وتشريد، وتهديد بالقتل والصلب، والحكم عليه بقطع اللسان.

ولعلّ ابن القيسراني الشاعر كان ممن له مع ابن منير صولات وجولات في الهجاء، إلى درجة أنهما لقبا بجرير العصر وفرزدقه[١] لشدة ما كان بينهما من مهاجاة وقد فشا هذا اللون من الشعر في هذا العصر بكثرة.

وبعد نظرة فاحصة، ودراسة متعمقة لشخصية ابن منير، أستطيع القول: بأن ثمة قوتين كانتا تؤثران على الشاعر، وتدفعانه إلى هذا الصنيع، وأعني بهما: حبه للجاه والمنصب، والرياسة، من خلال حرصه على ملازمة الأمراء والوزراء والأعيان، ولكن حساده وأعداءه حالوا بينه وبين طموحه، فما كان لديه من حيلة أو سلاح سوى أن يطلق لسانه عليهم، وأن يرشقهم بسهام هجائه.

وأما الدافع الثاني فهو الصراع النفسي الشديد الذي كان يعمل في أعماق الشاعر بسبب نبذ الناس له، لمذهبه ومعتقده.

وجدير أن يذكر أن هذا العصر شهد ألواناً من الهجاء الفاحش البذيء، الذي كان يتراشق به الشعراء المجان من أمثال: ابن الهبارية ت «٥٠٤هـ»[٢] وابن قسيم الحموي ت «٥٤١هـ»[٣]، وأبي الحكم المغربي ت «٥٤٩هـ»[٤]، وعرقلة الدمشقي

---

(١) انظر: الخريدة ج١ق١/٧٦، معجم الأدباء ج١٩/٤٦، العبر في خبر من غبر ج٤/١٣٠.

(٢) ابن الهبارية: هو الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة. ينتهي نسبه إلى العباس الهاشمي، ويلقب بنظام الدين. انظر ترجمته: مرآة الزمان ج٨/٥٨، وفيات الأعيان ج٤/٤٥٣، الوافي بالوفيات ج١/١٣٠، النجوم الزاهرة ج٥/٢١٠، شذرات الذهب ج٤/٢٤.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) سبقت ترجمته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ت «٥٦٧هـ»[١]، وابن عُنين ت «٦٣٣هـ»[٢]، وقد شارك شاعرنا في شعر الهجاء المنحدر من إسفاف بسهم وافر.

وعلى الرغم من أن شاعرنا يعد من شعراء الهجاء في عصره، فإن هذا الصنف من شعره فقد مع ما فقد من شعره، ولم يصلنا منه إلا النّزر اليسير، وهي أبيات قد لا تصل في مجموعها إلى مائة بيت، ثم توصلت إلى مجموعة من الأبيات لم ترد في ديوان ابن منير الذي جمعه الدكتور تدمري، ومن ذلك قصيدة في هجاء القيسراني، تصل إلى ثمانية وعشرين بيتاً، لا يوجد منها في الديوان سوى ثلاثة أبيات، وقصيدة أخرى في الهجاء تصل إلى خمسة وثلاثين بيتاً لا يُعرف من المهجو فيها، إلا أنني أرجح أنها في هجاء القاضي الأعز اللبان أيضاً. وبذلك يكون قد اجتمع لديّ من شعر ابن منير في الهجاء مائة واربعة وثمانون بيتاً[٣]، مضافاً إليها تسعة وتسعون بيتاً كان الدكتور تدمري قد أثبتها في الديوان، فيكون مجموع ما تم العثور عليه من شعر الهجاء لابن منير يصل إلى قرابة ثلاثمائة بيت من الشعر.

وقد توزعت صنوف الهجاء عند ابن منير على النحو التالي:

أولاً: الهجاء السياسي ويشمل:

أ- هجاء الحاكم: كتب ابن منير إلى نور الدين من حماة، وهو محاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ قصيدة ينال فيها من صاحبها «مجبر الدين أبق»[٤] الذي تحالف مع الفرنج ضد إخوانه المسلمين ووقع بيده معاهدة الصلح. فوصفه ابن منير

---

(١) عرقلة الدمشقي: هو أبو الندى حسان بن نمير بن عجل الكلبي المعروف بعرقلة الدمشقي أو بالأعور الكلبي. انظر ترجمته: الخريدة ج١ق١/١٧٩، فوات الوفيات ج١/١٤٤، النجوم الزاهرة ج٦/٦٤، شذرات الذهب ج٤/٢٢٠.

(٢) ابن عُنين: هو محمد بن نصر الله الحسين، المشهور بابن عُنين. انظر ترجمته: معجم الأدباء ج١٩/٨١، مرآة الزمان ج٨/٦٤، وفيات الأعيان ج٥/١٤٠، النجوم الزاهرة ج٦/٢٩٣.

(٣) هذه القصائد تفضل عليّ بها الدكتور شفيق الرقب. فاليه شكري وتقديري وامتناني.

(٤) سبقت ترجمته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأنه مبير للدين، مارق كافر، ثم يتهكم عليه، ويسخر منه، فيصفه بالأدر، ويؤكد على سلبه من الإسلام، وذلك عندما يصنفه مع النصارى تارة، ومع اليهود تارة أخرى، ثم يذكر عدداً من أعماله السيئة مثل: محاربة حزب الله، وموالاة الفرنج، وظلم الرعية، يقول:

وَقُلْ لِـ«مُبيرِ الدِّينِ» وَهوَ مُجيرَهُ ... بِزَعْمٍ لَهُ وَجْهَ الحَقِيقَةِ أَرْبَدُ
حَمَلْتَ الصَّلِيبَ بَاغِياً ونَبَذْتَهُ ... وَثَغْرُكَ مَطْوُوسُ النَّباتِ وَأَدْرَدُ
وَحَارَبْتَ حِزْبَ اللَّهِ واللَّهُ نَاصِرٌ ... لِنَاصِرِهِ، وَدِينُ أَحْمَدَ أَحْمَدُ
تَنَصَّرْتَ حِيناً والبَلاَءُ مُوَكَّلٌ ... وَلاَ بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِهِ تَتَهَوَّدُ[1]

ويعود مرة ثانية ليتهكم عليه فيصفه بالحمق والغباء، وأنه يسود قومه بالسياط لا بالعقل والتدبير، ثم يصفه بالتناهي في الظلم، وتجاوز الحد، ويقول: بأن هذا من شيم الضعفاء، فالحاكم القوي الذكي، هو الذي يسوس البلاد بالرأي والفطنة وحسن التدبير. يقول:

رَمَاكَ بِـ«بَاقِلاَّ دِمَشْقٍ» فَلَم تَكُنْ ... سِوَى بَقْلَةٍ حَمْقَاءَ بِالْحُمْقِ تُحْصَدُ
وَجَالَدْتَ جَلاَّداً وأَنتَ مُؤَنَّثٌ ... تَذَكَّرْتَ والجَلاَّدُ أَدهَى وَأَجْلَدُ
تَطَاوَلْتَ لاَ نَفْسٌ تُسَمَّى وَلاَ أَبٌ ... وَرَاءَكَ زَحْفاً إِنَّمَا أَنْتَ مُقْعَدُ[2]

ويركز الشاعر على إلصاق صفة الكفر عليه، ويعده من بيت فرخ فيه الكفر فأمه نصرانية، وأبوه وعمه كما يقول الشاعر مجوسيان، ثم يعرض بوزيره «ابن الصوفي»[3] الذي لا يقل فساداً وظلماً عن سيده. ويصف مجير الدين بأنه عبد للفرنج، ذليل، مهان، ليس له من أمره شيء، فهو بمثابة حجر على رقعة شطرنج يحركه أسياده الفرنج كما يشاؤون، يقول:

---

(١) الديوان: ص٢٣١.

(٢) نفسه: ص٢٣١.

(٣) سبقت ترجمته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تَنَصَّرتَ أُمّاً بَلْ تَمَجَّسْتَ وَالِداً ... وَعَمّاً فَعِرقُ الكُفْرِ فِيكَ مُرَدَّدُ
تَخِذْتَ بَنِي الصَّوفِيّ أَسْراً و أُسْرَةً ... لِكَيْ يُصْلِحوا مَا فِي يَدَيْكَ فَأَفْسَدُوا
لَعَمْرِي لَنِعْمَ العَبْدُ أَنْتَ تُجِيعُهُ الـ ... ـمَوَالِي وَتُولِيهِ هَوَاناً فَيَحْمَدُ[1]

مما تقدم، نلاحظ أن هجاء ابن منير كان يصدر عن عاطفة قوية، وإيمان راسخ بأن تحرير البلاد وتطهيرها من دنس الفرنج لن يتما إلا بعد القضاء على أولئك المتخاذلين من الحكام الذين خانوا دينهم وأمتهم ووطنهم، وقد لاحظنا أن ابن منير قد صب جام غضبه على «مجير الدين» وسلبه كل فضيلة.

ب- هجاء القاضي: هجا ابن منير القاضي الأعز «محمد بن هبة الله»[2] قاضي دمشق بقصيدتين وقصيدة ثالثة لم يصرح من المهجو بها، أرجح أنها في هجائه.

ففي القصيدة الأولى -المثبتة في الديوان- وهي القصيدة الزائية، المشهورة بفحشها المليئة بالقذف والسباب، وقد أعرض الكثير من المؤرخين والأدباء عن ذكر أبياتها، وقال الكتبي: «وأنا أستغفر الله من كتابتها»، وقال تدمري: «استغفر الله على كتابتها، وسامح الله ابن منير»[3]. أجتزئ منها ما يخلو من الفحش يقول ابن منير:

كُنْتَ يَوماً فِي بَابِ جَيْرُونَ أَتْلو ... آيَةَ الدَّيْنِ عِنْدَ بيَّاعِ خُبْزِ
فَإِذَا وَقْعُ بَغْلَةٍ وغُلَامٍ ... يُفَرِّجُ النَّاسَ بَيْنَ دَفْعٍ وَلَهْزِ
وَعَلَيها فَتَى ضَئِيلُ المُحَيَّا ... مُكْثِرٌ مِنْ مُلَوَّنَاتٍ وَطُرْزِ

---

(١) الديوان: ٢٣٢.

(٢) هو ابو الفتح محمد بن هبة الله بن إبراهيم بن خلف التميمي. قاضي صور، كان ذا مروءة وحسن خلق. ثم تسلم قضاء دمشق ت سنة «٥٣٢هـ» انظر: ذيل تاريخ دمشق ص٢٦٦. عيون التواريخ ج١٢/ ٤٣١، شذرات الذهب ج٤/ ١٠١.

(٣) انظر الديوان: ص١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُلْتُ مَنْ ذا؟ فَقِيلَ قَاضٍ جَلِيلٌ لَقَبُوهُ فِي بَيْتِهِ بالأَعَزّ[١]

ويستمر ابن منير في هجائه المسف إلى حد التجرؤ على تصوير العهر والفسق بغير وازع من خلق أو دين، ومن شاء الاطلاع على نماذج من هذا الفحش الصريح المنظوم، ليتبين على ضوئها مقدار ما وصل إليه هذا النوع من الفن وأصحابه من انحلال خلقي. ولعل أخف نموذج أبيح لنفسي أن أعرضه هنا، لعدول الشاعر عن التصريح إلى أسلوب الرمز والإيحاء قوله على لسان القاضي الأعز مخاطباً ابن منير:

قُلْتُ يَا سَيِّدي أَنَا لَكَ كالْبِكْـ ـرِ زِمَامِي طَوْعٌ لَدَيْكَ وَغُرْزِي
كَيْفَ صَرَّفْتَنِي انْسَلَلْتَ فَلاَ تَخْـ ـشَ حِمامِي ولا تُؤَثِّرْ فَزَرِّي
فَمَضَى يَوْمَنَا قَصِيراً بِضَمٍّ والْتِزَامٍ وَقَرْصِ جِلْدٍ وَنَقْزِ
وَجَرَى بَيْنَنَا اجْتِماعٌ مِرَاراً فَمُهَنٍّ طَوْراً وَطَوْراً مُعَزِّي
أَتَرَى يَسْمَحُ الزَّمَانُ لَنَا يَوْ مَاً فَنَشْفِي مِنَ الفِرَاقِ وَنَجْزِي[٢]

نلاحظ من الأبيات المتقدمة أنها فوق ما تحمله من عناصر الرمي بالجهل، وقلة العقل، والفحش، تتضمن عناصر أخرى من حيث الطرافة، والسخرية والإيلام، وتدل على مهارة في الصياغة، وبراعة في الخيال.

وفي القصيدة الثانية التي تصل إلى مائة وأربعة وعشرين بيتاً، أثبت منها الدكتور تدمري في الديوان ثلاثة أبيات، أثبتُّها في ملحق هذا البحث، عمد الشاعر إلى الإقذاع في الهجاء والفحش فيه، بعد أن نفى عن القاضي صفة القضاء استخفافاً بقدره، واستهزاءً بشخصه، فيُعَرِّضُ بوجهه الصغير ويشبهه بعُشْرِ عُشْرِ القلامة[٣] تعلوه عمة تملأ الفضاء في حجمها. يقول:

يَا وَزِيرَ الشَّامِ دَعْوَةَ مَظْلُو مٍ رَجَا مِنْ عَلاَكَ كَشْفَ الظَّلاَمَةْ

---

(١) الديوان: ص١٤٦.

(٢) نفسه: ص١٤٨.

(٣) القلامة: هي المقلومة عن طرف الظفر - تقول قلمت ظفري وقلمت أظافري. انظر اللسان مادة «قلم» ج١٢/٤٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُسْتَجِيراً بِمَجْلِسٍ ثَبَّتَ اللَّـ ـهُ عَلَى رَغْمِ ضِدِّهِ أَيَّامَهْ
مِنْ وَزِيرٍ بِصُورٍ قَدْ كَانَ مَنْشَا هُ وَقَدْ جَاءَنَا بِزِيِّ كُتَامَهْ
هُوَ قَاضٍ كَمَا يَقُولُ وَلَكِنْ مَا عَلَيْهِ مِنَ القَضَاءِ عَلَامَهْ
عِمَّةٌ تَمْلأُ الفَضَاءَ عَلَى وَجْـ ـهٍ ضَئِيلٍ كَعَشْرِ عُشْرِ القُلَامَةْ[1]

ويكثر الشاعر من رسم صور السخرية والاستهزاء بعمامة القاضي إلى حد المبالغة، إذ يفرد لها خمسين بيتاً، فيصفها بأنها مليئة بالصور والألوان من حيوانات كالكلاب، والحمير، والوحوش والظباء، وصور للعاهرين والعشاق، ويستدعي صوراً من تاريخ الملوك شرقاً وغرباً، وصوراً من القصص القرآني، فلا يدع حادثة ولا قصة رسول أو نبي إلا ويصورها على عمامة القاضي. يقول:

وَعَلَيْهَا مِنَ التَّصَاوِيرِ مَا لَمْ يَجْمَعِ الدَّقْسُ بَعْضَهُ أَوْ قُمَامَه
لَوْ تَخِذْنَا البَحْرَ المُحِيطَ مِدَاداً وَجَعَلْنَا بَيْتَ الدَّنَا أَقْلاَمَهَ
لَمْ نُمَثِّلْ مِعْشَارَ مَا صَوَّرَتْ بِيَـ ـنَ شَوَابِيرِهَا يَدُ الرَّقَّامَة
مِنْ وَحُوشٍ رَوَاتِعٍ وَظِبَاءٍ رُتِّعٍ بَيْنَ أَثْلَةٍ وَثُمَامَهْ
وَكِلاَبٍ قَدْ أُضْرِيَتْ وَبُزَاةٍ فَوْقَ مَا صَوَّرَتْ لَهُ حَوَامَهْ

إلى أن يصل إلى قوله:

فلو أن الإله ينفخ في الصو ر لكانت منها تقوم القيامة[2]

ويعود الشاعر ليرسم صورة القاضي وقد بدا صغير الرأس كبير الأذنين، خفيف العقل أحمق غير مسموع الكلمة، لا ينفذ من أحكامه إلا بقدر بعرة الغنم، ويعنّف بالقول على من يمالئونه ويدعون أن فيه الإمامة والقضاء. يقول:

لاَ تَقُولُوا كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ ثَبَا تاً فَوْقَ رَأْسٍ أَخَفَّ مِنْ دَوَامَهْ
غَيْرُ بَدْعٍ أَنْ تَحْمِلَ الأَرْضُ فِيهَا وَلَهَا مِنْ قَرْنَيْهِ أَقْوَى دَعَامَهْ
أَحْمَقٌ لَوْ يُقَالُ فِي بَلَدِ الصِّيـ ـنِ طِرَارٌ أَمْسَى بِأَرْضِ اليَمَامَهْ
كَانَ فِي بَانِيَاسَ يَقْضِي فَلاَ يَنْـ ـفِذُ فِي قَدْرِ بَعْرَةٍ أَحْكَامَهْ

(١) انظر الملحق في نهاية الرسالة.

(٢) انظر الملحق في نهاية الرسالة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَكَّنَ اللّٰهُ ذَرَّتِي مِنْ أَعَالِي سُفْلِ يَدَّعُونَ فِيهِ الإِمَامَةْ[1]

نخلص إلى القول بأن ابن منير قد تعرض للصفات الخُلُقية والخلقية للقاضي وبالغ في الاستهزاء والتعريض به وبعلمه، ورماه بالجهل وقلة العقل، وقد أثبت الشاعر مقدرته اللغوية، والفنية، والثقافية من خلال حشده عدداً هائلاً من الصور المستوحاة من التاريخ والقرآن الكريم. ويجدر بي أن أعلل سبب تحامل ابن منير على القاضي، وهل كان القاضي كما وصف الشاعر؟، وهل يستحق القاضي كل هذا التبكيت والتعريض والشتم!.

بعد الرجوع إلى ترجمة حياة القاضي، والاطلاع على سيرته، نجد النقيض تماماً فلم يكن كما ذكر ابن منير، بل كان رجلاً ذا مروءة، وحسن خلق. ولا أظن سبب تحامل ابن منير عليه يرجع إلى أكثر من خلاف وقع بينهما، أو لأن القاضي كان من المقربين لدى أل طغتكين، وصاحب حظوة كبيرة عندهم، فكان ذلك مؤلماً للشاعر الذي كان يحرص على التقرب منهم.

جـ- هجاء الأعيان: هجا ابن منير بعض الأعيان المقربين من الحاكم، مثل الشاعر ابن القيسراني ت «٥٤٨هـ» الذي كانت بينه وبين شاعرنا علاقة تشوبها المشاحنات والمهاجاة، كما هجا ملك النحاة ت «٥٦٨هـ» وقد تمت الإشارة اليهما في صفحات ماضية عند الحديث عن علاقاته بالشعراء المعاصرين له.

ثانياً: الهجاء الاجتماعي: هذا الصنف من الهجاء، الذي وصلنا من شعر ابن منير، قليل، فقد هجا بني سكرة، ووصفهم بأنهم جهلة حمقى، وأن جهلهم سبب لهم كثيراً من المتاعب، فقد باتوا مشخنين بالقتل، حتى غدا لهم في كل بيت مأتم، وفي كل أرض مقبرة. يقول:

تَطَيَّبْ بِرَأْيِ الصَّبِيِّ والْمَرَهْ وَلَا تَقْرَبَنَّ بَنِي سَكَّرَهْ

---

(١) انظر الملحق في نهاية الرسالة.ص ٢٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَفِي كُلِّ دَارٍ لَهُمْ مَأْتَمٌ وَفِي كُلِّ أَرْضٍ لَهُمْ مَقْبَرَهْ[١]

ومن هجاء المجتمع أنه هجا أهل دمشق في القصيدة التترية المشهورة، فوصفهم بأنهم أهل ضلال، وأنهم بقر، وأن ماءهم وهواءهم قذر مثلهم، والعالم عندهم جاهل، والعابد محتقر، وحكامهم من أخف الناس عقولاً. ومن كان صاحب علم أو رأي عندهم مُبعد مُقصى، ولا قلوب لهم، وطباعهم جامدة كجبالهم. يقول:

وَأَعَنْتُ ضَلَّالَ الشَّا م عَلَى الضَّلالِ المُشْتَهِرْ
وَسَكَنْتُ جِلِّق واقْتَدَيْـ ـتُ بِهِم وإنْ كَانُوا بَقَرْ
وَهَوَاؤُهُمْ كَهَوائِهِم طَيْشُ الظَّلِيمِ إذَا نَفَرْ
وَعَلِيمُهُمْ مُسْتَجْهَلٌ وأَخُو الدَّيَانَةِ مُحْتَقَرْ
وَخَفِيفُهُمْ مُسْتَثْقَلٌ وَثَقِيلُهُمْ فِيهِ العِبَرْ
وطِبَاعُهُمْ كَجِبالِهِمْ جُبِلَتْ وقُدَّتْ مِن حَجَرْ[٢]

وقد هجا الناس جميعاً، كما هجا الزمن بأبيات حافلة بأقذع الصفات، الخبث، والدهاء، واللؤم، يقول:

وَصِلِ الهَجِيرَ بِهَجْرِ قَوْمٍ كُلَمَا أَمْطَرْتَهُمْ عَسَلاً جَنَوا لَكَ حنظلا
لِلَّهِ عِلْمِي بِالزَّمَانِ وأَهْلِهِ ذَنْبُ الفَضِيلَةِ عِندَهُمْ أَنْ تَكْمُلاَ

كما هجا بخيلاً فوصف رغيفه بأنه صغير جدا لا يكاد يُرى ولو أكل الصائم منه ألفاً ما أفطر، ويتساءل الشاعر: كأن خبازه عندما صنعه تحدى به البشر؟ ولا يعرف أهو للأكل أم للعرض؟ يقول:

رَغِيفُهُ مِنْ ذُرَةٍ يَصْنَعُهُ أَوْ أَصْغَرَا
مُبَيَّتاً مُلَفَّقاً مُبَرْيَقاً مُبَيْكَرَا
لَوْ جَازَ فِي عَيْنِ الَّذِي يَأْكُلُهُ لَمَا دَرَى

---

(١) الديوان: ص١٤١.

(٢) نفسه: ص١٦٧، ١٦٨.

(٣) نفسه: ص١٠٣، ١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو بَلَـع الصَّائِـمُ أَلـ ... فَاً مِثْلَهُ ما أفطرا
كَأنَّمَـا خَبَّـازُهُ ... بِهِ تَحَـدَّى البَشَـرا
فَهَاتِ قُلْ: أعَرَضاً ... تَجِدْهُ أم جوهرا[1]

وقد هجا المترفين، شباع البطون الذين لا يفكرون إلا في أنفسهم وشهواتهم، وحذرهم من مغبة الركون إلى هذا المسلك إذ لا بد وأن يأتي يوم يجوع فيه الذين لم يحافظوا على النعمة ويؤدوا حقها، لأن الدهر قُلَّب والأيام دول بين الناس. يقول:

يَا شِبَاعَ البُطُونِ لاَ بُدَّ مِنْ جُـو ... عٍ يَلِيكُ البَطِينَ مِنْكُمْ لِجَامَـهْ
لاَ يَغُرَّنْكُـمْ مُهَادَنَـةُ الدَّهْـ ... ـرِ فَمَا زَالَ مُسْهِراً مَنْ أنَامَه
كُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَنَاهَى إِلَى حَـ ... ـدٍّ تَمَام فَالنَّقْص يَتْلُو تَمَامَهْ[2]

ولعل هذا النوع من الهجاء أقرب إلى النقد الاجتماعي.

مما تقدم نلاحظ أن الهجاء عند ابن منير، يمثل ثورة على مجتمعه، وأصدقائه. فكان هجاؤه قوياً مؤثراً، يعتمد على سلب المهجو كل فضيلة نفسية، وجسدية وقد لجأ في هجائه إلى رسم صورة ساخرة تعتمد على التصوير الوصفي لعيوب المهجو كما اتسم هجاؤه بالفحش في القول، فاستعمل البذيء من الألفاظ، ولم يتحرج من ذكر العورات.

---

(١) الديوان: ص٩٥.

(٢) انظر الملحق، ص[illegible].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغزل

لم أجد لابن منير شعراً قيل في المرأة، فكل ما وصل إلينا من شعره الغزلي كان في المذكر. وقد شاع هذا اللون من الشعر في الأوساط الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري عندما دخل أبناء الفرس والروم والترك هذا الدين، وكثر السبي من النساء والغلمان الذين عملوا خدماً وسقاة عند المسلمين. ولعل أبا نواس من أوائل من نظم الشعر الغلامي ثم تبعه جمع غفير من الشعراء المسلمين منهم ابن منير.

ومن المعاني المطروقة الشائعة في هذا اللون من الغزل:

وصف العارض وقد خط فيه الشعر، فبدا سواده إلى جانب بياض الوجه، يشبهه ابن منير بعنبر في صحن من الذهب. يقول:

سَقَانِي العَسجَدِيَّةَ ذُو عِذَارٍ ... يُنَمْنِمُ عَنْبَراً في صَحْنِ عَسْجَدِ
وَحَيَّا باللآلِيءِ فِي صَدَافٍ ... مِنَ الياقُوتِ طُرِّزَ بالزَّبَرْجَدِ[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أننا نجد ذكراً لبعض المظاهر الحضارية التي عاشها الشاعر مثل: العسجدية، صحن عسجد، صداف، والياقوت، والزبرجد، وهذا يدل على المستوى الحضاري الذي عاشه شاعرنا.

ومن الموضوعات التقليدية، وصف تورد الوجنتين وحمرتهما، فيصور خدّ صاحبه يذوب رقة، وقد لون دموعه بلونه الأحمر القاني. يقول:

أَتَرى يَثْنِهِ عَنْ قَسْوَتِهِ ... خَدَّهُ الذَّائِبَ مِنْ رِقَّتِهِ
أَفَأَسْتَنْجِدُهُ وَهُوَ الَّذِي ... لَوَّنَ الدَّمْعَ عَلَى صِبْغَتِهِ[2]

وخد صاحبه يتوهج لمعاناً من شدة جماله:

يَبْدُو فَتَقْرَأُ فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ ... مِنْ مَشْقِ أَقْلَامِ المَلَامَةِ أَحْرُفَا[3]

---

(١) الديوان: ص٨٨.

(٢) نفسه: ص٩١.

(٣) نفسه: ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُدْمِي اللَّواحِظُ خَدَّهُ فَتَرَى لَهَا فِيهِ أَثَرْ[١]

ومن شدة حمرة الخدين أن العقرب قد تقلص وخاف من تلظي الوجنتين وآثر السلامة[٢]، يقول:

تَقَلَّصَ العَقْرَبَ مِنْ صُدْغِهِ عَنْ خَدِّهِ خَوْفَ تَلَظِّيهِ[٣]

ومن الموضوعات التي طرقها ابن منير في غزله وصف الأصداغ، فقد وصف صدغيه كأنهما عناقيد عنب تدلت فوق خديه، استحالت رضاباً في ثغره يرشفه المحب، يقول:

صُدْغَهُ كَرْمَةُ خَمْرٍ قُسِمَتْ بَيْنَ خَدَّيْهِ إِلَى نَكْهَتِهِ[٤]

ويصف صدغيه بقِصَرِ الشعر من جانبي رأسه، له ضفيرة طويلة، في قفا رأسه يقول:

وَيْلِي مِنَ المُعْرِضِ الغَضْبَانِ إِذَ نَقَلَ الـ ـوَاشِي إِلَيْهِ حَدِيثاً كُلُّهُ زُوَرُ
مُقَصَّرَ الصُّدْغِ مَسْبُولٌ ذَوَائِبُهُ لِي مِنْهُ وَجْدَانِ: مَمْدُودٌ وَمَقْصُورُ[٥]

كما شبه أسنان محبوبه بالبرد لشدة بياضها. يقول:

عَشِقُوا قَبْلِي وَلَكِن مَا أَحَبُّوا كَحَبِيبِي
بِأَبِي بَرْدُ ثَنَايَاكَ وَإِنْ أَذْكَى لَهِيبِي
لَا بَلَاكَ اللَّهُ إِنْ أَضْـ ـنِيتَ يَوْماً بِالَّذِي بِي[٦]

وأما عن ريق محبوبه فإن نكهة رائحته كنكهة الورد. يقول في غلام اسمه «ابن بُوَيْلَه» عندما ناوله وردة، فارتجل أبو الحسين بن منير يقول:

---

(١) الديوان: ص١٦١.

(٢) انظر الأدب في بلاد الشام د. عمر موسى باشا. ص٢٢٤.

(٣) الديوان: ص٩٣.

(٤) نفسه: ص٨٦.

(٥) نفسه: ص٨٩.

(٦) نفسه: ص١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَمُضَعَّفُ الطَّرْفِ حَيَّانِي بِمُضَعَّفَةٍ كَأَنَّمَا قُطِفَتْ مِنْ خَدِّ مُهْدِيهَا
رَقَّتْ فَأَحْيَت قَلْبَ نَاشِقِهَا كَأَنَّ عَبْقَةَ فِيهِ أُفْرِغَتْ فِيهَا[١]

وأما عن خصره، فهو لين مهفهف يقول:

وَاهِي مَنَاطَ الخَصْرِ سُنَّةَ عَيْنِهِ تُقْتَصَّ فِي قَتْلِ النُّفُوسِ وتقتفي[٢]

* * *

مُهَفْهَفُ القَدِّ سَهْلُ الخدّ أَغْرَبُ فِي الـ ـجَمَالِ مِنْ لُثْغَةٍ فِي لَفْظِ نَجْدِيْ[٣]

ويصف حواجب محبوبه سوداء مقوسة كالقوس، وسهام مقلتيه هما النبل. يقول:

أَوْ مَا حَاجِبُهُ حَاجِبَهُ إِنْ تَجَافَى عَنْ مَدَى حَفْوَتِه
فَلِهَذَا قَوْسُهُ مُوتَرَة تَسْتَمِدُّ النَّبْلَ مِنْ مُقْلَتِه[٤]

* * *

سلمت فا زورّ يزوي قوس حاجبه كأنني كأس خمر وهو مخمور[٥]

ثم ينتقل في الوصف إلى الوجه، فيصفه بالجمال والبهاء كالبدر بعد المحاق، وتارة كالشمس تظهر مشتعلة تتوقد نوراً بعد أن خبت في كسوفها. يقول:

بَدْرٌ إِذَا البَدْرُ سَرَى فِيهِ المَحَاقُ كَمُلاَ
شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ خَبَتْ تَحْتَ الكُسُوفِ اشْتَعَلاَ[٦]

حتى إن القمر يفخر ويبتهج إن شبه محبوبه به، وهو أكمل في جماله من البدر. يقول:

قَمَرٌ لاَ فَخْرَ لِلبَدْرِ سِوَى أَنَّهُ أَصْبَحَ فِي صُورَتِهِ[٧]

---

(١) الديوان: ص١١٦، ١١٧. البيت الثاني منكسر الوزن.
(٢) نفسه: ص٩١.
(٣) نفسه: ص١٨١.
(٤) نفسه: ص٨٦.
(٥) نفسه: ص٩٠.
(٦) نفسه: ص٨٥.
(٧) نفسه: ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَا كَامِلاً وَجْهُهُ عَلَّم البَدْرَ الكَمَالا[١]

ويصف محبوبه بجمال مفرط في الوجه لدرجة أنه يأخذ العقول، ولو أن جماله وضع في الشمس لم يغشها الظلام. يقول:

يَا قَمَراً أَصْبَحَتْ مَحَاسِنُهُ تَنْهَبُ البَابَنَا وَتَقْتَسِمُ
فِيكَ مَعَانٍ لَوْ أَنَّهَا جُمِعَتْ فِي الشَّمْسِ لَمْ يَغْشَ نُورَهَا الظُّلَمُ[٢]

حتى أن بدر الدجى يتعجب من حسن وجهه. يقول:

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ فِي الحُسْنِ وَجْهُهُ فَبَدْرُ الدُّجَى مِنْ حُسْنِهِ يَتَعَجَّبُ[٣]

ثم يصف فتور عيني محبوبه بقوله:

أَيْنَ مِنِّي الصَّبْرُ عَنْ وَجْهِكَ أَيْنْ بَيْنَ قَلْبِي وَسُلُوِّي عَنْكَ بَيْنْ
وَاهِنَ العَزْمِ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُ فَتَرَتْهُ فَتَرَاتُ المُقْلَتَيْنْ[٤]

ويجمع إلى فتور العينين جمال الأجفان. يقول:

مُحَدِّثٌ تَحَدَّثَ أَمْرَاضَنَا أَجْفَانُهُ الفَاتِنَةُ الفَاتِرُهْ[٥]

ومن المعاني المطروقة، التي جدد ابن منير في صورتها الخال، فقد أكثر ابن منير من ذكر الخال في أشعاره، وفي ذلك يقول العماد الأصفهاني: «وأكثر أشعاره في الخال، وقد ردد المعنى فيها»[٦] وقد عُدَّ ابن منير مبتكراً في بعض المعاني التي تدور في هذا المضمار[٧] فمن ذلك: أنه رسم للخالات صورة جميلة عندما صور خال محبوبه جذوة متقدة من نار فؤاده:

أَنْكَرَتْ مُقْلَتُهُ سَفْكَ دَمِي وَعَلَا وَجْنَتَهُ فَاعْتَرَفَتْ
لَا تَخَالُوا خَالَهُ فِي خَدِّهِ قَطْرَةً مِنْ دَمِ جَفْنِي نَطَفَتْ

---

(١) الديوان: ٨٧.

(٢) نفسه: ص٩٦.

(٣) نفسه: ص١٤٣.

(٤) نفسه: ص٨٩.

(٥) نفسه: ص١٤٠.

(٦) الخريدة ج١ق١/ ٨٠.

(٧) انظر الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين: ٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذَاكَ مِنْ نَارِ فُؤَادِي جَذْوَةٌ فِيهِ سَاخَتْ وانْطَفَتْ ثُمَّ طَفَتْ[١]

ثم يقول في الخال: لا تظنوا الخال على خده نقطة مسك سقطت، إنما هو حبة فؤاده سُلبت من قلبه واستوت خالاً على خدّه. يقول:

أتَخَالُ الخَالَ يَعْلُو خَدَّهُ نُقْطَ مِسْكٍ ذَابَ مِنْ طُرَّتِهْ

ذَاكَ قَلْبِي سُلِبَتْ حَبَّتُهُ واسْتَوَتْ خَالاً عَلَى وَجْنَتِهْ[٢]

ونراه يصور الحسن نقاشاً ينقش بدقة ولطف، فيرسم شامة على وجنة محبوبه ليغيظ بها حساده.

نَقَشَ الحُسْنُ عَلَى وَجْنَتِهِ شَامَةً أشْمَتُّ حُسَّادِي بِهَا[٣]

ويعبر عن عاطفته الجياشة، وحبه لمحبوبه، بسبب وجود الخال الذي كسا وجنته سحراً وجمالاً، ثم يصور الشاعر حالته، وقد أصيب ببلاء العشق الذي أَرَّقَ مضاجعه وكساه نحولاً، وضعفاً. يقول:

لَيْتَ اعْتِدَالَ قَدِّهِ عَطَفَهُ فَعَدَلا

بَلْ لَيْتَ صَحْنَ خَدِّهِ مِنْ ذَلِكَ الخَالِ خَلا

فَهوَ الَّذِي قَلَّبَ قَلْـ ـبِي فِي قَوَالِبِ البَلا[٤]

ثم يقول:

سَلَبْتَ حَبَّةَ قَلْبِي وَصُغْتَهَا لَكَ خَالاً

فَقَدْ كَسَتْنِي نُحُولاً كَمَا كَسَتْكَ جَمَالاً[٥]

وأما عن شكوى الهجران، والبعد عن المحبوب، فقد أطار النوم من عينيه، جفت عيناه من كثرة الدمع على فراق المحبوب، يقول:

عَذَّبُونِي بِهَجْرِكُمْ عَذَّبُونِي واطْرُدُوا طَارِقَ الكَرَى عَنْ جُفُونِي

---

(١) الديوان: ص٨٣.

(٢) نفسه: ص٨٦.

(٣) نفسه: ص٨٤.

(٤) نفسه: ص٨٥.

(٥) نفسه: ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَوهِبُونِي دَمْعاً لَعَلَّ مغِينَ الدَّ مع يَوماً عَلَى هوَاكُم مُعِينِي[١]

ومن غزلياته في الشكوى من القطيعة، والهجران بسبب الوشاة، وكثرة العتاب. قوله:

جَعَلَ القَطِيعَةَ سُلَّماً لعِتَابِهِ مُتَجَرِّمُ جَانٍ عَلَى أحْبَابِهِ
مَا زَالَ يُضْمِرُ غَدْرَهُ مُتَعَلِّلاً لِوُشَاتِهِ مُتَسَتِّراً بِكُذَّابِهِ
حَتَّى تحَدَّثَ نَاظِرَاهُ فَحَلَّلاَ مَا كَانَ أَوثقَ مِنْ عُرَى أَعْتَابِهِ[٢]

ومن طريف شعر ابن منير القصيدة التي تغزل فيها بصبي أمرد من أقارب طغتكين، صاحب دمشق وهو «حسام الدين دلق بن أبق» فقد جمعت هذه القصيدة معظم المعاني المطروقة في الغزل الغلامي. يقول:

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فِي صَدْرِ الرَّدَيْنِي وَمَوَّهَ السِّحْرَ فِي حَدِّ اليَمَانِيّ
وأَنْزَلَ النَّيِّرَ الأَعْلَى إلَى فَلَكٍ مَدَارُهُ فِي القَبَاءِ الخُسْرَوَانِيّ
طَرْفٌ رَنَا أَمْ قِرَابُ سَلَّ صَارِمُهُ وأَغْيَدُ مَاسَ أَمْ أَعْطَافُ خَطِّي
أَذَلَّنِي بَعْدَ عِزٍ والْهَوَى أَبَداً يَسْتَعْبِدُ اللَّيْثَ للظَّبْيِ الكِنَاسِيّ
أَمَا وَذَوَائِبِ مِسْكٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ عَلَى أَعَالِي القَضِيبِ الخَيْزُرَانِيّ
وَمَا يُجَنُّ عَقِيقَيَّ الشَّفَاه مِنَ الـ رِّيقِ الرَّحِيقِيّ والثَّغْرِ الجُمَانِيّ
إبَاءُ فَارِسِي مَعَ لِينِ الشَّآمِ مَعَ الـ ظَّرْفِ العِرَاقِيّ فِي النُّطْقِ الحِجَازِيّ[٣]

أجادَ ابن منير في هذه القصيدة ورسم صوراً غاية في الجمال، فلا غرو أن يستشهد بها معظم من ترجم لابن منير، فهو يتعجب من بدر يراه في صدر رمح ردينى مهيء لإصابة المحب في الصميم، وإنه ليعجب أن يكون سحر العين مموها في حد السيف اليماني، وأن يرى القمر أمام عينيه يدور على الأرض في كساء فارسي حريري، ويعجب هل العين طرف يديم النظر أم غمد سل سيفه القاطع. وهل

(١) الديوان: ص٩٤.

(٢) نفسه: ص١١٨.

(٣) نفسه: ص١٧٨، ١٧٩. الوزن محطم في البيتين الخامس والسادس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو بإزاء قدٍ شائق ناعم يتثنى، أو بإزاء أعطاف رمح خطي قاتل، ويقول إن الهوى يستعبد الليث القاتل للظبي الوادع الذي يعيش في كناسه أو مأواه الآمن. ويرى ذوائب الشعر على أعالي هذا الغصن الخيزراني الأملس الناعم، تقطر ذوب المسك. أما الشفاه فوراءها الثغر الفضي من الأسنان والريق الرحيق السائغ[١]، ثم يبين الشاعر أن مفاتن محبوبه كثيرة فلم تقتصر على المرئي من حسنه، بل المسموع من صوته وإنشاده. ويقول إن محبوبه جمع فيه لين الشام، وظرف العراق، ونطق الحجاز.

مما تقدم نستطيع القول أن ابن منير أجاد في غزلياته وبرع فيها، وجاءت أبياته رقيقة في معانيها وألفاظها، جذابة في صورها، وقد استطاع أن يصوغ الصور الغزلية القديمة بقالب حيوي جديد كما في الخيلان، والوجنات، والأصداغ. وفي بناء القصيدة ظل متمسكاً بالتراث العربي القديم. كما دلت الصور التي رسمها على خصب خياله ومقدرته الفائقة.

ولا يفوتني أن أنوه أن ابن منير قد استعار من الغزل بالمؤنث كثيراً من الصور الجمالية والمعاني الغزلية وألبسها لمحبوبه، فيظن القارئ للوهلة الأولى أن المخاطب بهذا الغزل هو أنثى وليس ذكراً. فمن ذلك جمال الوجه وهفهفة القدّ، وحمرة الخد، ونحول الجسد بسبب الفراق والهجران.

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات مصر والشام، د. شوقي ضيف. دار المعارف، مصر، ١٩٨٤، ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المَديح

كان المديح من أهم أغراض الشعر في هذه الفترة، فقد تغلب هذا اللون من الشعر على سائر الفنون الشعرية الأخرى. ولعل السبب في ذلك أن المديح أداة ارتزاق، وحرفة تكسب درج عليها الشعراء منذ القدم. زد على ذلك أن طبيعة الصراع بين المسلمين والفرنج أفرزت نوعين من القادة، والأمراء. نوعاً انشغل بملذات العيش، وما يشبع هواه، وأعطى الدنية للأعداء فمد يد الإثم والخيانة لمصافحة الفرنج، بل إن بعضهم استنجد بالفرنج لمقاتلة المسلمين، ونوعاً رفضوا رغد العيش، في ظل الإحتلال الفرنجي لديار الإسلام، وأدركوا أن الجهاد هو الطريق الوحيد لدرء خطر الفرنج واستعادة الأرض، وصون العرض وصنع المجد.

لقد كانت نفوس الناس يمثلهم الشعراء تشرئب لمثل هذه البطولات، وكثر شعر المديح، وتسابق الشعراء في هذا الميدان. بيد أن هنالك أمراً لا بدّ من الإشارة إليه: أن مدح الشعراء لهذا الصنف من الحكام، والأمراء كان مدح إعجاب وتقدير، ينبع من عاطفة صادقة قبل أن ينبع من الطمع في المال.

وقد زخر شعر ابن منير بهذا الصنف من الشعر في مدح أعظم بطلين عاشا في عصره وقادا حركة الجهاد المبكر ضد الصليبيين، وهما عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين.

وما تبقى لابن منير من شعر المديح، كان تقليدياً. فقد تعدد ممدوحوه: فمدح أبا العساكر سلطان بن منقذ أمير شيزر في أثناء إقامته بها. فصوره بأنه صاحب فضل كبير، وقلب عطوف وبالغ الشاعر في مدحه، فقد حاز فيما قال على صفات الكمال التي لاتوجد في غيره، يسبغ عليه من صفات الشجاعة والبطولة، ثم يفصح عن طبيعة العلاقة بينه وبين أبي العساكر، فيقول بأنها ليست علاقة مادح مع ممدوحه، إنما هي علاقة ودٍ وصداقة لذلك يصف مدحه له بأنه مخلص نابع من مشاعره الصادقة تجاهه، يقول:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَوْلَايَ عَبْدُكَ مَا أقَامَ لِأَنْ رَجَا ... مَولَى سِوَاكَ وَلَا تَجَلَّدَ أَنْ سَلَا
أَنَا غَرْسُ أَنْعُمِكَ الذي غَذَّيْتَهُ ... خَطَرَاتِ عَطْفِكَ فَارْتَوَى وَتَهَلَّلَا
ضَمِنَتْ لَهُ أَجدَادُهُ وجُدُودُهُ ... عَدَمَ النَّظِيرِ فَجَاءَ أَوْحَدَ أَكْمَلَا
كَالسَّيْفِ جَوْهَرُهُ وعنصر ذَاتِهِ ... صَفْواً فَأَغْنَتْهُ الصِّفَاتُ عَنِ الكَلَى
أَصْفَيْتَنِي فَحَبَاكَ صَفْوُ خَوَاطِري ... مَدْحاً تَخَالُ مِنَ الجَلَالِ تَغَزُّلَا
وكَذَاكَ أَصْبَحَ مِنْكَ شِعْرِي كُلُّهُ ... قَوْلاً وأَصْبَحَ فِي سِوَاكَ تَقَوُّلَا[1]

كما مدح ابن منير الوزير أثير الدين بهاء الملك فخر المعالي بن صدقة[2]، وزير الخليفة العباسي المسترشد بالله. فنعته بعدة صفات تتمثل في العقل والشجاعة والجود، والكرم، ثم صوره يقظان يسهر على راحة الرعية، وبسهره نال من الرفعة والمجد أشرفهما. يقول:

وَتُضِيءُ للسَّارِينَ دُونَ حِجَابِهَا ... غُرَرُ الجِيَادِ وحَلْبَةُ الأَجْيَادِ
يُسْفِرْنَ عَنْ سُحُبٍ سَوَافِرَ عَنْ سَنَاً ... مِثْلِ الأَهِلَّةِ فِي فُرُوعِ صِعَادِ
يَقْظَانَ يَسْهَرُ عَيْنُهُ حُبُّ العُلَى ... ومِنَ المُحَالِ هَوىً بِغَيْرِ سُهَادِ[3]

ومن الذين مدحهم ابن منير، شرف الإسلام أبو القاسم عبدالوهاب بن عبدالواحد الشيرازي المعروف بابن الحنبلي الواعظ الفقية[4]. رسم له صورة واضحة المعالم، ووصفه هو وأهل بيته بأنهم أعادوا المعروف بعد أن فُقد من دنيا الناس، وهم الذين وضعوا النباهة والمروءة والكرم، وهم أهل القرآن، وفقهاء الإسلام، وعلماء هذا الدين، وخطباؤه بلا منازع. يقول:

وَلَعَمْرِي لَوْلَا بَقِيَّةُ عَبدِالـ ... ـوَاحِدِ الحَنْبَلِيِّ أُعْضِلَ دَاؤُهُ
هُمْ أَعَادُوا المَعْرُوفَ غَضّاً وَقَدْ صَوَّ ... حَ مُخْضَرُّهُ وَغَاضَ بَهَاؤُهُ

---

(١) الديوان: ص١٠٦-١٠٨.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الديوان: ص١٣٦، «الوزن محطم» في البيت الأول.

(٤) سبقت ترجمته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَعْشَرٌ أَرْضِعُوا النَّبَاهَةَ مِنْ عُو ... دٍ نُضَارُ مَاءِ المُرُوءَةِ مَاؤُهُ
أَهْلَهُ أَنْتُمْ وَمَنْ لَمْ يَقُلْ قَـوْ ... لِي عمَّتْ عَيْنُهُ أَعْضَاؤُهُ
فُقَهَـاءُ الإِسْـلاَمِ إِنْ عَـنَّ ... لبَـسَ أَحْبَارَهُ خَطَبَـاؤُهُ[1]

ومدح رئيس حلب «عفيف الدين المستوفي»[2] ببضعة أبيات ضمنها قصيدة طويلة، اشتملت على تسعة وتسعين بيتاً، جلها في النيل من أعدائه وحساده الذين أشاعوا نبأ وفاته عندما كان مقيماً في حماة.

وقد أشرت إلى هذه الأبيات في غير هذا الموضع ولا بأس من ذكرها مرة ثانية لاختلاف السياق الذي ذكرت به.

يصف الشاعر ممدوحه بالسخاء والعطاء، وهو مثال للوفاء، ويعتبر الشاعر نفسه قريباً من الممدوح، مخلصاً في حبه ومدحه، ثم ينعته بالعدل والإنصاف، لذلك يطمئن الشاعر إلى أنه سينصفه من أعدائه الذين نالوا منه، ومن ممتلكاته في حلب. يقول:

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الذَّي يَدُهُ ضَرْ ... فٌ بِهِ أَسْتَكِفُّ صَرْفَ الزَّمَانِ
وَالذِي أَحْسَنَ الوَفَاءَ بِعَهْدِي ... فَاتَّهَمْتُ الوَافِينَ مِنْ خِلاَّنِي
والذِّي فِي هَوَاهُ أَخْلَصْتُ دِينِي ... يَـوَمَ تُبلَـى سَرَائِـرُ الأَدْيَـانِ
يَا أَبَا سَالِمٍ إِذَا كُنْتَ رُدَّنِي ... سَالِماً فَالقَضَاءُ مِنْ أَعْوَانِي[3]

وفي سنة ٥٠٩هـ مدح «مهذب الملك أبو الحسين ابن منير» تاج الملوك «بوري

---

(١) الديوان: ص١٤٤. البيت الأخير منكسر الوزن.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الديوان: ص١٥٢-١٥٧.

(٤) سبقت ترجمته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن طغتكين»[٤] حاكم دمشق بقصيدة طويلة، ضاع معظمها ولم يبق سوى ذكر متنزهات دمشق، وبعض أبيات المديح فمن ذلك أنه أثنى عليه، وأشاد به وبملكه، فرآه عريق المجد، ذا همة سامية، بسط على رعيته رواق رعايته وعنايته، ومد عليهم ظل رأفته، فامتد سلطانه، ودام عزه، وافتخرت دولته بتاج ملكه، حتى غدت بين الممالك كالشمس وسط النجوم. يقول:

عَرِيقُ مَجْدٍ يَرَى سَاسَانَ مَنْصِبَهُ ... مِنَ المَوارِنِ مِنْهَا والعَرَانِينِ
وَهِمَّةٌ قَدْ سَمَتْ لِلْمُلْكِ تَكْلؤُهُ ... أَجْرَتْهُ فِي فَلَكَيْ عِزٍّ وَتَمْكِينِ
تَتَوَّجَ المُلْكُ مِنْ تَاجِ المُلُوكِ سَنَاً ... شَمْسٌ مَحَتْ كُلَّ تَأْثِيرٍ وَتَزْيِينِ[١]

ثم مدح جمال الدين أبا جعفر محمد بن علي بن أبي منصور[٢] وزير الموصل بقصيدة، جعله فيها مثلاً أعلى للعفة والعقل والشجاعة والعدل والصفح والتسامح والبذل والعطاء والقوة والإباء. يقول:

عَشِيْتُمْ يَا وُلَاةَ الأَمْرِ عما ... أُتِيحَ له من الأَثَرِ الجَمِيلِ
مآثِرُ بَاقِيَاتٍ يَوْمَ يَجنِي الـ ... ـمقال ويَجْتَنِي طِيبَ المَقِيلِ
وَكَمْ لِلْمَوْصِلِ الحَدْبَاءِ مِمَّا ... تُنِيلُ يَدَاهُ مِنْ رِيفٍ وَنِيلِ
بَرُودُ الصَّفْحِ مُلْتَهَبُ الحَوَاشِي ... مَهِيبُ البَطْشِ فَرَّاسُ الدَّخُولِ[٣]

مما تقدم يمكن أن نتلمس السمات الموضوعية للمديح عند ابن منير وهي:

---

(١) الديوان: ص١٧٦.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) الديوان: ص٢٦٩. البيت الأول منكسر الوزن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- اسبغ ابن منير الفضائل الخُلقية والنفسية على ممدوحيه، وقد طغت النواحي المعنوية على النواحي المادية في مديحه.
- كان يبالغ أحياناً في مديحه كما رأينا، فالممدوح عنده لا نظير له بين الناس.
- لم يخرج في مدحه عن الأوصاف التي طرقها السابقون، بمعنى أن مقاييس المديح عند ابن منير هي نفسها عند القدماء، وهي بلوغ الحد الأعلى من الخصال الحميدة، سواء كانت موجودة فيه أم غير موجودة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوَصْف

الوصف قليل فيما وصل إلينا من شعر ابن منير، فلم يزد ما وصلنا من شعره على قصيدتين في وصف متنزهات دمشق الجميلة، ومقطوعتين وأبيات متناثرة في وصف السيف والخيل.

وقد تنوع الوصف في شعر ابن منير فمن ذلك وصف المظاهر الحضارية والاجتماعية كوصف ناعورة يصف فيه خرير الماء المنساب منها كلحن العشق يهيج في القلب، فيثير الوجد والحرقة تجاه المحبوب، والناعورة تماثل الأفلاك في جمالها، وحركتها، فهي في دوران مستمر،وفي أثناء دورانها يتوزع الماء فيها حسب علوها وهبوطها، فمنها ما هو مليء بالماء، ومنها ما فيه إلى منتصفه، ومنها ما هو فارغ، وكأن الماء قد قسم فيها تقسيم جاهل بالحقوق، وهذا مدخل لما يريد أن يتكلم عنه الشاعر، فالشاعر يشكو الزمان، والحظ الذي نَكَّسَ أهل الفضائل والعلم، ورفع الوضيع. يقول:

لِنَواعِيرِهَا عَلَى الماءِ أَلْحَا ... نَ تَهِيجَ الشَّجَا لِقَلْبِ المَشُوقِ
فَهِيَ مِثْلُ الأَفْلَاكِ شَكْلاً وَفِعْلاً ... قُسِّمَتْ قِسْمَ جَاهِلٍ بالحُقُوقِ
بَيْنَ عَالٍ سَامٍ يُنَكِّسُهُ الحَـ ... ـظُّ وَيَعْلُو بِسَافِلٍ مَرْزُوقِ[1]

ووصف ابن منير الطبيعة، فبرع في تصويرها، وأجاد القول فيها. شأنه في ذلك شأن شعراء الشام الذين كانت لهم عناية بوصف طبيعة الشام وبيئتها الجميلة، ومشاهدها الخلابة. فها هو يصف روضة غناء، تشدو الطيور وترقص في سمائها مع هبات النسيم، تتوسطها ناعورة والماء يحرك دولابها، فيشبه حركة الدولاب وظهور ضلوعه بالإنسان الذي يبكي حرقة وألماً فمن شدّة البكاء وكثرته برزت ضلوعه وهي صورة رقيقة مؤلمة حزينة يقول:

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةٍ ضَاعَ نَشْرُهَا ... فَنَادَتْ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ طُيُورُ
وَدُولَابُهَا أَضْحَى تَعَدَّ ضُلُوعُهُ ... لِكَثْرَةِ مَا يَبْكِي بِهَا وَيَدُورُ[2]

---

(١) الديوان: ص١٣٢.

(٢) نفسه: ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولابن منير في وصف متنزهات دمشق وقراها أبيات ضمنها القصيدة التي مدح بها تاج الملوك بوري طغتكين، إذ يقف الشاعر على دمشق وغوطتها وقفة إكبار وإعزاز فيحييها ثم يصف جمال الربيع في دمشق، ويستذكر صورة دمشق، وقد أخذ البرد يتسلل مع بواكير فصل الشتاء، ليضفي على الحياة نكهة ذات طعم خاص، ثم يصور دمشق بدوحة تضم باقة من الأزهار وبساطاً أخضر يفرش أرضها، ويجلل سماءها أسراب من الطيور تصدح وتشدو، وهي تتراقص فرحاً وطرباً. ثم يصور دمشق بغادة حسناء فاتنة، ذات ذوائب سود تتدلى على خدود حمر، ومباسم بيضاء في أجفان خضر، وهي صورة جميلة رقيقة. يقول:

حَيِّ الدِّيَارَ عَلَى عَلْيَاءِ «جَيْرُونِ» مَهْوَى الهَوَى ومَغَانِي الخُرَّدِ العِينِ

ثم يقول:

وَاهَاً لِطِيبِ عُدَيَّاتِ الرَّبِيعِ بِهَا وَبَرْدِ أَنْفَاسِ آصَالِ التَّشَارِينِ
أَبْدَتْ دِمَشْقُ رَبِيعَاً جَلَّ صَانِعُهُ يَأْتِيكَ فِي كُلِّ حِينٍ غَيْرَ مَكْنُونِ
سُودَ الذَّوائِبِ فِي حُمْرِ الخُدُودِ عَلَى بِيضِ المَبَاسِمِ فِي خُضْرِ الجَفَانِينِ
آيَاتُ حُسْنٍ غَنِيَّاتٌ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الأَدِلَّةِ فِيهَا والبَرَاهِينِ[1]

ومن قصيدة أخرى في وصف دمشق ومتنزهاتها، وما تمتاز به من جمال الطبيعة المفعمة بسحرها الأخاذ، ومناظرها الخلابة، مما جعلها في نظر الشاعر جنّة الدنيا إذ ضمت إلى مناظرها البهيجة، غلماناً ونساءً حسان الوجوه يزينون أرضها كما أن الحور العين والغلمان الحسان يزينون جنّة السماء. يقول:

دَارٌ هِيَ الجَنَّةُ المَحْبُورُ سَاكِنُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْهَا وإِلاَّ فَهْيَ تَحْكِيهَا
تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ مِنْ مَنْظَرٍ بَهِجٍ يَسْتَوْقِفُ الطَّرْفَ فِي بَطْحَاءِ وَادِيهَا
مَا بَيْنَ ظَبْيٍ بِلَحْظِ الطَّرْفِ أَقْنَصَهُ وَظَبْيَةٍ بِخِدَاعِ القَوْلِ أَحْوِيهَا[2]

ثم ينتقل الشاعر إلى نوع آخر من الوصف، ما يعرف بالوصف الحربي،

(١) الديوان: ص١٧٢-١٧٦.

(٢) نفسه: ص١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوصف أدوات القتال ووصف الخيل وأضفى عليها صفات النجابة والأصل، وسرعة السير، فهي كالسهام في الكر والفر، وكالطيور في العلو والمكانة، يقول:

تُدْنِي لَكَ الأَمَلَ البَعِيدَ سَوَاهِمٌ ... مُحِقَتْ أَهِلَّتُهَا وَكُنَّ بُدُورَا
مِثْلُ السِّهَامِ لَوِ ابْتَغَى ذُو أَرْبَعٍ ... فِي الجَوِّ مُطْلَباً لَكُنَّ طُيُورَا
نَبَذَتْ عَلاَئِقَهَا «بِخُمْصٍ» وَأَعْلَقَتْ ... سِحْراً بِمَعْرِقِ[1] عِرْقَةَ الأَظْفُورَا[2]

ومن قصيدة أخرى يصف بها الخيل وينعتها بالقوة والمقدرة الفائقة على تذليل الصعاب، واختراق الآفاق، واجتياز المسافات الطوال فهي كالسحاب لا يعوقها عائق يقول:

بِالمُقْرَبَاتِ كَأَنَّ مُتُونَهَا ... جَنَّ المَلاَ وَكَأَنَّهَا أَطْوَادُ
سُحْبٌ إِذَا سَحَبَتْ بِأَرْضٍ ذَيْلَهَا ... فَالحُزْنُ سَهْلٌ وَالهِضَابُ وِهَادُ[3]

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف السيف، فوصفه وصفاً موفقاً برع فيه وأجاد، فالسيف هندي قاطع لامع، براق كالشمس، أبيض كبياض الشيب لكنه قوي بتار كنزق الشباب، يقول:

هَتَكَتْ حِجَابَهُ والشَّمْسَ وَسْنَى ... بِشَمْسٍ لاَ تُوارَى بِالحِجَابِ
بِأَبْيَضَ مِن حَبِيكِ الهِنْدِ صَافٍ ... مَصُونِ المَتْنِ مُبْتَذَلِ الذُّبَابِ
لَهُ سِمَةُ الشُّيُوخِ صَفَاءُ شَيْبٍ ... وَفِي خَطَرَاتِهِ نَزَقُ الشَّبَابِ[4]

وأود أن أنوه، بأنّ وصف ابن منير كان مشبعا بالدقة والأناة في رسم الصورة وخصب الخيال. كما أجاد في اختيار اللوحات الطبيعية التي قدمها لنا. ومما يؤخذ عليه أن معظم أوصافه تتجه إلى الحسية دون التغلغل إلى ما وراءها، ومع ذلك، فقد كان شاعرنا موفقاً في منهجه الوصفي.

---

(١) بمعرق: العريق من الناس والخيل، انظر اللسان مادة «عرق».
الأظفورا: أظفر، أنشب. انظر اللسان مادة «ظفر».

(٢) الديوان: ص٢٤٤.

(٣) نفسه: ص٢٦٢.

(٤) نفسه: ص٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرِّثاء والتعزية

الرثاءُ موضوع قديم، حتى ليكاد يرقى إلى بدايات العصور الرعوية في التاريخ البشري[١]، والرثاء لا يعدو أن يكون مدحا للميت ينزع الشاعر في مرثيته لذكر مناقب المرثي التي كان يتحلى بها[٢] مثل الكرم والجود والشجاعة وحسن الخلق، وهذا من باب تطييب نفوس الأحياء، ونوع من العزاء.

ولدى العودة لشعر ابن منير الذي وصل إلينا نلاحظ أنه خلا من هذا الصنف من الشعر. فلم أعثر سوى على بيتين من الشعر رثى فيهما نفسه، يؤكد فيهما على حتمية الموت، وأن الله قد جعل لكل أجل كتاباً، ثم يطلب ممن يزور قبره أن يترحم عليه، وأن يدعو الله له بالرحمة، والمغفرة، يقول:

مَنْ زَارَ قَبْرِي فَلْيَكُن مُوقِناً ... أَنَّ الذِي أَلْقَاهُ يَلْقَاهُ
فَيَرْحَمِ اللَّهُ امْرَءً زَارَنِي ... وَقَالَ لِي يَرْحَمُكَ اللَّهُ[٣]

ثم عثرت على قصيدة في التعزية قالها ابن منير معزيا بوفاة سيف الدين غازي بن زنكي، صاحب الموصل أخي نور الدين الأكبر، في أواخر سنة ٥٤٤هـ وأظن أن هذا اللون فقد مع ما فقد من شعره. ومهما يكن فإنني قد أستطيع أن أتلمس من هذه القصيدة طريقة ابن منير في الرثاء، وأسلوبه في تناول هذا الصنف من الشعر، رغم أن الأبيات لا تزيد عن ثلاثة وعشرين بيتاً، فالقصيدة عزاء موجه للملك بل لبطل، هو ممدوح الشاعر، فلا بدّ إذاً للشاعر من أن يمزج المديح بالتعزية. إذ لا يكاد شاعرنا يترك حدثاً أو مناسبة إلا ويتخذ منها مجالاً للإشادة بنور الدين، ويمجد البطولة فيه، أضف إلى ذلك أن المرثي بطل فقد أذاق الفرنج ويلات الهزيمة في أكثر من موقع. قال عنه أبو شامة: «كان من أحسن الناس صورة... وكان كريماً

(١) انظر كتاب مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥، ص٣٣٢.

(٢) انظر العمدة: ج٢/٨٠٥.

(٣) الديوان: ص١٢١. البيت الثاني محطم الوزن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجاعاً ذا عزم وحزم».[١]

وأرى أن ابن منير قد قسم القصيدة إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول:

خصصه لمدح نور الدين زنكي، وتمجيد البطولة فيه. فينعته بعدة صفات: فهو الأسد الهُمام الذي هابته الفرنج، وهو صانع البطولة والأمجاد، وهو الذي بسط على الأمة جناح العدل، وأظلهم ظل الرأفة، فقرت أعينهم به، وكان كالبدر في الليلة الظلماء وهو الذي أحيا الأمل والرجاء في جسد الأمة التي كانت دونه رمماً لا حراك فيها، يقول:

خَنَسَ الثَّعالِبُ حينَ زَمجَرَ مُصْحِرَ ... مَلأَ البِلادَ هُمَاهِماً وَزَئِيراً
أَسَدٌ إِذَا مَا عَادَ مِنْ ظَفرٍ بِمِفْـ ... ـتَرسٍ أَحَدّ لِمِثْلِهِ أَظْفُورَا
يَتَنَاذَرُ الأَعْدَاءُ مِنْهُ سَطْوَةً ... مَلءَ الزَّمَانِ تَغَيُّظاً وَزَفِيرَا
شَوَى كُلَ مَا جَنَتِ الحَادِثَا ... تُ مَا كُنْتَ ظِلاً عَلَينَا قَرِيرَا
أَسَأْنَ وأَحْسَنَ كُنْ الهِلالِ ... ومَلأَنْنَا مِنْكَ بَدْراً مُنِيرَا
حَيَاتُكَ أَحْيَتْ رَمِيمَ الرَّجَاءِ ... وأَمْطَتْ مِنَ الجُودِ ظُهْراً ظَهِيراً[٢]

وفي **القسم الثاني** من القصيدة ذكر مناقب المرثي، التي هي في نظر الشاعر مستوحاة من صفات ومناقب نور الدين، فالمرثي شجاع، وبطل مغوار، وهو جواد كريم، يقاسم نور الدين في الأمجاد والانتصارات. بل يصفه بأنه نظير نور الدين، حتى إن الزمان غار على نور الدين أن يكون له نظير، فجاء الأجل المقدر، لينفذ أمر الله في ألا يكون لنور الدين نظير يقاسمه البطولة والمجد. يقول:

وَمَا أَغْمَدَ الدَّهْرُ ذَاكَ الحُسَا ... مَ مَا سَلَّ حَدَّاكَ عَضْباً بَتَّارَا
قَسِيمُ عُلاكَ ونِعْمَ القَسِيـ ... ـمُ أَخٌ شَافَ نَزْراً وأَعْطَى كَثِيراً
وكَانَ نَظِيرَكَ غَارَ الزَّمَا ... نُ مِنْ أَنْ يَرَى لَكَ فِيهِ نَظِيرَا[٣]

---

(١) الروضتين ج١ق١/١٦٨.

(٢) الديوان: ص٢١٨، ٢١٩.

(٣) نفسه: ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي **القسم الثالث** يصور مشاعره، ومشاعر الأمة الإسلامية بفقد هذا البطل، بل بفقد أي رجل من آل زنكي، ويدعو الله أن يبارك في ذريتهم ثم يرفع من شأن آل زنكي ليجعل قبورهم في السماء لا في الأرض. يقول:

وَأَصْغِرْ بِفُقْدَانِنَا الذَّاهِبِينَ ... مَا عِشْتَ نَأتِيكَ ملكًا كَبِيرَا
فَدَتْكَ نُفُوسٌ بِكَ اسْتَوْطَنَتْ ... مِنَ الأَمنِ نُوراً وَقَدْ كُنَّ بُوَرَا
بَقِيتَ مُعَزّاً مِنَ الهَالِكِينَ ... تُوَقَّي الرَّدَى وتُوَفَّي الأُجُورَا
وَما نَقَصَ الدَّهْرُ أَعْدَادَكُمْ ... إِذَا رَشَفَ قَطْراً وأَبْقَى بُحُورَا
لَوْ أَنْصَفَ المَجْدُ مَوْتَاكُمَ ... لَخَطَّ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ القُبُورَا[1]

---

(١) الديوان: ص٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنون شعرية ثانوية

هناك من الفنون الشعرية التي طرقها ابن منير ما لم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير، الذي لا يحتمل أن نفرد لكل منها عنواناً مستقلاً. فبعضها جاء عرضا بين ثنايا الأغراض الأخرى، وبعضها لا يُعدو أكثر من مقطعات وأبيات متناثرة هنا هناك، لا تشكل في مجموعها فناً قائماً بذاته وهذه الفنون هي الشكوى والعتاب والحكمة والفخر والإخوانيات والتهنئة.

وسأعرض لكل منها بما يناسب حجم ورودها في الديوان.

الشكوى والعتاب:

تُعد الشكوى تعبيرا ذاتيا عن آلام حاقت بالشاعر، من فعل امريء أو عدو أو دهر، لذلك فقد صار الشعر متنفس المحرومين يعبرون به عن مشاعرهم المكبوتة، وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ظهور هذا اللون في شعر ابن منير منها:

كثرة أعدائه وحساده، ونبذهم له، فخامره شعور بأنه إنسان غير مرغوب فيه، وهذا ما صرح به بقوله:

أَصْبَحْتُ تَلْفِظُنِي البِلَادُ كَأَنَّنِي ... لَفْظُ البَلِيدِ أَكُنْ لَفْظاً مُشْكِلا[1]

ولعل سلاطة لسانه، جعلت كثيرا من الناس ينفرون منه، ويناصبونه العداء. فعاش شاعرنا في معزل عن أهل طبقته مما سبب له آلاما وأحزاناً كثيرة كانت ينبوعا لأشعار الشكوى والعتاب عنده. ولدى قراءة ما وصل إلينا من شعر ابن منير نلاحظ ضآلة هذا اللون في شعره، وقلته، فقد نظم شاعرنا مقطوعات قصيرة في الشكوى أبياتا متناثرة هنا وهناك فمن ذلك: أنه يثور ويغضب من كيد الأصدقاء، ومرارة معاملتهم، بعد أن تنكروا لعهد صداقته، حتى أنه أصبح يتمنى صديقاً واحدا يرعى الود والصفاء، ولو كان ذلك يُشترى بأغلى الأثمان وأنفسها، ولكن الزمان أبى أن يجود بصديق وفيّ، ثم يتمنى لو عدم الدهر الذي ولد فيه. يقول:

عَدِمْتَ دَهْراً وَلِدْتَ فِيهِ ... كَمْ أَشْرَبَ المُرَّ مِنْ بَنِيهِ

(١) الديوان: ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَا تَعْتَرِينِي الهُمُوم إلاَّ ... مِنْ صَاحِبٍ كُنْتُ أَصْطَفِيهِ
فَهَلْ صَدِيقٌ يُبَاعُ حَتَّى ... بِمُهْجَتِي كُنْتُ أَشْتَرِيهِ
يَكُونُ فِي قَلْبِهِ مِثَالُ ... يُشْبِهُ مَا صَاغَ لِي بِفِيهِ
وَكَمْ صَدِيقٍ رَغِبْتُ عَنْهُ ... قَدْ عِشْتُ حَتَّى رَغِبْتُ فِيهِ[1]

وشكا ابن منير الزمان القلب، والدهر الغشوم، وكرّ الليالي التي لا ترحم، فصور الدهر والناس بأنهم متفقون على عدائه، ومضايقته، ويتساءل متى سيغلب الفريقين وحده؟. يقول:

أَنَا حِزْبٌ والدَّهْرُ والنَّاسُ حِزْبٌ ... فَمَتَى أَغْلِبُ الفَرِيقَيْنِ وَحْدِي[2]

وشكا ابن منير حسد قومه له. يقول:

وَا رَحْمَتِي لِلحَاسِدِينَ فَإِنَّهُمْ ... قَرَعُوا إِلَى الآمَالِ بَاباً مُقْفَلاَ[3]

ومن قصيدة أخرى زاخرة بالعتاب، والشكوى، كتبها ابن منير إلى رئيس حلب عفيف الدين المستوفي وهو في المرض بحماة، واتصل به أنه نعي بحلب، ودخلت الحشرية داره، وأثبتوا ما فيها، وختموا عليها، فطالبوا أقواماً بودائع. فكتب إليه ابن منير بما حصل، ويشكو ما خلّ بداره وماله. والقصيدة طويلة، تضمنت هجاء ومدحاً وشكوى. فقد شكى حساده وأعداءه، وذكر خيانتهم، وغدرهم به، في الوقت الذي كان يحسن فيه إليهم. كما يؤكد أن الدافع الذي حدا بهم لمثل هذا العمل هو الحسد، والشماتة ويختم بالدعاء عليهم، كما دعا نوح «عليه السلام» على قومه فكان مصيرهم الطوفان. يقول:

يَا عَفِيفَ الدِّينِ الَّذِي يَدُهُ صَرْ ... فٌ بِهِ أَسْتَكِفُّ صِرْفَ الزَّمَانِ
أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ دَايَاً أَدَانِي الـ ... ـعُتْبَ فِيمَا مَضَى عَلَى عُمْرَانِ
عَنْ عُتَاةٍ تَخَوَّنُوا بِالأَذَى دَا ... رِي عُتُوّاً وَأَزْعَجُوا جِيرَانِي

(١) الديوان: ص١٢٧.
(٢) نفسه: ص٨٢.
(٣) نفسه: ص١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حَرَمُونِي وَكُنْتَ أَشْكُرُهُمْ مُطْـ ـهِرَ عِرقٍ مِنِّي وطِيبَ لُبَانِ
حَسَدُونِي وأَيْنَ مِنْ شَعَفَ السَّـ ـمَّ بُطُونَ الوِهَادِ والغِيطَانِ
وَتَعانَي النَّاعي فَسَنُّوا مُدَاهُمْ وبَدَا مَا أَسَرَّ مِنْ شَنَآنِ
يَا لَهَا مِنْ عِلَّةٍ أَطَارَتْ بِحِسًّا دِي أَنِّي بُعِثْتُ نَوحَ الثَّانِي
ضَمِنَتْ لِي بَقَاءَهُ ثُمَّ زَادَتْ غَرَقَ الشَّامِتِينَ فِي طُوفَانِي[1]

وموجز القول أن أبيات ابن منير في الشكوى والعتاب زاخرة بالتحرق والأسى والصبر على الهوان، كما امتازت بتعبير صادق ولوعة ظاهرة وعاطفة تبرق من خلال الأبيات، وقد اتسم هذا اللون من شعر ابن منير بالقصر، كما صدرت الشكوى مصحوبة بالفخر والإخلاص في القول.

الحكمة:

الحكمة من الفنون الشعرية التي لازمت الشعر والشعراء منذ القدم، فكانت بواعثها عند الشعراء، الخبرة والتجربة، إلى أن جاء الإسلام فتأثر الشعراء بقيم هذا الدين ومبادئه المستوحاة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة.

ولدى استعراض ما وصل إلينا من شعر ابن منير، لا نجد لهذا الفن سوى مجموعة أبيات تعد من روائع شعره في الحكميات، ضمنها قصيدة له، قالها في أثناء إقامته في شيزر عند بني منقذ، ودعا فيها إلى الارتحال في طلب الغنى والمجد، وعدم الرضا بالعيش الحقير في مكان مهين، كما دعا إلى عدم البقاء طويلاً على أمر واحد من الرزق، فلا بدّ من أن يطرق الإنسان أبواباً عدة للرزق، ولا بدّ من ترك الوطن، ومفارقة الأهل لمن يريد ألا يظل مضيقاً عليه في رزقه، ثم يدعو إلى هجر الناس الذين يكنون لك البغضاء. يقول:

وإِذَا الكَرِيمُ رَأَى الخُمُولَ نَزِيلَهُ فِي مَنزِلٍ فَالحَزْمُ أَنْ يَترحلاَ
كَالبدرِ لَمَّا أَنْ تَضَاءَلَ جَدَّ فِي طَلَبِ الكَمالِ فَحازَهُ مُتَنقِلاَ
سَفَهاً لِحِلمِكَ إِنْ رَضِيتَ بِمَشْرَبٍ رَنْقٍ ورِزْقُ اللَّهِ قَدْ مَلأَ المَلا

(١) الديوان: ص١٥٢-١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سَاهَمْتَ عِيسَك مرَّ عَيْشَك قَاعِداً ... أَفلا فَليتَ بِهِنَّ نَاصِيَةَ الفَلا
فَارِقْ تَرُقْ كَالسيفِ سُلَّ فبَانَ فِي ... مَتنَيْهِ مَا أَخْفَى القِرابُ وأَخْمَلا
لَا تَحسبَنَّ ذَهَابَ نَفسِكَ مِيتَةً ... مَا المَوتُ إلاَ أَنْ تَعِيشَ مُذَلَّلا
لِلْفَقْرِ لَا لِلفَقْرِ هَبهَا إِنَّمَا ... مَغْنَاكَ مَا أَغْنَاكَ أَنْ تَتَوَسَّلا
لَا تَرْضَ مِنْ دُنيَاكَ مَا أَدْنَاكَ مِنْ ... دَنَسٍ وكُنْ طَيفاً جَلاَ ثُمَّ انْجَلا
وَصِلِ الهَجِيرَ بِهَجْرِ قَومٍ كُلَّمَا ... أَمطرتَهُمْ عَسَلاً جَنَوْا لَكَ حَنظَلا[1]

حملت الأبيات في طياتها خبرة وتجربة لدى الشاعر تَفصح عن ثقافة واسعة وعلم ودراية بالحياة، دلّ على ذلك طبيعة الصور التي شكلها الشاعر لتعبر عن مراده من كل بيت. فقد ساهمت الأبيات في بناء الصورة الكلية للأبيات المتمثلة في رسم معالم العيش الكريم، والحياة الفضلى في نظر الشاعر.

الفَخر:

كان الفخر غرضاً ثانويا في شعر ابن منير. هذا ما نلمسه من استعراض ما وصل إلينا من شعره. فقد عثرت على أبيات متناثرة، جاءت تصور فخر ابن منير بنفسه وبشعره وشاعريته. ومما جاء في مجال الفخر بالنفس أبيات ضمنها قصيدته التي أنشدها في شيزر عند بني منقذ، وفيها يقول عن نفسه: إنه صاحب همة عالية ورأي ثاقب وفكر نيّر، وعزيمة ماضية، كحد السيف، وحزم من غير تردد، وشجاعة لا يعيقها مصاعب أو أخطار ومقدرة فائقة على تحمل نوائب الدهر. يقول:

أَنَا مَنْ إِذَا مَا الدَّهرُ هَمَّ بِخَفضِهِ ... سَامتْه هِمَّتُهُ السِّمَاكَ الأَعْزَلا
وَاعٍ خِطَابَ الخَطْبِ وَهُوَ مُجَمْجِمٌ ... رَاعٍ أَكَلَّ العِيسِ مِنْ عَدَمِ الكَلا
لَا أَسْتَكِينُ لِحَادثٍ فَإِذَا طَغَى ... غَامَرْتُ فِيهِ مُشَمِّرًا إِنْ ذَبَّلا
زَعَمُ كَمُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ وَرَاءَهُ ... عَزْمٌ كَحَدِّ السَّيفِ صَادَفَ مِقْتَلا
مُتَنَطِّسٌ رَكَضَ الأُمُورِ أَوَابِياً ... شُمَّسَاً فَرَاضَ صِعَابَهُنَّ وَذَلَّلا

---

(١) الديوان: ص١٠٢، ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سَلْ بِي فَكَمْ بَؤسٍ أَغَرَّ مُحَلَّجٍ أَقْبلتُهُ بَأساً أَغَرَّ مُحَجَّلاً[١]

وأما عن الفخر بشعره، فقد أشاد الشاعر بشعره، وشاعريته فوصف نفسه بأنه شاعر وَفِيٌّ لأهله وقومه،حليم بقابل الإساءة بالإحسان، عَزَّ أن يوجد شاعر في الورى مثله -كما يقول-. ثم نعت نفسه بشيخ الشعراء، وشتان بين شعره وشعر غيره، فمثلا شعر ابن الحجاج[٢] أقل جودة منه. ثم يصل قمة النشوة والفخر بالشاعرية عندما يقول: هنيئا لمن ضمنت اسمه ديواني مدحا كان ذلك أو هجاء. يقول:

فَمَتَى أَبْصَرَ الورَى شَاعِراً قَبـ لِي تَولَّى شُكراً عَلى الحِرمَانِ
أَينَ مِنّي بَني القَناطِرِ والحَا نَاتِ إنْ أَطْلقتْ غُرُوبَ بَنَانِ
أَنَا شَيْخٌ إذَا تَوَصَّت قَوافِيـ ـه أَطارَتْ عَنافِقَ الشُّبَّانِ
جَلَبَ ابنُ الحَجَّاجِ تَمراً وشِعري مِنْهُ فَوحُ التُّفَاحِ مِنْ لُبنَانِ
فَهنيئاً لِمَنْ هَجَوْتُ ومَنْ أمـ ـدَحُ إنْ ضَمَّنَ اسمَهُ دِيوَانِي[٣]

التهنئة:

يتنازع هذا النوع من الشعر غرضان آخران هما: شعر الجهاد وشعر المديح، فشعر التهنئة مرتبط بالأغراض والمناسبات المهمة التي تمر بالأمة الإسلامية بعامة، من فتح حصن، أو استرداد أرض، أو انتصارات في ساحات الوغى، والخليفة أو الأمير أو الحاكم بخاصة. مثل: التهنئة بالخلع، والتهنئة بمولود، أو ختان، أو التهنئة بالعافية من مرض.

وسأضرب صفحا عن الحديث في الصنف الأول لأنني كنت قد أشرت إليه في

---

(١) الديوان: ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) ابن الحجاج: هو عبدالله بن الحجاج بن محصن بن جندب بن نصر «يصل نسبه إلى مضر، يكنى أبا الأقرع كان شاعرا ماجنا فاتكا، صعلوكا من صعاليك العرب أدرك عبدالملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. انظر ترجمته كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ مصور عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، دار إحياء التراث العربي، ج١٣/١٥٨-١٧٤.

(٣) -الديوان: ص١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعر الجهاد وشعر المديح، وسأتناول الصنف الثاني، المتعلق بالمناسبات الخاصة بالأمير أو الملك. فمن ذلك: التهنئة بالعافية من مرض، فقد قال ابن منير قصيدة في عماد الدين زنكي يهنئه بالعافية من مرض عرض له في يده ورجله سنة ٥٤٠هـ. فيبتديء بالمديح والثناء على عماد الدين زنكي، فهو البدر التمام، وهو ماء الحياة، وهو الذي أحيا العدل في دنيا البشر بعد أن نعاه الناس، ثم بين أن ملوك العرب جميعهم بحاجة إليه، فهو الذي حمى بلادهم، وثبت الأمن والاستقرار في أرجائها، بعد أن عجزوا عن ذلك لأنهم متناحرون، بدد الخلاف أوصالهم. ثم يشير إلى المرض الذي ألمّ بعماد الدين، وقد شبهه بالصدأ الذي يصيب ظاهر نصل السيف، ولكن تحت هذا النصل حسام حاد، لامع، ثم يذكر شيئا من انتصارات عماد الدين، وما فعله بحملة الصليب. ثم يختم بالدعاء لعماد الدين بأن يظل قويا معافى، وأن يجنبه الله نوائب الدهر. يقول:

يَا بَدرُ لَا أَفَلَ وَلَا مَحَاقْ ... وَلَا يَرِم مَشْرِقَكَ الإِشْرَاقْ
بِالدِّين والدُّنيَا الذِّي يَشْكو وَهَلْ ... يَهْتَزُّ فَرعٌ لَمْ يُقِمْهُ سَاقْ
لَنْ تُورِقَ القُضْبُ ويَجْرِي مَاؤُهَا ... إلاَّ إِذَا التَأَثَتِ الأَعْرَاقْ
يَا مُحيِيَ العَدلِ الَّذي فِي ظِلِّهِ ... تَسربلَتْ زِينتَهَا الآفَاقْ
مُلوكُ أَطرافٍ حِمَى أَطْرُفَهَا ... عَزْمُكَ هَذا اللَّاحقُ السَّبَّاقْ
شَقْشَقْتَ مِنْ دُونِهِمْ مَوجَ الرَّدَى ... وشَقَّ أَكبادَهُمُ الشِّقَاقْ
لَئِنْ أَلَمَّ أَلَمَّ بِقَدمٍ ... خَدَّ السُّهَا لِنَعلِهَا طِرَاق
أَو كَانَ مَدَّ يَدَه إِلَى يَدٍ ... تَجرِي بِهَا الآجَالُ والأَرْزَاقْ
فَالنَّصلُ يَعلَى صَدءاً وَتحتَهُ ... حَدَّ حُسَام وسَنَاً رَقَّاقْ
لا سَلَبَتْ مِنْكَ اللَّيالِي مَا كَسَتْ ... وَلَا عَرَتْ جِدَّتَكَ الإِخْلَاقْ[1]

وفي قصيدة مماثلة يهنئ نور الدين بالعافية من مرض، فيبدأ بالمديح، وذكر مناقبه ثم يعرض للمرض ويصور المرض بصدأ أصاب متن السيف إلا أن حده حاد ماض بتار، ثم يفضله على ملوك الأرض جميعا. ويختم بالدعاء له بالسلامة

(١) الديوان: ص٢٠١-٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعافية ليرعى الإسلام وأهله. يقول:

يا شمسُ لا كسفٌ ولا تكدارُ ... ولا خلتْ من نورك الأنوارُ
البدرُ منقوصٌ وأنتَ كاملٌ ... لكَ السَّرايا ولهُ السِّرارُ
برؤكَ للإسلامِ من أدوائه ... برءٌ. وفي أعدائه بوارُ
ما أنتَ إلاَّ السيفُ صدَّ صدأ ... عن متنه مضربه البتارُ
خيرُ مُلوكِ الأرضِ جدّاً وأبا ... إنْ هز عطفي ماجد نجار
سلمتَ للإسلامِ ترعى سرحه ... إذا ونى رُعاتُه وجاروا[1]

ومن موضوعات شعر التهنئة، وصول الخلع من الخليفة، فقد قال ابن منير قصيدة يهنئ فيها نور الدين بوصول الخلع إليه من الخليفة العباسي المقتفي بأمر الله سنة ٥٤٦هـ.

ويبدأ القصيدة بالمدح والثناء على نور الدين، ويدعو لملكه أن يظل أبد الدهر ثم يصفه بصاحب همة وعزيمة عالية لا تُضاهى. ثم يذكر الخلع وكسوة الخليفة، وما ترمي إليه من ثقة الخليفة والأمة بأسرها، وأن نور الدين كالهلال الذي يبدد ظلمة الليل بنوره القوي. ثم يعبر عن شعوره وشعور قومه بالفرحة العارمة، بسبب الخلع. يقول:

لعلاكَ التأييدُ والتأميلُ ... ولملكِكَ التأبيدُ والتكميلُ
أبدا تهمّ وتقتفي فتنالَ ما ... عزَّ الورى إدراكُه وتنيلُ
وكساكَ من رأي الخليفةِ جُبَّةً ... لا النقصُ يوهيها ولا التقليلُ
وبرزتَ في لبسِ الخلافةِ كالهلا ... لِ جلاهُ في حُللِ الدُّجا التهليلُ
خِلَعٌ خلعنَ على القلوبِ مسرَّةً ... سدكاتُها التعظيمُ والتبجيلُ[2]

ومن موضوعات هذا اللون الشعري، التهنئة بمولود، فقد ولد لنور الدين ولد بحمص سنة ٥٤٧هـ سماه أحمد. فكتب ابن منير قصيدة، وهنأه به، وذكر المولود،

(١) الديوان: ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) نفسه: ص٢٣٨، ٢٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأضفى عليه من صفات المدح، والثناء المقتبسة من أبيه، ويشبهه بأبيه، ويبين أن مكانة المولود من مكانة أبيه. يقول:

وجِئْتَ بأحمدَ فملأتَ حمدا ... مَوارِدَ كان معدنها عذابا
تهلّلَ وجْهَ مُلكِكَ يومَ أهدَتْ ... قوابلُه لكَ الملكَ اللّبابا
شَبيهُكَ لا يُغادِرُ مِنكَ شيئاً ... سَناً، وحَيا، وبَذْلاً، واستِلابا
قسيمَ الحمدِ إلاّ أنّ حرفاً ... مِن اسمِكَ زادَ للمعنى مَنابا[1]

ومما تقدم يمكن القول بأن ابن منير استطاع أن يعبر عن عواطفه تجاه آل زنكي، ونلاحظ أن المديح في هذا اللون من الشعر أحد مقوماته، وأركانه الأساسية ولا يوجد فارق بين هذا الفن، وفن المديح من حيث المنهج الشعري. فتمجيد صاحب المناسبة ومدحه، ثم ذكر المناسبة، والدعاء لصاحبها بدوام ملكه، تكاد تكون سمة بارزة لهذا اللون الشعري.

الإخوانيات:

شاع هذا اللون من الفنون الشعرية بين الشعراء، فكثيرا ما كانت المراسلات الشعرية تجري بين الشعراء في قضايا خاصة تنم عن سرورهم، وتعبر عن علاقاتهم وصلاتهم مع بعضهم.

ولدى استقراء هذا اللون من الشعر في كتب الأدب، نلاحظ أنه جرت العادة بأن يقوم المرسل الأول بتحديد الوزن والقافية والروي. وغالبا ما تكون القصيدة قطعة صغيرة تابعة لسجية أحد الطرفين.

ومن موضوعات هذا الغرض الشعري عند شاعرنا: طلب كتاب، أو الرد على رسالة صديق أو عتاب. فأما طلب الكتاب، فقد كتب ابن منير إلى القاضي أبي الفضل هبة الله، يلتمس منه كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» للقاضي علي ابن عبدالعزيز الجرجاني وكان قد وعده به، ودافعه. وجاء في كتاب ابن منير، مدح وثناء على القاضي أبي الفضل، وأتبع المديح بعتاب خفيف الظل فيه حث للحصول

(١) الديوان: ص. ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الكتاب يقول:

يَا حَائِزاً غَايَ كُل فَضْـلٍ ... تَضِلُّ فِي كُنْهِهِ الإِحَاطَـةْ
وَمَـنْ تَرَقَّـى إِلَـى مَحَـلٍ ... أَحكَمَ فَوقَ السِّمَاكِ مَنَاطَـهْ
إِلَى مَتَى أَسْعَطُ التَّمَنِّي ... وَلاَ تَرَى المَنَّ بالوَسَاطَةْ[1]

ومن الرد على رسالة صديق أن «معين الدين أنر» أرسل رسولا إلى ابن منير وهو مقيم في شيزر يطلب منه العودة إلى دمشق، وكان رسول معين الدين وهو «زين الدين بن حكيم»[2] صديقا لابن منير، فذهب زين الدين إلى شيزر ولقى ابن منير وكتب إليه كتابا يستنهضه بالرجوع إلى دمشق، ويستدعيه، ويذكر له مصلحته فيه، فكتب إليه ابن منير كتابا أملاه على زين الدين بن نجا الدمشقي. فلم يقتصر الكتاب على الشعر فحسب بل ضمنه نثرا.[3]

ومما جاء في الكتاب من الشعر، أنه مدح صديقه زين الدين بن حكيم، وأثنى عليه. يقول:

وَرَدَ الكِتَابُ فَدَاهُ أَسْوَدُ نَاظِرٍ ... عَكَفَتْ ذَخَائِرُهُ عَلَيهِ تُبَـدَّدُ
لَيْلٌ مِنَ الأَلْفَاظِ يَشْرُقُ تَحتَـهُ ... فَلَقُ المَعَانِي فَهوَ أَبْيَضُ أَسْوَدُ
يَفْتَرُّ عَنْ دُرَرٍ تَكَادُ عُقُودُهَا ... مِن لِينِ أَعطَافٍ تَحَلُّ وتَعقِدُ[4]

ومما ورد في الكتاب نثرا، يعتذر فيه ابن منير عن العودة إلى دمشق بسبب كثرة الأعداء والحساد، ويطلب من صديقه زين الدين، أن يبلغ «معين الدين أُنر» أنه موافق على العودة إن ضمن له السلامة، والكتاب طويل جرت الإشارة إليه في الصفحات السابقة.

قال ابن منير:

---

(١) الديوان: ص١٣٨، ١٣٩.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) أورد العماد الكاتب نص الكتاب. انظر الخريدة ج١ق١/ ٩١-٩٤.

(٤) الديوان: ص٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«فإن ضمنت لي السلامة من اغتيال عدو دون خدمة المولى، شَمَّرت إلى خدمته وذَيَّلت، وحططت بفنائه، وقيّلت فما غيري بلبس قميص الدّعة مني أحرى. والسلام»[١].

ومن موضوعات هذا اللون من الشعر، العتاب. فمن ذلك القصيدة «التترية» التي يعاتب فيها ابن منير نقيب الأشراف السيد المرتضى الموسوي نقيب الأشراف بالعراق. بعد أن أرسل إليه ابن منير بهدية مع مملوكه تتر، فظن الشريف أن المملوك من ضمن الهدية، وطال انتظار ابن منير لمملوكه، فأرسل له أبياتا يعاتبه في إمساك المملوك عنده، ويطلب منه أن يعيده إليه. يقول:

وَقَصيدَةٍ كَخَريدَةٍ ... غَيداءَ تَرفُلُ فِي الحِبَرْ
حَبَّرْتُهَا فَغَدَتْ كَزَهـ ... ـرِ الرَّوضِ بَاكَرَه المَطَرْ
وإلَى الشَّرِيفِ بَعَثْتُهَا ... لَمَّا قَرَاهَا فَانْبَهَرْ
رَدَّ الغُلامَ وَمَا استَمَـ ... ـرَّ عَلَى الجُحودِ وَلاَ أَصَرّ[٢].

وقد كان بين ابن منير وبين عدد من شعراء عصره مساجلات، ومكاتبات، ومراسلات، مثل الشاعر ابن قسيم الحموي، وأبي الحكم المغربي الشاعر، وملك النحاة. جرت الإشارة إليهما في صفحات سابقة.

---

(١) الخريدة: ج١ق١/٩١-٩٤.

(٢) الديوان: ص١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

التقويم الفني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التَجرِبَة الشَعرِيّة

يقصد بالتجربة الشعرية «الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور، تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه[١]، وهي أن يقوم الشاعر بنقل تجاربه التي عاشها، وأن يعبر فيها عما تحس به نفسه ذاتيا وجماعياً[٢]، لذا فالشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي، سواء أكانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو، أم عن موقف إنساني عام تمثله.[٣] فالشاعر كغيره من الناس يمر بتجارب كثيرة، يعبر عن أحاسيسه ومشاعره إزاءها، فيعكس ما يحس به نفسيا، وفكريا، أو ينقل ذلك الإحساس إلى القارئ.[٤]

وهنالك فرق بين التجربة الشعورية التي تخص الناس، والتجربة الشعرية التي تخص الشعراء، والأدباء. قال سيد قطب -رحمه الله-: «التجربة الشعورية في العالم الشعوري مرحلة تسبق في نفس صاحبها، ثم يليها التعبير عنها في صورة لفظية. أما في العالم الأدبي، فلا وجود لهذه التجربة قبل أن يعبر عنها في هذه الصورة اللفظية. وإنها لتبقى مضمرة في النفس ملكا خاصا لصاحبها، فلا تعد عملا أدبيا له وجود خارجي إلا حين تأخذ صورتها اللفظية، أو حين يدركها الآخرون»،[٥] فالفرق بين التجربة الشعرية لدى الشعراء، وبين التجربة العادية لدى الناس، أن التجربة الشعرية لا يشترط فيها أن يكون الشاعر قد عاينها وعاناها

---

(١) النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص٣٨٣.

(٢) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية. د. عبدالجليل عبدالمهدي، دار البشير ١٩٨٩، ص٢٢٥.

(٣) النقد الأدبي الحديث، ٣٨٤.

(٤) انظر: الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري، ٣٤٧.

(٥) النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب. دار العربية للطباعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٦٦، ص٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنفسه، بل يكتفى منه أن يكون قد لاحظها، وعرف بفكره عناصرها وآمن بها».[١]

وقد عاش ابن منير كغيره من شعراء عصره خلال احتلال العدو الصليبي لأجزاء من ديار الإسلام، وفي مقدمتها بيت المقدس، كما عاش أحداث التحرير، والانتصارات التي حققها «عماد الدين زنكي»، وابنه «نور الدين زنكي»، ولا يعني هذا أنه عاش الأحداث واقعا، فقد كان بعيدا عن مسرح الأحداث في جزء منها، ولم يشاهدها، ولكن هذا لا يعني أنه لم يحس بها ولم يعشها.

وثمة فرق ثان بين التجربة الشعرية والتجربة العادية لدى العديد من النقاد[٢]، فالتجربة الشعرية لا يطالب فيها الشاعر بالصدق الواقعي، ووصف دقائقه، إنما يطالب بصدق الشعور بالحياة، وصدق التأثر بالمشاعر -أي بما يعرف- بالصدق الفني المتمثل في مقدرة الشاعر على الصناعة والصياغة، يستثنى من ذلك الشعر الذي قيل في التعبير عن الدعوة إلى الجهاد، والوحدة في سبيل التحرير، فقد عاش الشاعر تجربة حقيقية واقعية، تتمثل في رؤية أجزاء من العالم الإسلامي، محتلا من قبل الصليبيين، فأحس الشاعر بذلك إحساسا قويا، عبر عنه بشعره الذي بين فيه أن الجهاد هو طريق الخلاص، والسبيل لتحرير البلاد، وقد ساهم شاعرنا بهذا الصنف من الشعر.

وثمة فرق ثالث بين التجربة الشعرية، والتجربة العادية يتمثل في أن التجربة العادية يمكن التعبير عنها في صورة مختلفة دون أن تنقص دلالتها أو تزيد، لأن وظيفة التعبير فيها، نقل المعنى المجرد، أما التجربة الشعرية، فكل تغيير في الألفاظ، أو نظامها، أو في تنسيق العبارات، وترتيبها، أو حتى في طريقة تناول الموضوع يؤثر على صورتها التي ينقلها التعبير إلى الآخرين، ويؤثر تبعا لذلك في

---

(١) انظر: النقد الأدبي الحديث ص٣٨٤.

(٢) انظر: نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ تحقيق كمال مصطفى الطبعة الثالثة، ١٩٧٨م، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٠، كتاب الصناعتين: ص١٣٦، ١٣٧، النقد الأدبي، سيد قطب، ص٣٠، النقد الأدبي الحديث حديث ص٢٢٣، ٢٢٤، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية، ٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبيعة الأثر الذي تتركه في مشاعرهم[١].

والتجربة الشعرية لدى ابن منير زاخرة بصور ذات ألوان متعددة، غلبت عليها السوداوية في المرحلة الأولى من حياته المتسمة بالقلق، المليئة بالأخطار والأهوال، المفعمة بالأحداث الجسام، فقد عبر شاعرنا عن مشاعره وأحاسيسه بكل صدق، وكان واقعيا في تصوير حاله، بعد أن غدا طريدا منبوذا بسبب سلاطة لسانه، وهجائه المقذع.

ولا بأس من الاستشهاد لتوضيح ذلك، يقول:

أَصْبَحتُ تَلْفِظُني البِلادُ كَأَنَّني ... لَفْظَ البَليدِ أَكُنّ لَفظاً مُشْكِلاَ[٢]

ومن تجربته مع الزمان وأهله، وما لاقاه من ضنك الحياة، ومرارة العيش، أفضى الشاعر بإحساساته ومشاعره صادقا، فيقول:

عَدِمْتُ دَهْراً وَلِدْتُ فِيهِ ... كَمْ أَشْرب المُرَّ مِن بَنِيهِ[٣]

كما عبر ابن منير عن إحساسه وإحساس الناس إزاء الانتصارات التي حققها عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي على الصليبيين، فجاء تعبيره صادقا، مطابقا للواقع في رسم صورة السعادة والسرور عقب كل فتح، ويُعيد كل انتصار، وتحققت الآمال التي كانت تراود نفوس المسلمين. والشواهد الشعرية على ذلك كثيرة. وقد اجتزأت أبياتا متفرقة من الديوان يصور كل جزء منها لسان حال المسلمين حيال نور الدين زنكي، ويصف مشاعرهم، فأكدوا الولاء والانتماء، لملك كرس ملكه ومملكته لخدمة دين الله، وطرد الصليبيين من ديارنا، يقول:

عَقَلَ الحَقَّ أَلسُنَ المُدَّعِينَا ... أَنْتَ خَيرُالمُلوكِ دُنيا ودِينا

وَأَسَدَّ الأَنامِ قَولاً وَأَفْعَا ... لاً ونَفْساً، ونِيَّةً ويَقِينَا[٤]

* * *

(١) انظر: النقد الأدبي وأصوله ومناهجه: ص٣٢.

(٢) الديوان: ص١٠٦.

(٣) نفسه: ص١٢٧.

(٤) نفسه: ص١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَا مَنْ إِذَا عَصَفَتْ زَعازِعُ بَأسِه خَمَدَتْ جَحِيمُ الشِّركِ فَهيَ رَمَادُ
مَلِكٌ يُقَيِّدُ خَوفُهُ وَرَجَاؤُهُ وَلَقَلَّمَا تَتَضَافَرُ الأَضْدَادُ[1]

* * *

لَا نُؤَدِّي لأَنْعُمِ اللَّهِ شُكْراً بِكَ يَا أَعظَمَ البَرِيَّةِ قَدْرا[2]

وقد كان شاعرنا صادقا في تصوير موقفه من بعض الحكام المتخاذلين عن الجهاد، الذين مدوا يد الخيانة ليصافحوا الغزاة من الفرنج، فعرّض بهم، وحثّ على قتالهم وهو في هذا لا يُعبر عن إحساسه ومشاعره وحسب، بل يعبر عن مواقف المسلمين من أولئك الحكام، كما كان صادقا في تصوير مشاعره وإحساساته إزاء فقدان بطل من أبطال المسلمين، سيف الدين غازي بن زنكي، صاحب الموصل أخي نور الدين الأكبر، سنة ٥٤٤هـ، فكان صادقا في تصويره ذاك صدقا واقعيا، وصدقا فنيا.

وصور قوة الجيش المسلم، وعظمته وهو ينتقل من نصر إلى نصر، كما ألمس صدقه وهو يصور الأعداء والمصير الذي آلوا إليه، بعد أن مُنوا بحاكم مسلم مثل: عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين وهم لا قِبل لهم به، فجاء تصويره للمشاهد مطابقا للواقع إلى حد ملموس، وجاء التعبير موافقا لمقتضى الحال.

وخلاصة القول أن التجربة الشعرية لدى ابن منير ذات ميسم واقعي، وصدق فني، وجاءت صورها في مستوى الحدث، وكان شاعرنا أمينا في تجربته، إذ عبر عن مشاعر الأمة وأحاسيسها بكل أمانة وصدق.

بناء القصيدة:

يقصد ببناء القصيدة: أجزاؤها الرئيسة التي تنظمها، وهي ما يعبرون عنه بالابتداء والتخلص، والخواتيم، ثم مايتصل بذلك من حديث عن وحدة البناء، ووحدة القصيدة. وقد درج الشعراء منذ الجاهلية على التمهيد لقصائدهم ببكاء الأطلال وذكر المرأة، وما يتعلق بها، وقد علل ذلك بعض النقاد، فقال: «إن الوقوف على

(١) الديوان: ص٢٦٣.

(٢) نفسه: ص٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطلل، إنما لذكر أهلها الظاعنين، والغزل لاستمالة القلوب، واستدعاء إصغاء الأسماع»[١]، وظل الأمر كذلك حتى جاء عصر صدر الإسلام، فأسقط شعر الفتح الإسلامي هذه المقدمات، لأن طبيعة موضوع الجهاد، تختلف عن كل الموضوعات الأخرى.[٢]

ثم تبع الشعراء ما ورثوه عن أسلافهم فيما يخص شكل القصيدة ونهجها، حتى ظهر شعراء الجهاد في زمن الحروب الصليبية، فتارة يثبتون المقدمات وتارة يسقطونها.

ولعل أهم مقومات بناء القصيدة تتمثل في مقدمتها ومطلعها واستهلالها وموضوعها، وخاتمتها.[٣]

واهتم النقاد بمطالع القصائد، فقال ابن رشيق: «الشعر قفل أوله مفتاحه»[٤] وهو أول ما ينظم من القصيد، وقد ركز القدماء عليه كثيرا، وكانوا يعدونه أحسن شيء في صناعة الشعر، ويظهر ذلك من خلال حديث أبي هلال العسكري: «المطلع أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده، المتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغرة»[٥] لذلك، وجب أن يكون المطلع مناسبا ومتمشيا مع موضوع القصيدة، وفق القاعدة البلاغية «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[٦] ويرى ابن الأثير أن يحسن الشاعر اختيار المطلع لأنه أول ما يطرق السمع من الكلام.[٧]

والمقياس العام للمطالع عند النقاد أن يكون المطلع جيدا من حيث الأسلوب

---

(١) انظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري. د. منصور عبدالرحمن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٦٦.

(٢) انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ج١/، العمدة ج١/٣٩٧-٣٩٩.

(٣) انظر بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية: ٢٣٥.

(٤) العمدة ج١/٣٨٩.

(٥) كتاب الصناعتين الكتابة والنثر: أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري ت ٣٩٥هـ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤٣٥.

(٦) انظر: بناء القصيدة العربية د. يوسف بكار، دار الثقافة القاهرة ١٩٧٩. الصفحات ٢٦٧-٢٦٩.

(٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، ت ٦٣٧هـ، تحقيق د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانه، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ج٣/٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعنى، ويندرج تحت جودة الأسلوب أن يكون فخما جزلا، حلوا، سهلا، وأن يكون واضحا، بعيدا عن التعقيد، وأن يكون مجردا من الألفاظ التي تدل على الضعف والتكلان كابتدائهم بـ «ألا» و «خليلي» و «قد».[١]

ومن جودة المعنى مراعاة السامع والموضوع، وتحكيم الذوق في ذلك، فلا يكون فيها ما قد يتشاءم أو يتطير منه، أو يكون في عباراتها ما قد يثير في ذهن السامع مالا يريد الشاعر أن يتجه إليه الذهن[٢]. فلا بد من الانسجام بين المطلع وموضوع القصيدة، وهذا ما نتلمسه عند ابن منير، فمن ذلك ما قاله في «عماد الدين زنكي» مهنئا بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ.

بِعمادِ الدِّين أَضحَتْ عُروةُ الد ... ينِ مَعصوبَاً بِها الفَتْحُ المُبين[٣]

وما قاله في «نور الدين زنكي» بُعيد وقعة «بصرى»[٤] سنة ٥٤٢هـ:

مَلِكٌ مَا أَذَلَّ بالفَتْحِ أَرْضَاً ... قَطُّ إلاَّ أَعَزَّهَا إِغْلاقُه[٥]

ومن أمثلة المطالع التي تنسجم وموضوع القصيدة، قول ابن منير في قصيدة يمدح فيها نور الدين، ويذكر ظفره «بالبرنس» صاحب أنطاكية سنة ٥٤٤هـ، فقد استهل المطلع بالمقابلة بين حال الصليب وأهله، وحال المسلمين، ولما كان موضوع القصيدة انتصارا عسكريا، فقد بدأ بمطلع يوحي بالشدة والفخامة. يقول:

أَقْوَى الضَّلالُ وأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُهُ ... وعَلا الهُدَى وتَبَلْجَتْ قَسَمَاتُهُ[٦]

وأما في حالة السلم والمصالحة، بعيدا عن المعارك وما يصاحبها من قوة

---

(١) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه / الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، ت ٤٥٦هـ، تحقيق د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢/٣٨٩.

(٢) انظر: اتجاهات النقد الأدبي ٢٦٨.

(٣) الديوان: ١٩٩.

(٤) بصرى: من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران. انظر معجم البلدان مادة «بصر».

(٥) الديوان: ص٢٠٤.

(٦) نفسه: ص٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعنف، فإن المطلع يوحي بالهدوء والاستقرار، وعذوبة الألفاظ وخلوها من الغرابة والتعقيد. فمن ذلك أن ابن منير مدح نورالدين زنكي بعد مصالحة صاحب حماة[١] يقول:

غَدَا الدِّينَ باسْمِكَ سَامِي العَلَمْ أَمِينَ العِمادِ مَكِينَ القَدَمْ[٢]

وفي غزلياته، تميزت المطالع بعذوبة الألفاظ، وجرس العبارة، وحسن التأليف ووضوح المعنى، خالياً من الغرابة والتعقيد، حاملا صورا تجتذب السامع، وتثير فيه الانفعال الذي يريده الشاعر. يقول:

عَاتَبْتُهُ فَاسْتَطَالَا وَصَدَّ عَنِّي دَلَالَا[٣]

* * *

أَحْلَى الهَوَى مَا تَحِلُّهُ التُّهَمَ بَاحَ بِهِ العَاشِقُونَ أَو كَتَمُوا[٤]

* * *

عَذَّبْتَ طَرْفِي بِالسَّهَرْ وَأَذَبْتَ قَلْبِي بِالْفِكَرْ[٥]

وقد لجأ الشاعر إلى بعض الأساليب الإنشائية، والتقريرية، والخطابية في مطالعه لإثارة انتباه المتلقي واهتمامه، وتهيئته لاستماع القول. وسأتعرض لذلك عند الحديث عن اللغة والأسلوب.

ومما تقدم نلاحظ أن الانسجام بين المطالع وغرض القصيدة جليٌ واضح عند ابن منير، زد على ذلك امتياز المطالع بالجودة والبراعة والوضوح، والصدق في التعبير.

---

(١) هو صلاح الدين محمد بن أيوب الياغيساني أحد أصحاب زنكي. صاحب حماة. قال صاحب الروضتين وصلاح الدين هذا ليس هو يوسف بن أيوب المشهور، فإن ذلك لم يكن حينئذ ملكا يقود الجيوش. انظر الروضتين ج١ق١/٢٣٧.

(٢) الديوان: ص٢٥٨.

(٣) نفسه: ص٨٧.

(٤) نفسه: ص٩٥.

(٥) نفسه: ص١٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد استقراء للقصائد التي نظمها ابن منير مما وصل إلينا من شعره، التي بلغت قرابة سبعين قصيدة، تبين لدي أنه تحرر في معظمها من المقدمات التقليدية بخاصة القصائد الحماسية المرتبطة بأحداث الصراع ارتباطا مباشرا، ولعل ذلك عائد إلى أن الوقوف على الطلل، وذكر المرأة، لا يتناسبان مع الجو العام في ظل الحرب، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير بقوله: «إذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث، كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك، فإنه ينبغي ألا يبدأ بالغزل، لأن هذا يدل على ضعف قريحة الشاعر، وقصوره عن الغاية، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه، ولأن الأسماع تكون منطلقة إلى ما يقال في تلك الحوادث...»[١]، لذا، فقد كان ابن منير يهجم على الغرض مباشرة، ويدخل في جو القصيدة، وجوهرها مع أول بيت، والأمثلة في شعر ابن منير كثيرة لا مجال لاستقصائها وحصرها، وأورد منها ما قاله في مدح نور الدين بعد وقعة «الجولان»[٢] وغيرها في شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٦هـ:

مَا بَرقَتْ بَيْضُكَ فِي غَمَامِهَا ... إلاَّ وغَيْثُ الدِّينِ لابْتِسَامِهَا
محَمُودُ المحْمُودُ جَدّاً وَجِدَا ... أَرْخَصَ جِلدِ الأَرضِ حكمَ عَامِهَا
مَلِكٌ أَزَالَ الرُّومَ عَنْ صُلبَانِهَا ... ودِفَاعُهُ وَكْبٌ مِن أَصْنَامِهَا
جَالَ عَلى «الجَولانِ» أمس جَولَةً ... صَفَّرَت الأَدْحِي[٣] مِن نَعَامِهَا[٤]

ومثال آخر: قال ابن منير يمدح نور الدين، ويهنئه بالعود من غزاة «حارم»[٥] سنة ٥٤٣هـ.

مَا فَوقَ شَأْوِكَ فِي العُلاَ مَزْدَادُ ... فَعَلامِ يُقلِقُ عَزمَكَ الإجْهَادُ

---

(١) المثل السائر ج٣/٩٧.

(٢) الجولان: جبل من نواحي دمشق. انظر معجم البلدان مادة «جولان».

(٣) الأدحي: المكان الذي يأوي إليه النعام ويبيت. انظر اللسان مادة «دحا».

(٤) الديوان: ص٢٣٤.

(٥) حصن حارم: حصن وكورة تجاه انطاكية، صارت أيام ياقوت من أعمال حلب، وفيها أشجار ومياه كثيرة. انظر معجم البلدان مادة «حارم».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هِمَمٌ ضَربنَ عَلى السَّماءِ سَرادِقاً فَالشَّهبَ أطنابٌ لَهـا وعِمادُ
أَنتَ الذي خَطَبَتْ لَهُ حَسَّادُهُ والفَضْلُ ما اعتَرَفَتْ بِهِ الحُسَّادُ[١]

وأما ما تبقى من شعره الذي نظمه في الغزل والوصف وفي جزء من المديح، فقد أبقى فيه على المقدمات التقليدية، ولا يصل في مجموعه إلى أكثر من خمس قصائد، جاءت المقدمات فيها بسيطة، واضحة ملونة ببعض الصور في سرعة، وخفّة دون تعقيد أو بعد في الخيال، كما جاءت مترابطة مع أجزاء القصيدة، متينة. أما عن ألفاظها فجاءت مستعذبة، قوية جزلة، تتناسب مع غرض القصيدة.

* * *

وأما عن التخلص أو «الخروج»[١]: فالتخلص عند النقاد يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه، وقدرته وطول باعه[٢] ويقصدون به الانتقال من مقدمة القصيدة إلى الغرض الأصلي الذي قيلت من أجله. وقد دعا النقاد في معرض حديثهم عن التخلص إلى أن يكون الكلام «بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع... كأنما أفرغ إفراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه».[٣]

وأشير إلى أن ابن منير لم يكن محتاجا إلى التخلص في قصائده الحماسية، لأنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بموضوع القصيدة وجوها العام، فجاءت المطالع عنده معبرة عن موضوع القصيدة، ومتوافقة معها.

وما تبقى من شعره الذي اشتمل على مقدمات تقليدية، جاء حسن التخلص عنده علامة على حذقه وقوة تصرفه، فمن حسن التخلص عنده، قصيدته في مدح

---

(١) انظر: سر الفصاحة، عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، ت٤٦٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالأولى، ١٩٨٢، ص٢٦٨.

(٢) انظر: بناء القصيدة العربية: ٢٩١.

(٣) المثل السائر ج٣/١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوزير «أثير الدين بهاء الملك، فخر المعالي بن صدقة»[١] يقول في مطلعها:

أَهَتوفُ أَيْكٍ فِي سَرارِ الوَادِي هَلْ كُنْتَ مِنْ بَيْنٍ عَلى مِيعَادِ[٢]

فبعد مقدمة غزلية استوعبت اثني عشر بيتا، صور فيها الشاعر رقة محبوبه وشغفه به وحرقته ووجده، يتخلص الشاعر من ذلك تخلصا لطيفا في بيت واحد، وهو المستحب عند النقاد، قال أسامة بن منقذ: «ويستحب أن يكون الخروج والتشبيب في بيت واحد، وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين»[٣] وقد جاء الخروج على النحو التالي:

أَمَعَاهِدَ الأَحْبَابِ هَلْ عَهْدُ الهَوَى عَادٍ بِقَصْرِ يَدِ الزَّمَانِ العَادِي
كَعُقودِ مَجْدِ أَبِي الرَّجاءِ تَبَسَّمَتْ عَنْهَا رِيَاضُ قَصائِدِ القُصَّادِ[٤]

ومن قصيدة أخرى يمدح بها تاج الملوك «بوري بن طغتكين» حاكم دمشق ومطلعها:

حَيِّ الدِّيارَ عَلَى عَلياءِ «جَيْرُونِ» مهوى الهوى ومغاني الخرد العين[٥]

بعد مقدمة في وصف متنزهات دمشق، وذكر المنازل، يصور دمشق فتاةً جميلة يتغزل بها، وتخلص الشاعر إلى المدح في شطر بيت تخلصا سهلا، اختلسه اختلاسا لم يشعر المتلقي بالانتقال لشدة الممازجة والالتئام، والانسجام. يقول:

أَبْدَتْ دِمشقُ رَبِيعاً جَلَّ صَانِعُهُ يأتِيكَ فِي كُلِّ حِينٍ غَيرَ مَكْنُونِ
سُودُ الذَّوائِبِ فِي حُمْرِ الخُدُودِ عَلَى بِيضِ المَبَاسِمِ فِي خُضْرِ الجَفَانِينِ
آيَاتُ حُسْنٍ غَنِيَّاتٍ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الأَدِلَّةِ فِيهَا وَالبَرَاهِينِ

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الديوان: ص١٣٥.

(٣) البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ تحقيق د. أحمد بدوي ود حامد عبدالمجيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦٠، ص٢٨٨.

(٤) الديوان: ص١٣٥، ١٣٦.

(٥) نفسه: ص١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كَأَنَّ أَلطَافَهـا تَجلّـو لأَعيُنِنـا آثارَ أَلطَاف فَخرِ الدِّين بالدِّين
عَرِيقَ مَجْدٍ يَرى سَاسَانَ مَنْصِبهُ مِنَ الموارِنِ فِيهـا والعَرانِـين[١]

هذا جل ما أمكننا التوصل إليه من شعر ابن منير في المديح، قبل أن يلحق شاعرنا بممدوحَيْه عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، الذي قصر شعره على مدحهما.

* * *

وفيما يتعلق بالخاتمة، فقد عدها النقاد قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى في الأسماع فسبيله أن يكون محكما لا يُمكن الزيادة عليه، «وإذا كان أول الشعر مفتاحا له، وجب أن يكون آخره قفلا عليه»[٢]، ويجب أن يكون «ما وقع فيها من الكلام أحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يتحرز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفرد للنفس عما قصدت إمالتها إليه... وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام، وخاتمته، فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس، ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو».[٣]

وقد رأى النقاد أن يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه، سارا في المديح والتهنئة، وحزينا في الرثاء والتعازي، وأن يكون اللفظ والتأليف جزلا، وأن يكون أجود الاختتام أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر، وأن يتضمن حكمة أو مثلا سائرا، وأن يتضمن معنى تاما يؤذن بالنهاية.[٤]

ولدى العودة لشعر ابن منير، نجد كثيرا من النهايات والخواتيم يحقق ما ذهب إليه النقاد فمن ذلك قوله في ختام قصيدة عزى بها نور الدين زنكي بوفاة شقيقه

---

(١) الديوان: ص١٧٥، ١٧٦.

(٢) العمدة ج١/٤٨٥.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني ت ٦٨٤هـ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦، ص٢٨٥.

(٤) انظر: منهاج البلغاء ص٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكبر سيف الدين غازي صاحب الموصل سنة ٥٤٤هـ. يقول:

وَلَوْ أَنْصَفَ المَجْدُ مَوْتَاكُمُ ... لَخَطَّ لَهُمْ فِي السَّمَاءِ قُبُورَا
حَيَاتَكَ أَحْيَتْ رَمِيمَ الرَّجَاءِ ... وَأَمْطَتْ مِنَ الجُودِ ظُهْراً ظَهِيرَا[1]

فهذه الخاتمة متعلقة بالجو العام للأبيات وهي مناسبة لغرض الشاعر، ولعل البيت الأخير اشتمل على عذوبة اللفظ وجزالته، كما جاء معبرا عن عواطف الشاعر وإحساساته وملخصا لما قصده الشاعر فيما سبق من الأبيات.

وقد يلجأ الشاعر إلى الدعاء للممدوح في الخاتمة ليساعد على تحقيق أهدافه، والوصول إلى غاياته[2]. وهذا ما عرض له ابن منير في غير موضع، فمن ذلك قوله في ختام قصيدة مدح بها عماد الدين زنكي، وهنأه بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ، يقول:

أَبْقَاكَ لِلدِينِ وَالدُّنيَا تَحوطهُمَا ... مَنْ لَمْ يُتَوِّجْكَ هَذَا التَّاجَ إلاَّ هُوَ[3]

ومن قصيدة أخرى يهنئ عماد الدين بالعافية من مرض عرض له في يده ورجله سنة ٥٤٠هـ فختم ببيت امتاز بسهولة التركيب، ووضوح المعنى، وتناسبه مع جو القصيدة وغرضها. يقول:

لاَ سَلبَتْ مِنْكَ اللَّيالِي مَا كَسَتْ ... وَلاَ عَرَتْ جِدَّتَكَ الإِخْلاَقُ[4]

وقليل من الخواتيم جاء مستكرها مغايرا لما تعارفه النقاد في الخاتمة إذ لم يوفق ابن مُنير فيها، حيث تتوقف الأبيات والنفس متطلعة إلى ما يقال، وترجو المزيد، كما أشار إلى ذلك ابن رشيق بقوله: «من العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بهامتعلقة، وفيها راغبة مشتهية، ويبقى الكلام مبتورا لأنه لم يتعمد جعله خاتمة»[5] فمن ذلك قصيدته التي يمدح فيها وزير الموصل«جمال الدين أبا جعفر

---

(١) الديوان: ص٢١٩.

(٢) انظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري. ٢٨١.

(٣) الديوان: ص١٩٧.

(٤) نفسه: ص٢٠٣.

(٥) العمدة ج١/٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن علي بن أبي المنصور»[١]، التي مطلعها:

كَسَا الحَرَمَيْنِ لبسَةَ عَبد شَمسٍ وهَاشِم غُرَّتَيْ نَسْلِ الخَليلِ

فبعد أن بدأ قصيدته بالهجوم على الموضوع مباشرة دون تقديم، أخذ يعدد مناقب ممدوحه ويذكر صفاته الحميدة، ومآثره الباقية حتى وصل إلى آخر القصيدة على النحو التالي:

مَآثِرُ بَاقِياتٌ يَومَ يَجني الـ ـمَقَالُ وَيُجْتَنَى طِيبَ المَقِيلِ
وَكَمْ لِلموصلِ الحَدبَاءِ مِمَّا تَنيلُ يَدَاهُ مِن رَيفٍ وَنيلِ
بَرودَ الصَّفحِ مُلتَهِبِ الحَواشِي مَهيبَ البَطْشِ فَرَّاسَ الدَّخُولِ[٢]

ومن الملاحظ أن الأبيات تعدد صفات الممدوح، وهي استمرار لسياق الأبيات التي قبلها، ولا يشعر المتلقي بنهاية، وإنما توقفت عند البيت الأخير والنفس بها متعلقة.

ومن النهايات الجميلة عند ابن منير، تلك التي تأتي متدرجة، حيث يهيئ الشاعر المتلقي لاستقبال خاتمة القصيدة، فتأتي تلك الخاتمة نهاية طبيعية، والأمثلة على ذلك وفيرة، منها قصيدته «التترية» التي تعددت موضوعاتها لتخدم هدفا وغرضا واحدا، هو الطلب من الشريف المرتضى إعادة المملوك «تتر» للشاعر، فبعد أن يقف الشاعر في محطات متعددة من غزل وهجاء، وشعر مذهبي، يسترسل في النظم حتى يصل إلى مئة بيت ونيف «١٠٤» أبيات، أخذ الشاعر يهيئ ذهن المتلقي بتوقع نهاية القصيدة فاستدرجه متأنيا. يقول:

وَأَقُولُ فِي يَومٍ تَحَا رَ لَهُ البَصِيرةُ والبَصرُ
والصُّحفَ يُنشَرُ حِلُّهَا والنَّارُ تَرْمِي بالشَّرَرْ
هَذا الشَّرِيفُ أَضَلَّنِي بَعْدَ الهِدايةِ والنَّظَرْ
مَالِي مُضِلٌّ فِي الوَرَى إلاَّ الشَّرِيفُ أَبُو مُضَرْ
فَيقَالُ خُذْ بِيدِ الشَّرِيـ ـفِ فَمستقرٌ كما سَقَرْ

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الديوان: ص٢٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَوَّاحَةٌ تَسطُو فَمَا تُبقِي عَلَيهِ ولاَ تَذَرُ[١]

ثم يشعر القارئ أن القصيدة أخذت تتجه نحو النهاية ابتداء من البيت الثالث والتسعين حيث يقول:

فَاخشَ الإلهَ بِسوءِ فِعـ ـلِكَ واحذَرَنْ كُلَّ الحَذَرْ
وَاللَّـهُ يَغْفِرُ للمُسِـي ـءِ إِذَا تَنصَّـل واعتَـذَرْ

ثم يقول:

وإِلَى الشَّرِيفِ بَعَثْتُهَا لَمَّا قَرَاهَـا فَانْبَهَـرْ
رَدَّ الغُلاَمَ وَمَا استَمَـ ـرَّ عَلَى الجُحودِ ولاَ أَصَرّ
وأَثَابَنِـي وجَزِيتُـهُ شُكراً وقَـالَ: لَقَـد صَبَـرْ
وَظفرتَ مِنـهُ بالمُنَى والصبرُ عُقْبَـاهُ الظَّفَـرْ[٢]

فالأبيات كلها تعود إلى البيت الأخير، وتؤدي إليه، لذا يشعر المتلقي عند سماعه البيت الأخير أن القصيدة قد انتهت.

ومن الأمثلة أيضا قول ابن منير في ختام قصيدة مدح بها نور الدين وهو محاصر دمشق سنة ٥٤٦هـ يحرضه على قتال صاحبها «مجير الدين» بسبب موالاته للفرنج. يقول:

دِمشقُ دمشقٌ إنَّمَا القُدسَ سَرحَةٌ وَمركزُهَا صَرحٌ عَلَيهَا مُمَرَّدُ
مَتى أَنا رَاءٍ طَائِرَ الفَتحِ صَادِحاً يُرفرِفُ فِي أَرْجَائِهَا وَيُغَرِّدُ؟[٣]

نلاحظ أن الخاتمة جاءت متعلقة بالجو العام للأبيات، ومناسبة لغرض القصيدة، فالشاعر يبين أهمية دمشق وفتحها وتحريرها، فهي بمنزلة الطريق لفتح القدس ويتطلع بشوق لذلك اليوم الذي يرى فيه طائر الفتح يرفرف في أرجاء القدس.

ومن النهايات الحسنة، والخواتيم المنسجمة مع غرض القصيدة الملائمة لجو

---

(١) الديوان: ص١٦٨.

(٢) نفسه: ص١٦٩.

(٣) نفسه: ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصيدة، قول ابن منير في مدح نور الدين والتغني ببطولاته، وما فتح الله على يديه من حصون ومواقع، يذكر عددا منها ثم يختم بقوله:

وَصَبَّحَ في «عزاز»[١] بِها عَزازٌ ... فَأمسى وَهو وَعثٌ[٢] أَو خَبارٌ[٣]
يَشُقُّ بِها دُجَى الغَمراتِ عَسفًا[٤] ... جَوادٌ لاَ يُشَقُّ لَهُ غُبارٌ[٥]

ومن الموافقة والانسجام بين الخاتمة والقصيدة، أن جو القصيدة مفعم بالمدح والإطراء، وذكر المناقب التي تفرد بها عن غيره من الملوك، فجاء المقطع أو الخاتمة، يؤكد هذه المعاني، ويتضمن مثلا «جواد لا يشق له غبار» وفي ذلك تهيئة لذهن المتلقي لاستقبال نهاية القصيدة.

* * *

واهتم النقاد بالوحدة في العمل الأدبي اهتماما تمثل في الحديث عن الابتداءات والمطالع، والتخلص والخاتمة. وقد قامت القصيدة العربية على وحدة البيت، هذا ما عبر عنه ابن رشيق، إذ يرى أن البيت في القصيدة ينبغي أن يكون وحدة مستقلة بمعناها، فإذا احتاج البيت في فهم معناه إلى ما بعده، كان ذلك عيبا من عيوب الشعر. يقول: «وأنا أستحسن كل بيت قائما بنفسه، لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي يقصر إلا في مواضع معروفة مثل: الحكايات وما شاكلها».[٦]

وقد اشترط النقاد في بناء القصيدة أن يكون فيها رابط قوي بين أجزائها،

---

(١) عزاز: العزاز الأرض الصلبة، وهي بليدة فيها قلعة، ولها رستاق شمالي حلب. انظر معجم البلدان مادة عزاز.

(٢) الوعث: هو المكان تغيب فيه الأقدام، ويعسر فيه المشي. انظر اللسان مادة وعث.

(٣) الخبار: ما لان من الأرض واسترخى. انظر اللسان مادة خبر.

(٤) عسفا: عسف فلان أخذه بالعنف والقوة. انظر اللسان مادة عسف.

(٥) الديوان: ص٢٥٢.

(٦) العمدة ج٢/٢٦١، ٢٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى تستوي عملا فنيا متكاملا مرتبط العناصر متناسق الأجزاء، فيرى الخفاجي: أن بناء القصيدة لا بد فيه من تلاحم أجزائها. واتصال بعضها ببعض حتى ينشأ عن هذا وحدة القصيدة. ثم يقول: «ومن الصحة صحة النسق والنظم، وهو أن يستمر في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه، حتى يكون متعلقا بالأول، وغير منقطع عنه، ومن هذا الباب، خروج الشعراء من النسيب إلى المديح، فإن المحدثين أجادوا التخلص حتى صار كلامهم في النسيب متعلقا بكلامهم في المدح لا ينقطع عنه».[١]

ومما له صلة بالحديث عن وحدة القصيدة، الحديث عن الوحدة الموضوعية، والوحدة المنطقية، والوحدة العضوية في القصيدة، فأما الوحدة الموضوعية، فهي التي يدور الكلام فيها حول موضوع واحد معين، أيا كان نوعه، إنسانا أم غيره.[٢]

وأما الوحدة المنطقية، فهي التي يكون فيها أجزاء الكلام ملتئما لا تناقض فيه[٣]، ولعل ذلك ما عناه ابن الأثير عندما سمّاه «حسن الترتيب»، وقصد به أن تأتي أبيات الشعر أو ألفاظ النثر متتاليات، متلاحمات، تلاحما سليما.[٤]

وأما عن الوحدة العضوية، فهي التي يكون بين موضوعاتها انسجام في العاطفة المسيطرة، وفي الاتجاه المركزي، نحو حقائق الكون، وتجارب الحياة؛ وقد ذكر الدكتور «يوسف بكار»: أن الشاعر يحقق هذه الوحدة في بنائه لقصيدته بأن يرتب موضوعاتها ترتيبا يقوم على النحو المطرد، بحيث ينشأ أحدها عن سابقه نشوءا عضويا مقنعا، ويقود إلى لاحقه بنفس الطريقة، وبحيث تتكامل أجزاء القصيدة في توضيح عاطفتها المسيطرة، واتجاهها المركزي، حتى إذا قرأنا القصيدة ازددنا دخولا في عاطفتها، وبصرا باتجاهها فتركت علينا في النهاية أثرا فنيا موحدا متكاملا، لم نشعر فيه بخلل أو تناقض أو انتكاس من الشاعر عن اتجاهه

---

(١) سر الفصاحة ٣١٥، انظر الشعر والشعراء، ابن قتيبة ج١/ ٩٠، وعيار الشعر، ابن طباطبا، ١٢٤-١٢٨.

(٢) انظر بناء القصيدة العربية، ٣٦٧.

(٣) نفسه: ٣٦٧.

(٤) انظر المثل السائر ج٣/١٥٣-١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي كان يتخذه».[١]

ولدى تطبيق ذلك على شعر ابن منير، الذي نظمه قبل التحاقه بركب الجهاد مع عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي، نلاحظ أنه أكثر الحديث عن موضوعات متعددة في القصيدة الواحدة، بحيث تصبح القصيدة عنده شتيتا من الموضوعات التي تفسد الربط بين أجزائها، فمن ذلك، قصيدته التي قالها في شيزر بينما كان مقيما عند بني منقذ. ومطلعها:

أَخْلَى فَصَدَّ عَنِ الحَمِيمِ وما اخْتَلَى ورَأى الحِمام يَغُصُّه فَتَوَسَّلا[٢]

وهي من القصائد الطوال، بلغ عدد أبياتها ستة وستين بيتا، وتعددت أغراضها، فقد بدأ الشاعر بأبيات متضمنة شعر الحكمة، تدور حول النصح لسلوك الشخص الكريم على نفسه في الحياة، ثم انتقل إلى الهجاء، فهجا الزمان وأهله، ويصب جام غضبه على المجتمع الذي يصفه بالنفاق ولؤم الطباع، وينتقل إلى الفخر بالنفس، فيعد نفسه صاحب تجربة ورأي، وهمة عالية لا تخور، ويصل إلى الممدوح فيمدحه وذلك بذكر مناقبه وصفاته، ويبث من خلال مديحه شكواه، فيشكو الوشاة، والحاسدين، وما من شك أن كل موضوع في القصيدة نشأ عن سابقه نشوءا عضويا يقود إلى لاحقه.

ومن الأمثلة على الوحدة العضوية أيضاً: القصيدة التي أرسلها رئيس حلب «عفيف الدين المستوفي»[٣] وقد بلغ عدد أبياتها تسعة وتسعين بيتا[٤]، وتعددت موضوعاتها، إذ استهلها بالمديح، مركزا على صفة الوفاء في الممدوح، وإنصاف المظلوم، لأن ذلك هو محور القصيدة وغرضها الرئيسي، ثم يعرج على الشكوى، فيشكو أعداءه وحساده الذين أشاعوا نبأ وفاته، ودخلوا داره، وأثبتوا ما فيها، وختموا عليها، ليكون ذلك مسوغاً له في هجائهم، فيخصص نصف القصيدة أو ما يزيد لهجاءهم، وشتمهم، ولا يتورع عن أن يصفهم بأقذع الصفات، ثم يفخر الشاعر بنفسه

---

(١) بناء القصيدة العربية ٢٧٣.

(٢) الديوان: ص١٠٢.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الديوان: ص١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشاعريته، وتستمر القصيدة في ثلثها الأخير بين مديح وهجاء، وفخر، ويختم بالمديح كما بدأ، فيمجد العدل في الممدوح، ويستنهض شهامته ورجولته في نصرة المظلومين.

ونلاحظ أن القصيدة بالرغم من تشتت موضوعاتها حققت وحدة منطقية، فلا نجد تناقضا بين أجزائها، فكل غرض فرعي في القصيدة قدم للغرض الأصيل بطريقة أو بأخرى، وانساق مع العاطفة المسيطرة على القصيدة، وبذلك، يكون الشاعر قد حقق الوحدة العضوية إلى حد كبير.

وأما عن القصائد الحماسية التي نظمها ابن منير في الجهاد، فقد جاءت موضوعاتها متناسقة، مترابطة في سياقها، منتظمة في معانيها، متصلة أفكارها، وإن بدا للناظر للوهلة الأولى أن القصيدة ذات محاور متعددة، إلا أن الترابط والانسجام بين محاورها لا يدعان مجالا للشك في وحدة القصيدة. فالحديث عن الفتح هو حديث عن الفاتح في الوقت نفسه، وبصورة أدق، الحديث عن صورة البطل، وصورة العدو، وصورة المعركة في القصيدة الواحدة، يصب في معين الغرض العام، ويحقق الوحدة الموضوعية، كما تتحقق الوحدة المنطقية القائمة على التئام أجزاء الكلام، وعدم تناقضه، وفي الوقت نفسه، فهو حقق الوحدة العضوية بسبب انسجام العاطفة المسيطرة في الاتجاه المركزي لكل محور من محاور القصيدة لتجتمع معا في بناء العاطفة الكلية للقصيدة.

* * *

ومن العناوين التي طرقها النقاد ضمن بناء القصيدة، المطولات، والمقطعات الشعرية، وأما عن المطولات عند ابن منير، فثمة ملحوظة تظهر لقارئ شعر ابن منير، ويمكن أن تعد سمة من سمات شعره، هي الإطالة، فقد كان ابن منير ذا نفس شعري طويل، ولعل مرد ذلك إعجابه بممدوحيه عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، ثم تأتي أهمية الحدث الذي يدفع الشاعر إلى أن يطيل في شعره وكذلك قدرة الشاعر، وتملكه لناصية اللغة والبيان.[١]

وقد عدّ بعض النقاد القصائد الطويلة أكثر أثرا في نفوس سامعيها، ومنهم

(١) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن رشيق الذي يقول: «المطولات أكثر إثارة في النفوس، والمطبل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن جاد»[١]. وقد أكثر ابن منير مدائح نور الدين وأطال فيها، قال عنه أبو شامة المقدسي: «وقصائد ابن منير من مدائح نور الدين كثيرة ونفسه فيها طويل».[٢] فقد كانت الفتوحات، والانتصارات التي حققها عماد الدين وابنه نور الدين جديرة بأن يقف ابن منير عندها وقفة طويلة، وأن يخلد ذكرها شعرا.

ولا غرو أن يطيل ابن منير في الحديث عن الفتح وآثاره، والفاتح والمعركة والعدو، وما آل إليه من مصير، وتتراوح القصائد الحماسية التي قالها ابن منير في الجهاد بين عشرين بيتا وستين بيتا، وتغلب عليها القصائد التي تزيد على ثلاثين بيتا، وأما ما قاله ابن منير من شعر في الموضوعات الأخرى عدا شعر الجهاد، فقد تراوحت بين خمسة عشر بيتا ومئة وأربعة وعشرين بيتا، ومن أشهر قصائده وأطولها، قصيدته التي يصف فيها القاضي الأعز اللبان وعمامته، تصل إلى مئة وأربعة وعشرين بيتا، ثم تليها القصيدة التترية، وتصل إلى مئة وأربعة أبيات، ثم قصيدته الزائية التي يهجو فيها القاضي الأعز وتصل إلى تسعة وتسعين بيتا، ولعل رغبة الشاعر في استقصاء معاني الهجاء أدت به إلى التطويل.

* * *

والمقطعات الشعرية هي التي تدور حول حادثة واحدة،وموضوع واحد. قيل بعضها ارتجالا، وقد تستوعب عشرة أبيات، تقل قليلا أو تكثر قليلا، ولم تقتصر على موضوع بعينه، فقد قيلت في موضوعات عامة منها المديح والوصف، والرثاء والهجاء وغيرها، وهي أشبه بالخاطرة في سرعتها، وإيجازها، وإثارتها، وبالرفقة الشعورية الحارة، وهي ومضات سريعة تحمل سرعة الانفعال، وسرعة العرض وتتميز بالسهولة والوضوح.

---

(١) العمدة ج١/١٦٣. انظر منهاج البلغاء ٢٨٨.

(٢) كتاب الروضتين ج١ق١/٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن نفرق بين القصيدة والمقطوعة، فالأولى أطول من الثانية، لذا، قد يتراوح الإنفعال فيها بين القوة والضمور، في حين أن المقطوعة تنبثق عن انفعال شديد، يصاغ في أبيات قليلة، فلا تخدمها الذبذبة الشعرية التي قد تخدمها في القصيدة الطويلة[١]. وإخال أن كثرة المقطوعات الشعرية لدى الشاعر دليل على قصر النفس الشعري لديه[٢]، وقد تنوعت المقطعات الشعرية حسب نوع الانفعال المضمن فيها وقد تطرق ابن منير في مقطوعاته إلى الموضوعات العامة، من غزل ووصف وهجاء وعتاب وشكوى.

ومن الغزل قوله:

أَلِفَ الصُّدودَ وحِينَ أَسرفَ أَسعَفا ... فَازْوَرَّ عَتبًا ثُمَّ زارَ تَعَطُّفَا
لَبِسَ الدُّجَى في لَيْلَةٍ هُوَ بَدْرُهَا ... والبَدْرُ أشهَرُ مَا يَكونُ إذَا اخْتَفَى
طَلَعَ الهِلالُ وَقَدْ بَدا مُتَلثِّمًا ... حتّى إذَا حَسَرَ اللِّثَامَ تنصَّفَا
يَا طَرفَهُ مَالِي أَرَاكَ خلقتَ لِي ... دَاءً فَهَلاَّ كُنتَ لِي مِنْهُ شِفَا
وَاهِي مَنَاطَ الخَصْرِ سُنَّةُ عَيْنِهِ ... تُقْتَصُّ فِي قَتْلِ النُّفُوسِ وَتُقْتَفِى
يَبدُو فَتَقْرَأُ فِي صَحِيفَةِ خَدِّهِ ... مِن مُشْتَقِ أَقْلامِ المَلاَحَةِ أَحْرُفَا
ذُو وَجْنَةٍ نُقِشَتْ بِنُقْطَةِ خَالِهِ ... ونَبَاتُ عَارِضِهِ فَخِيلَتْ مُصْحَفَا[٣]

والقارئ لهذه المقطوعة يلاحظ أنها نفثة شعرية تتوقد وجدا.

ومن المقطوعات ما كان في العتاب والشكوى،[٤] وقد جاءت مليئة بالحرقة والألم والتحسر على صديق مخلص، فقد عبر الشاعر بلفظ موجز ملتهب يشعر القارئ بأنها تنبعث من نفس حزينة.

---

(١) انظر: صورة الصليبيين في الأدب العربي، عبدالقادر شريف عبدالله. رسالة ماجستير، إشراف الدكتور محمود ابراهيم ١٩٧٨، الجامعة الأردنية، ص٤١٩.

(٢) انظر: ابو فراس الحمداني، حياته وشعره، ٣٦١.

(٣) الديوان: ص٩١.

(٤) انظر المقطوعة ٣٤ صفحة ١٢٧ من الديوان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المقطوعات ما جاء هجاء ساخرا، لاذعا، هجا فيه ابن منير بخيلا، فأفرط في تصوير رغيفه بالصغر[١]، والقارئ للأبيات يحس بمقدرة الشاعر وبراعته في رسم صورة البخيل المثقلة بالتهكم والاستهزاء المقصودين من الشاعر، ومن المقطوعات ما جاء استعراضا للمقدرة اللغوية، والبراعة في تصوير حدث بسيط في قالب شعري جزل، أقرب للألغاز منه إلى الإفصاح. يقول ابن منير:

وَصَاحِبٍ لاَ أَمَلُّ الدَّهْرَ صُحْبَتَهُ ... يَشقَى لِنفعِي وأَجنِي ضُرَّه بِيَدِي
أَدْنَى إلى القَلْبِ مِن سَمعِي ومِن بَصَرِي ... ومِن تِلادِي ومِن مَالِي ومِن وَلَدِي
أَخْلُو بِبَثِّي مِن خَالٍ بِوَجْنَتِهِ ... مِدَادُهُ زَايِدُ التَّقْصِيرِ لِلْمَدَدِ
لَمْ أَلْقَهُ مُذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدا ... لِنَاظِرَي افْتَرَقَنا فِرقَةَ الأَبَدِ[٢]

فيحس القارئ لهذه الأبيات بعذوبة الألفاظ، وسهولتها ووضوحها، وقرب المعاني وخلوها من التعقيد الذي قد يذهب بحرارة القول، وتلاحق الصور مع قليل من التكلف وتلك هي مزايا المقطعات الشعرية لدى ابن منير.

* * *

(١) جرت الإشارة إليها في صفحات سابقة. انظر الديوان: ص٩٥.

(٢) الديوان: ص٢٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة والأسلوب

هنالك صلة بين الأسلوب وأغراض القصيدة، فلكل فن شعري أسلوب خاص به، ملائم له. فأسلوب المديح يختلف عنه في الهجاء، وأسلوب الفخر والحماسة يختلف عن أسلوب الغزل أو الرثاء، قال الدكتور عبدالجليل: «الفنون الشعرية لا تجري مجرى واحداً في أساليبها، فالألفاظ تقسم على رتب المعاني، ولا يكون أسلوب الفخر، ولا أسلوب المديح مثل أسلوب الوعيد، فيلطف الشاعر إذا تغزل، ويفخم إذا افتخر أو مدح أو وصف الحرب والسلام».(١)

وكما تتباين أساليب الفنون الشعرية تتباين لغتها، فإذا كان الفن الشعري حماسة أو فخرا جاءت لغته جزلة، وإن كان رثاء أو غزلا جاءت لغته رقيقة، هذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: «ينبغي على الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الإيضاح والإشارة بذكر الممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية، وإذا تغزل أن يكون نسيبه حلو الألفاظ وسبغها قريب المعاني سهلها، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى بين الأبيات».(٢)

وفي ذلك يقول ابن الأثير: «الألفاظ تقسم على رتب المعاني وأقدارها، وتأتي مشاكلة لها، متلائمة معها، فالألفاظ الجزلة تستخدم في وصف الحروب، والتهديد وما أشبه ذلك، والألفاظ الجزلة الرقيقة تستخدم في الغزل ووصف الأشواق، والاستعطاف، وما إلى ذلك».(٣)

وبالعودة إلى الموضوعات الشعرية لدى ابن منير التي جرت الإشارة إليها في الفصل الثاني، يمكن القول بأن أسلوب ابن منير في المديح: اتسم بالسهولة والوضوح، ومتانة التركيب، وتناسب الألفاظ مع منزلة الممدوح، وفي الغزل، اتسم بالرقة والعذوبة والسهولة، ووضوح المعاني وفي التهنئة والجهاد، اتسم بالقوة

---

(١) بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية. ص٢٥٤.

(٢) العمدة ج٢/ ٧٧١.

(٣) المثل السائر ج١/ ٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفخامة والجزالة، وفي الرثاء والتعزية، اتسم بالسهولة والوضوح مع رقة الألفاظ وعذوبتها، وفي الهجاء، اتسم بالتهكم والسخرية.

وتتسم قصيدة الجهاد عنده بأنها ذات لغة قوية جزلة، كما تبدو المشاكلة بين الألفاظ والمعاني جليّة أيضا. وقد جرت الإشارة لذلك في الفصل الثاني وقد أجاد ابن منير في اختيار الأساليب التعبيرية التي استخدمها في شعره، ولم يقتصر على أسلوب بعينه، بل تنوعت الأساليب وتعددت تبعا لتعدد الأغراض ويمكن أن نجمل السمات الأسلوبية المستخدمة عند ابن منير ضمن العناوين التالية: الأسلوب الإنشائي، والأسلوب التقريري، والأسلوب الخطابي، وأساليب أخرى.

الأسلوب الإنشائي:

اعتمد ابن منير في بعض مطالع قصائده، على الأساليب الإنشائية، لتنبيه المتلقي وإثارة اهتمامه، وتهيئته لاستماع القول، فمن ذلك أسلوب الاستفهام كما في قوله:

أَتَرىٰ يَثْنِيهِ عَنْ قَسْوَتِهِ ... خَدُّهُ الذَّائِبُ مِن رِقَّتِهِ[1]

* * *

أينَ مني الصَّبرُ عَنْ وَجهكَ أَين ... بَيْنَ قَلبي وسُلّوي عَنْك بَيْن[2]

* * *

وأسلوب التنبيه والنداء يقول:

أَيَا نَوْرَ دِينٍ خَبَا نَوْرُهُ ... وَمَذْ شَاعَ عَدْلُكَ فِيهِ اتَّقَدْ[3]

* * *

يَا بَدْرُ لَا أَفَلْ وَلَا مَحَاقٌ ... وَلَا يَرُمْ مَشْرِقَكَ الإِشْرَاقُ[4]

* * *

---

(١) الديوان: ص٨٦.

(٢) نفسه: ص٨٩.

(٣) نفسه: ص١٨٨.

(٤) نفسه: ص١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَـا غَريبَ الحُسـنِ مَـا أَغْنـاكَ عَـن ظُلـمِ الحَبيـبْ[١]

وأسلوب الدعاء . يقول :

يَارَبِّ خُذْ لِي مِن الوُشَاةِ إذَا قَامُوا وَقُمنَا لَدَيْكَ نَحتكِمُ[٢]

* * *

جَعلَ اللّهُ مَا اسْتَهلَّ مِنَ الأشْـ ـهرِ يَنهلُ فِي مَغَازِيكَ نَصْرَا[٣]

وأسلوب القسم. يقول:

وَأُقسِمُ مَا غَـابَ سَيـفٌ سَقَتْ مَغَارِسَهُ عَينُ هَذي الشَّيـمْ[٤]

* * *

أُقْسِمْ لَو كَلَّفْتَهُم أَنْ يَسمَعُـوا حَديـثَ أَيَامِـكَ مَـا أَطَاقُـوا[٥]

وأسلوب الأمر: يقول:

قِـفْ قَليـلاً لأَسْأَلَـكْ مَنْ مِـنَ الأَفْـقِ أَنزَلَـكْ[٦]

* * *

أَلْقِ العَصَا فِيمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى مِنْهمْ وَدَمِّرْ أَرضَهمْ تَدمِيـرَا[٧]

وأسلوب النهي والنفي يقول:

لَا تَحسَـبَنَّ ذَهَـابَ نَفسِـكَ مِيتَـةً مَا المَوتُ إلَّا أَن تَعِيشَ مُذَلَّلَا[٨]

* * *

لَا مُلْكَ إلاَ مَلِكٌ مَحمـودِ الَّـذِي تَخِذَ الكِتابَ مُظَاهِرا وَوزِيـرَا[٩]

---

(١) الديوان: ص١١٤.

(٢) نفسه: ص٩٦.

(٣) نفسه: ص٢٦٧.

(٤) نفسه: ص٢٥٩.

(٥) نفسه: ص٢٠٢.

(٦) نفسه: ص٩١.

(٧) نفسه: صص٢٤٦.

(٨) نفسه: ص١٠٣.

(٩) نفسه: ص٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغني عن البيان أن التنويع في الأساليب الإنشائية يدل على الانفعال ويكسب الشعر قوة وجزالة وفخامة.

الأسلوب التقريري:

يعمد الشاعر إلى هذا الأسلوب ليؤكد معنى من المعاني، يشكل لدى الشاعر قيمة ذات شأن عظيم، أو محورا يتمركز حوله ليطرح أفكاره ومبادئه، أو لتعزيز مفهوم أو خلق حسن غدا غريبا في واقع الناس، فمن ذلك:

- استخدام كم الخبرية يقول مخاطبا نور الدين:

كَم سِيرةٍ أَحيَيتَها عُمريةٍ رَفَعَتْ لَها فِي الخَافقَينِ مَنارَ[١]

* * *

وَكَم حِمى للشِّركِ لاَ يَهتَدي الـ وَهْمُ لَه غَادَرْتَهُ مُجْزِرا[٢]

ويفيد هذا الأسلوب التكثير والتضخيم، وهو كثير الشيوع في شعره.

- استخدام أسلوب التكرار، ويكون في الألفاظ والمعاني، ولعل شيوع هذا الأسلوب مرده إلى أن الممدوح عند الشاعر ثابت لا يتغير. وهو إما عماد الدين زنكي أو نور الدين زنكي، لذا، نجد أن الحديث عن البطل ومواقفه ومآثره، والحديث عن صورة العدو الصليبي، والإشادة بالفتح والفاتح، لها صور ومعان تتكرر، فمن تكرار الألفاظ:

يَا نُورَ دِينِ اللَّهِ وابنَ عِمادِهِ والكَوْثَرُ ابنُ الكَوثَرِ ابنِ الكَوثرِ[٣]

ومن تكرار الألفاظ أنه كرر لفظة «كأن» خمس مرات في بداية كل بيت كما في قوله:

كَأنَّ مَا اصْفَرَّ والمُحَمَرَّ يَرقُبَهُ فِي مَحفِلِ النَّورِ محزونٌ ومَسرُورُ

كَأنَّ أكْمَامَهُ مِن تَحتِ زَاهِرِهِ فِي الدَّوحِ ضِدانِ: مَهتوكٌ ومَستورُ

(١) الديوان: ص١٩٢.

(٢) نفسه: ص٢٠٧.

(٣) نفسه: ص٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كَأَنَّ نَوَارَهَ والرِّيحُ تَقْذِفُهَ ... في الماء جيشان: مخذول ومنصور
كَأَنَّ أَظْلاَلَه والشَّمْس يَنْسِخُها ... عَنهُ رداءآن: مَطْوِيٌّ ومَنْشُور
كَأَنَّ يانِعَهُ مِنْ بَعدِ مَورِقِه ... فيه حَدِيثَان: مَعْلُولٌ ومَأْثُورٌ[١]

وما من شك في أن جمال هذه الأبيات، وقوة تأثيرها في المتلقي، لا يكمن في التكرار وحسب، بل إن الطباق الذي ختم به كل بيت، يزيد الأبيات بهاء.

- أما تكرار المعاني، فظاهرة بارزة في شعره، وقد تكرر كثير من الصور المتعلقة بالمعركة ولوازمها، من سلاح وجيوش، فمن المعاني المتكررة، وصفه لـ «نور الدين» بأنه منصف عادل، أحيا العدل في الأمة بعد أن نعوه. يقول:

يَا مُحيِيَ العَدْلِ وَيَا مُنْشِرَه ... مِنْ بَينِ أَطْبَاقِ البِلَى وَقَدْ هَمَد[٢]

ويذكر نفس المعنى في البيت التالي:

أَيا مُحيِيَ العَدلِ الَّذِي فِي ظِلِّهِ ... تَسَرْبَلَتْ زِينَتَهَا الآفَاق[٣]

ومثال آخر فقد كرر الشاعر صورة نور الدين، وهو غضبان للإسلام، يقاتل حمية للدين، وصونا لحرمات المسلمين. يقول:

غَضْبَانَ للإِسْلام مِمَّا عَمَّوَه ... فَلِنُورِهِ مِمَّا عَرَاهُ نَوَار[٤]

ويكرر المعنى في قوله:

غَضْبَانَ للإِسْلام لاَ يَغِيظُهُ اسـ ... ـتِسْلامُهَا للقَسْرِ مِن إِسْلامِها[٥]

ويتكرر أيضا في قوله:

غَضَباً لِدِينِ اللَّهِ خَصَّ جَنَاحَهُ ... بَغْياً وأَدْمَى صَفْحَتَيْهِ لِدَامِهَا[٦]

---

(١) الديوان: ص١٤٩، ١٥٠.
(٢) نفسه: ص١٨٧.
(٣) نفسه: ص٢٠٢.
(٤) نفسه: ص١٩١.
(٥) نفسه: ص٢٣٥.
(٦) نفسه: ص٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمثلة كثيرة لا مجال لاستقصائها. ولعل من بديه القول أن التكرار مقترن بالأسلوب التقريري ليرسخ فكرة قصد إليها أو معنى يطلبه.

- استخدام ضمير الشأن فمن ذلك قوله:

هِيَ الخَيْلَ خَيْرَ عَتادِ الكَرَى ... بِهِم يَحْضُرُ لِلهَمِّ إحضارُها[1]

* * *

هُوَ الفتحُ أنسى كلَّ فتحٍ حَدِيثُهُ ... وَتَوَّجَ مَسْطُورَ الرِّوايةِ والنَّقْلِ[2]

- الواقعية، ويقصد بها الاستمداد من الواقع الذي يتحدث عنه الشاعر، فقد تحدث عن المعارك، وصور طبيعة الصراع بين المسلمين والصليبيين، وصور هزائم الفرنج، ومصرع قادتهم، كل ذلك كان مستمدا من الواقع، كما تأثر روح عصره الحربية، فأورد في شعره أسماء أدوات القتال، وبعض مصطلحات الحرب مثل الكر والفر، الضرب والطعن والرمي، والنصر والهزيمة، والفتح، والمحافل والكتائب، والجنود والرباطات وحرق وزلزل... وقد جرت الإشارة إليها سابقا.

ومما يرتبط بالواقع ذكر المواقع الجغرافية، فقد أكثر ابن منير ذلك، بحيث يستطيع القارئ أن يستخرج من ديوانه معجما جغرافيا خاصا بأسماء الأماكن والبلدان والقرى، ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده الجهادية من ذكر لأسماء المواقع والبلدان، والقرى والحصون، وإخال أن استقصاءها في شعر ابن منير ليس بالهين، وقد تعرضت لعدد غير قليل منها في معرض استشهادي. فقد أثرت هذه الألفاظ في الصياغة الشعرية، وظهر التكلف فيها جليا، فمن ذلك قوله:

يَرْكِزْنَ فِي حَلَبٍ ومِن أفنَانِها ... تَجنِي فَواكِه أمْنِها بَغْدادُ[3]

* * *

---

(١) الديوان: ص٢٢٦.

(٢) نفسه: ص١٩٧.

(٣) نفسه: ص٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي وصف متنزهات دمشق عرض لذكر عدد غير قليل من قرى دمشق، فيقول:

و«القَصَر»و«المَرج» فـ «المَيْدان» فـ الشَّرف الـ
الأعلى» فـ «سَطرا» و «جرَمانا» فـ «قلبين»[١]

- **الأسلوب الخطابي:**

وينتقل الشاعر إلى الأسلوب الخطابي، ليكسب شعره قوة ووضوحا، وليقرب المسافة بينه وبين ممدوحه، وليحدث في نفسه أثرا كبيرا. يقول:

فَدَتْكَ المُلوكَ وأيّامُها ... ودَامَ لِنَقْضِكَ إبْرَامُها
وَزَلَّت لِعَيْنِكَ أقدامُها ... وزَال لِبَطْشِكَ إقدَامُها[٢]

* * *

ويقول:

وأنتَ السَّيفَ لَم تَمْسَسهُ نار ... ولا شَحذت مَضارِبه القُيونْ
وأنتَ أقمْتَ لِلْجَدوَى مَناراً ... يَبِينُ لشائِمِيهِ ولا يَبِينْ[٣]

أساليب أخرى:

- ومن السمات الأسلوبية استخدام ألفاظ ومصطلحات إسلامية تعكس الأثر الديني في شعر الشاعر، فمن ذلك: ذكر الله، ويوم الحساب، والنار، والكفر، ودين الله ، وقبة الإسلام. يقول:

لِسانٌ بِذِكرِ اللهِ يَكْسو نَهارَهُ ... بَهاء وحَتَّى فِي الدَّجى لَيْسَ يَرْقُدُ[٤]

* * *

العارَ فِي الدُّنيا شَقَوا بِلِبَاسِهِ ... ولِبَاسُهُمْ يَومَ الحِسابِ النَّارُ[٥]

---

(١) الديوان: ص١٧٤، القصر، المرج، الميدان، الشرف الأعلى، سطرا، جرمانا، قلبين. كلها قرى من قرى دمشق. انظر الديوان: ص١٧٤.

(٢) الديوان: ص١٩٤، ١٩٥.

(٣) نفسه: ص٢٣٦.

(٤) نفسه: ص١٨٩.

(٥) نفسه: ص١٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجَادَ لَنَا بِـكَ رَبٌّ بَـرا كَ لِلْكُفرِ نَاراً وللذّين نُـوراً[١]

* * *

وطَاوَلْتَ قُبَّةَ الإسلامِ حتّى إسْ تَوَتْ بَينَ الفَوارِس والنَّعَامْ[٢]

* * *

- وقد تأثر أسلوبه بالقرآن الكريم، ويبدو ذلك جليا واضحا في معانيه وألفاظه وتعبيراته، فمن ذلك قوله:

قُلْتُ لِقَـوْمٍ كَـوَوا بِنَارِهِـمْ مِثْلِي وَصَارُوا طَرَائِـقَ قِـدَدَا
طِيرُوا مَعِي تُسعَدُوا ولاَ تَقعُوا قُومُوا فإنَّ الشَّقِيَّ مَنْ قَعَـدَا
قَالُوا عَجِزْنَـا عَـنْ أن نُفَارِقَهُـمْ قُلْتُ فَلَن تَفْلِحُوا إذَا أبَدا[٣]

ففي البيت الأول ينظر إلى قوله تعالى:

«وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا»[٤]

وفي البيت الثالث ينظر إلى قوله:

«إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا»[٥]

* * *

ويقول الشاعر:

وَقَالُوا قَفَا الشّيخ (إنّ المُلو كَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا)[٦]

ينظر إلى قوله تعالى:

«قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون[٧]

---

(١) الديوان: ص١٩٣.

(٢) نفسه: ص٢٦٥، البيت منكسر الوزن.

(٣) نفسه: ص٩٩.

(٤) الآية ١١ من سورة الجن.

(٥) الآية ٢٠ من سورة الكهف.

(٦) الديوان: ص١٣٨.

(٧) الآية ٣٤ من سورة النمل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر يلجأ للاقتباس تزيينا للكلام، وتفخيما لشأنه[١].

- ومن السمات الأسلوبية أن ابن منير كان ينحو في بعض أشعاره إلى استخدام الحوار، لأن ذلك يوجد روحا ثانية في الشعر، ويضفي عليه شيئا من الحيوية، والجاذبية، ويدخل في أذن السامع تقبلا وتلاؤما. فمن ذلك قوله:

قُلتُ مَولاَي أَحـقٌّ مَـا أرَى؟ بعَدمَا حَكَّمتَ فِي رُوحِي التَّلَفْ
قَالَ: مِنْ أَحمدِ شَيءٍ فِي الهوَى عُقَبُ الصَّبرِ، وَتأمِيلُ الخَلَفْ[٢]

* * *

وقوله:

قالوا: الخِضَمّ أَتى بأنفس دُرَّةٍ قَدراً فقُلتُ: بَلْ الغَضَنْفَرُ أشْبَلا[٣]

* * *

- ومن الأساليب التي استخدمها ابن منير، اللجوء إلى الاستهزاء، والتهكم، لازدراء العدو وتصغير شأنه. قال ابن منير في أحد قادة الفرنج، يصف المصير الذي آل إليه بجو مفعم بالسخرية والازدراء. يقول:

وسَقَى البِرنسَ وَقد تَبرَنسَ ذُلّةً بالرَّوْجْ مُقْرِ مَا جنَت غَدَراتُهُ
فَانْقَاد فِـي خَطْمِ المَنِيَّـةِ أنْفَـهُ يَوَمَ الخَطِيمِ وأَقْصَرتَ نَزَوَاتُهُ[٤]

ويصور ابن منير ملوك الفرنج الذين كانوا جبابرة وقد صاروا أذلة بعد هزيمتهم، فعرض لنا هذه الصورة التهكمية الساخرة التي تعبر عن الانتقام ممن كثر غدره واعتداؤه على المسلمين، فيصوره وهو يتجرع الموت الذليل، وقد انقاد من أنفه كما يقاد الجمل إلى نحره.

---

(١) انظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. تأليف فخر الدين الرازي «محمد بن عمر» ت ٦٠٦هـ، تحقيق وتقديم د. ابراهيم السامرائي، د. محمد بركات أبو علي. دار الفكر ١٩٨٥، ص١٤٧.

(٢) الديوان: ص٩٠، البيت منكسر الوزن.

(٣) نفسه: ص١٠٧.

(٤) نفسه: ص٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أكثر ابن منير صور السخرية والاستهزاء في الهجاء، بل إن الهجاء عنده يقوم على هذا النهج، ولا أدل على ذلك من قصيدته الطويلة في هجاء القاضي الأعز ووصف عمامته، فيستدعي الشاعر صور الاستهزاء والتهكم، ولا يدع صورة للسخرية إلا ويلصقها به وبعمامته، وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني.

- كما استخدم الدخيل من الألفاظ الفارسية والأعجمية، وهي أسماء قادة الفرنج مثل «البرنس، جوسلين» فمن ذلك:

صَبَحوا مُحَلَّقَةَ البِرنسِ بحالقٍ حَرَشَ الضَّبابُ[١] مِنَ القُلوبِ ضَبابَه[٢][٣]

وقوله:

وَأَتَتْهُ تَجْلَبُ «جُوسَلين» جَنائِبَ هَبَّتْ فَقَلَّ إلَى القِتالِ هِبابُهُ[٤]

* * *

ومن الألفاظ الأعجمية «القوامص» وردت في قوله:

حَطَّ القَوامِصَ[٥] فيهِ قِماصُها ضَرْبٌ يُصَلْصِلُ فِي الطُّلى صَعَقاتُه[٦]

ولم يقف الأمر عند استخدام هذه الألفاظ الدخيلة، بل إن ابن منير أخذ يشتق منها أفعالا من أجل المجانسة، وهذا ما يعرف بالمجانسة عن طريق الاشتقاق، بدافع استعراض المقدرة اللغوية، فمن ذلك:

---

(١) الضباب: من الضب وهو الحقد والغضب. انظر اللسان مادة ضبب.

(٢) ضبابه: من الضبة: حديدة عريضة يضبب بها الباب، والخشب والجمع ضباب، وقيل حدي السيف، الضباب: الحد. انظر اللسان مادة «ضبب».

(٣) الديوان: ص٢٤٧.

(٤) نفسه: ص٢٤٧.

(٥) القوامص: مفردها قمص وهو كبراء الملة النصرانية. انظر نفح الطيب ج١/٣٦٦- ٣٧٠. وفي مفرج الكروب، كلمة لاتينية (comes) ومعناها الأمير والرفيق ج١/٧٣.

(٦) الديوان: ص٢٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَرْنَسَتْ رَأسَ «بَرِنسٍ» ذِلَّةً بعَدَمَا جَاسَتْ حَوَايَا «جُوسَلين»[١]

كما كان يشتق من أسماء البلدان أفعالا بهدف المجانسة. فمن ذلك:

سَمَطْتَ أمْسِ «سُمَيْسَاط»[٢] بِهَا نُظْمَ جَيْشٍ مُبهِجٍ لِلنَّاظِرِين[٣]

* * *

وَهَبَّ فِي «هَاب»[٤] لَهُ عَوَاصِفٌ تَجهَمَتْهَا الهِفُّ[٥] مِنْ جِهَامِهَا[٦]

* * *

وإنْ دَالَكْتَهُم[٧] «دُلُوك»[٨] فَقَدْ شَدَدْتَ فَصَدَّقَتْ أَخْبَارَهَا[٩]

- استخدام الألفاظ الغريبة والمهجورة: وتلك سمة من سمات أسلوب ابن منير؛ حتى غدت معلما بارزا في شعره، ولعله قصد الهدف اللغوي، فبدا وكأنه يستعرض مقدرته اللغوية في حشد عدد كبير من الألفاظ الجزلة الضخمة والغريبة، ولا يستطيع القارئ أن يفهم مراد الشاعر دون الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم،

---

(١) الديوان: ص٢٠٠، وانظر الديوان: ص٢١٢، ٢٢١، ٢٣٧. لاحظ أن ابن منير اشتق من الاسم «برنس» فعل تبرنس: لبس البرنس، والبرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به. انظر اللسان مادة «برنس» كما اشتق من الاسم «جوسلين» جاس: مكان جأس وعر، جاس: تردد للطلب باستقصاء. انظر اللسان مادة «جاس».

(٢) سميساط: بلدة غرب الفرات على شاطئه في طرف بلاد الروم، ولها قلعة في شق منها، يسكنها الأرمن. انظر معجم البلدان مادة «سمياط».

(٣) الديوان: ص٢٠٠.

(٤) هاب: قلعة عظيمة على الحدود الرومية الإسلامية. انظر معجم البلدان مادة «هاب».

(٥) الهفّ: السحاب لا ماء فيه. انظر اللسان مادة «هفف».

(٦) الديوان: ص٢٣٤.

(٧) دالك: صابر، ماطل، انظر اللسان مادة «دلك».

(٨) دلوك: بلدة من نواحي حلب. انظر معجم البلدان مادة «دلوك».

(٩) الديوان: ص٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبخاصة في الشعر الجهادي، والأمثلة كثيرة، أورد منها:

بِعَرَمْرَمٍ صَلَمَتْ وَعَاوِعَهُ عُرَى أَسْمَاعِ جَيْحُونَ وَسَيف البَرْبَرِ[١]

* * *

وَغَدًا نَلْتَقِي وَيَنْجَحِرُ السَّرْ حُ إِذَا شَمَّ بِنَّةَ السَّرْحَانِ[٢]

* * *

وَالصَّافِنَاتُ وَلُبْسُ الصَّافِيَاتِ وَشُرْ بُ الصَّافِيَاتِ وَإِطْرَابُ الأَغَانِيّ[٣]

* * *

يُغْرَى بِحَثْحَثَةِ اليَرَاعِ بَنَانُهُ إِنْ لَذَّ حَثْحَثَةَ الكُؤُوسِ لِدَاتُهُ[٤]

* * *

---

(١) الديوان: ص٢٣٠، العرمرم: جيش عرمرم: كثير وقيل الكثير من كل شيء، والعرمرم الشديد، انظر اللسان مادة «عرم».

صلمت: صلم: صلم الشيء صلما قطعه من أصله. انظر اللسان مادة «صلم».

وعاوعه: الوعواع: أول ما يغيث من المقاتلة، وقيل الوعواع الجماعة من الناس. انظر اللسان مادة «وعع».

جيحون: بالفتح يسمى نهر بلخ مجازا لأنه يمر بأعمالها وعموده نهر يعرف بجرياب. انظر معجم الأدباء مادة «جيحون».

(٢) الديوان: ص١٥٦.

انْجَحَر يَنْجَحِر: يدخل الجُحْر. السَّرْح: الماشيه.

السرحان: الذئب. البِنَّة: مكان الإقامة.

(٣) نفسه: ص١٨١.

الصافنات: الصفنة: هي السفرة التي تجمع بالخيط ومنه يقال صفن ثيابه في سرجه إذا جمعها. انظر اللسان مادة «صفن»

الصافيات: صفا: الصفو، والصفاء ممدود نقيض الكدر، صفا الشيء، والشراب وصفوة كل شيء خالصه. انظر اللسان مادة «صفا».

(٤) الديوان: ص٢٠٩.

حثحثه: حثثه تحثيثا وحثحثة بمعنى حض: انظر اللسان مادة «حثث».

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأمثلة كثيرة جدا[١]، ونلاحظ أن الشاعر قد أغرق في انتقاء الغريب من الألفاظ مثل «عرمرم، صلمت وعاوعه، ينجحر، الصافنات، الضافيات، الصافيات، حثحثه».

وإن هذا الإغراق في تناول الغريب من الألفاظ هو بسبب التكلف الذي يدفع للمجانسة وموافقة القافية.

- ومن السمات الأسلوبية استخدام ألفاظ ومصطلحات لغوية وعروضية، ربما لإظهار المقدرة اللغوية والشعرية، والثقافة الواسعة، وربما لموافقة القافية وتحقيق المجانسة. يقول:

إِذَا مَا الْفِعلُ عُلَّ تَلاهُ حَذْفٌ ... يُتَاحُ لِمُنتَهَاهُ أو سُكُونْ[٢]

* * *

لِهذَا اليَوم تُنْتَخَبُ القَوافِي ... وَيَذْخَرُ نَفسَهُ الدُّرُّ المَصُونْ[٣]

* * *

مَا تُعانِي مِنَ الصَّنائِعِ قُلتُ: ... النَّحْوَ والشِّعْرَ والتَّرَسُّلَ خُبْزِي[٤]

* * *

- وقد استخدم ابن منير الفاظاً مستوحاة من العلوم المختلفة مثل الزراعة، فالكلمات «راع، الكلا، غرس، فارتوى جرجير البقول، الفواكه، الخضر، مرعى» هي كلمات أخذت من عالم الزراعة. يقول:

وَاعٍ خِطَابَ الخَطْبِ وَهوَ مُجَمْجِمٌ ... رَاعٍ أَكَلَّ العِيسِ مِنْ عَدَمِ الكَلا[٥]

* * *

أَنَا غَرْسُ أَنْعُمِكَ الَّذي غَذَّيتَهُ ... خَطَرَاتُ عَطْفِكَ فَارْتَوَى وَتَهَلَّلا[٦]

---

(١) انظر الديوان: ص٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٤٥.

(٢) نفسه: ص٢٣٧.

(٣) نفسه: ص٢٣٨.

(٤) نفسه: ص١٤٧.

(٥) نفسه: ص١٠٤.

(٦) نفسه: ص١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* * *

وَأكلتُ جرجيرَ البُقُو ... لِ بلحمِ جَريّ البَحَرْ
وَجَعَلْتُهَا خَيرَ المآ ... كِل والفَواكِه والخُضَرْ[١]

* * *

تَوَهَّمَ أَنَّ الشَّامَ مرعَى ومَا دَرَى ... بأَنَّكَ أمضَى مِنْهُ فِي الشَّزْرِ والسَّجْلِ[٢]

* * *

إن الكلمات ترسم لنا صورا زراعية، أكثر الشاعر منها ، لأنه نشأ في بلد زراعي.

- قد تكون الألفاظ مستوحاة من المعجم الطبي، كقوله:

جَرَحْتَ يَدَاً خُلِقَتْ للنَّدى ... وَبَذْلِ الهِباتِ وَضَربِ الرِّقَابِ[٣]

* * *

فَقلْتَ يَا مُرْضِي بِوَجْـه ... أَظُنُّ دَائِي سرَى إِلَيْه
هَيْهَاتَ لا تجحدن قَتْلـي ... هَذا دَمِي شَاهِدٌ عَلَيْهِ[٤]

* * *

مُحَدِّثُ تَحَدَّثَ أَمراضَنا ... أَجْفَانُهُ الفَاتِنَةُ الفَاتِرَةْ[٥]

* * *

جَرحَتْكَ جُرْحًا لاَ يُخَيَّط ... بالخُيُوطِ ولا الإبَـرْ[٦]

* * *

---

(١) الديوان: ص١٦٦.

(٢) نفسه: ص١٩٨، الشزر: الشدة والصعوبة في الأمر، تشزر الرجل تهيأ للقتال. انظر اللسان مادة «شزر»، السجل: ساجل الرجل: باراه، المساجلة: المفاخرة. انظر اللسان مادة «سجل».

(٣) الديوان: ص١٢٤.

(٤) نفسه: ص١٣١.

(٥) نفسه: ص١٤٠.

(٦) نفسه: ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالكلمات: «جرحت، ممرضي، دائي، دم، أمراضنا، جرحتك، الخيوط، الإبر» من الكلمات المستخدمة في المجال الطبي، وترسم لنا صورا طيبة تساهم في تلوين الصورة عند ابن منير.

- ومن الألفاظ ما كان من علم الفلك، فيقول:

قِفْ قَلِيلاً لِأَسْأَلَكْ ... مَنْ مِنَ الأُفْقِ أَنزَلَكْ
صِرْتَ فِي الأَرْضِ مَاشِياً ... بَعدَ مَا كُنْتَ فِي الفَلَكْ[1]

* * *

وأَنْزَلَ النَيِّرَ الأَعْلَى إِلَى فَلَكٍ ... مَدَارُهُ فِي القِبَاءِ الخَسْرَوَانِيِّ[2]

* * *

ضَاءَتْ نُجُومكَ فَوقَهَا ولَرُبَّمَا ... بَاتَتْ تُنَافِثُهَا النُّجُومُ سَرَارَهَا
أَمْسَتْ مَعَ الشَّعرَى العَبُور وأَصْبَحَت ... شَعرَاءَ تَسْتَقلِي الفُحُولَ شَوَارَهَا[3]

---

(١) الديوان: ص٩١.

(٢) نفسه: ص١٧٩.

(٣) نفسه: ص٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفنون البديعيّة

شاع في هذا العصر استخدام المحسنات البديعية إلى حد الإسراف، فصرف معظم الشعراء جلّ اهتمامهم وعنايتهم إلى هذه الظاهرة الأدبية، إلى أن غدت هي مقياس الجودة الذي يقاس به الأدب عند كثير من أدباء العصر ونقاده،[١] وقد استخدم ابن منير عدداً من الفنون البديعية في شعره مثل: الطباق، والمقابلة، والجناس، والتقسيم، ورد الأعجاز على الصدور.

وغلب على ابن منير الميل إلى المطابقة، وبالغ في إكثارها، حتى أصبحت معلماً ودلالة على ثقافة شاعرنا، فمن ذلك قوله:

أَعذَرَا إنْ أَردتُمَا أَوْ فلُومَا ... فِي بَدِيعِ حَسْبي عذارُه عُذْرَا[٢]

مَلِكٌ تَنَامُ عَنِ الفَحْشَاءِ هِمَّتُهُ * * تَقِيٌّ وَتَسْهَرُ لِلْمَعْرُوفِ عَيْنَاهُ[٣]

أَخُو عَزَمَاتٍ كَالْعُقُودِ تَنَاسَقَتْ * * تَحَلَّ بأجياد الجيـاد وتَعْقِدُ[٤]

ولعل لجوء الشاعر إلى الإكثار من الطباق، ناتج عن تأثره الحياة والبيئة اللتين يعيشهما الناس من حوله آنذاك، فقد جمعوا بين الشيء وضده، من صدق وإخلاص وغيرة على هذا الدين، تمثلت في نور الدين زنكي ومن معه، ومن الغدر والخيانة، وموالاة الكفار، المتمثلة في بعض الحكام المسلمين الذين أعطوا الدنية في دينهم، فجاء هذا الأسلوب لدى الشاعر ليعبر عن واقع الناس.

المقابلة: ويقصد بها «إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة[٥]». وقد قابل ابن منير بين الشطر الأول والشطر الثاني من البيت، وذلك حين أراد التعبير عن محاربة نور الدين للضلال، ونصرته للهدى والإيمان. يقول:

---

(١) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ص ٢٩٤.

(٢) الديوان: ص ٨٢، البيت منكسر الوزن.

(٣) نفسه: ص ١٩٥.

(٤) نفسه: ص ١٨٩.

(٥) «كتاب» الصناعتين: ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَقْوى الضَّلالَ وأقفَرَتْ عَرصاتُه وعَلا الهدَى وتبلّجَت قَسَماتُه[١]

كما قابل بين الشطر الأول والشطر الثاني عندما أراد التعبير عن أسر مليك الفرنج ثم العفو عنه، يقول:

حَبَيْتَ مَليكَهُمْ فِي الصَّفَادِ وَعَفْوُكَ عَنْه أَعَمُّ الصَّفَدْ[٢]

ويقول في مدح نور الدين، في صورة من المقابلة تضفي على الشعر سمة موسيقية ذات جرس خاص، تساهم في تجلية صورة الممدوح وهو عابدٌ وقائمٌ وزاهدٌ يقول:

أَمّا نَهارُكَ فَهوَ لَيلُ مُجاهدٍ وَاللّيلُ مِن طُولِ القِيامِ نَهارُ[٣]

ويقول أيضاً في مدح نور الدين:

فَيَدٌ تَحسُمُ النّوائِبَ عَنّا وَيَدٌ تَقسِمُ الرّغائِبَ فِينَا[٤]

والمقابلة لدى الشاعر تمثل الصراع بين الحق والباطل، و المسلمين والفرنج، فيقابل بين جيش الضلال، وجيش الهدى، ويقابل بين ملك المسلمين «نور الدين زنكي» و ملك الفرنج، كما يمثل الحق المتمثل في نور الدين، والباطل المتمثل في حكام المسلمين.

وأكثر ابن منير استخدام الجناس في شعره وكان مولعاً به، ومن أمثلته على ذلك:

أدْعوكَ دَعوةَ واحدٍ لاَ واجدٍ بَدلاً إذَا الكلفُ المَشُوق تَبدّلا[٥]

بَدرٌ إذَا البَدْرُ سَرىً * * فِيهِ المَحَاقُ كَمُلاَ

شَمْسٌ إذا الشّمْسُ خَبَتْ تَحتَ الكُسُوفِ اشْتَعَلاَ

فَهوَ الذي قَلّبَ قَلـ ـبِي فِي قَوالِبِ البَلاَ

يَا سَائِلِي عَنِ الهَوى وَطعمِهِ سَلْ مَنْ سَلا[٦]

---

(١) الديوان: ٢٠٨.

(٢) نفسه: ١٨٨.

(٣) نفسه: ١٨٨.

(٤) نفسه: ١٩٣.

(٥) الديوان: ١٠٦.

(٦) الديوان: ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَلَكُم لَكُمْ فِي أَرْضِهم مِن مَشْهدٍ قَامَتْ بِهِ لِظِبَاكُم الأَشْهَادُ[١]

* * *

ومَضَى يُؤَنِّبُ تَحتَ إِنْبَ هِمَّةً أَمْسَتْ زواهِر غَيْهَا زَفَرَاتُهُ[٢]

* * *

إِذِ الهَوَى والهَوَاءُ الطَّلْقُ مُعْتَدِلٌ هَذَا وَهَذَا رَبِيعِيٌّ طَبِيعِيَ[٣]

* * *

رَأَيْنَا المُلوكَ وَقَدْ سَاجَلوكَ تَمَنَّوْا مَنُونَاً وغَرَّوا غُرُوراً[٤]

لقد كان ابن منير يعتمد على المجانسة لتحقيق إيقاع موسيقي خاص، ينسجم مع جو القصيدة، يعيش فيها المتلقي أجواء القصيدة بكل معانيها، كما استخدم الجناس في بناء قوافي قصائده حتى ليحس القارئ أن تلك القوافي تنبثق انبثاقاً تلقائياً من الكلمات السابقة لها في صنعة خفية.

فيصور لنا نور الدين بالقائد العابد، المجاهد الزاهد الحاني على رعيته.

- **التقسيم**: وهو أن يكون البيت مجزءاً ثلاثة أجزاء أو أربعة في تناسق موسيقي دقيق، فيبدو البيت ذا شكل متساوي الأركان[٥]، وقد يكون هذا التقسيم ثنائياً، فتقسم الشطرة إلى قسمين يقابلهما قسمان آخران في الشطرة الثانية، كما في قول ابن منير:

طَرفٌ رَنَا أَمْ قِرابٌ سَلَّ صَارِمَهُ
وَأَغْيَدٌ مَاسَ أَمْ أَعْطَافُ خَطِّي[٦]؟

وقوله:

---

(١) نفسه: ٢٦٣.

(٢) نفسه ٢١٢.

(٣) نفسه: ١٤٠.

(٤) نفسه: ١٩٢.

(٥) انظر: البديع في نقد الشعر ٦٣.

(٦) الديوان: ١٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَرامٌ سَمائيٌّ، وَحَزْمٌ مُسَدَّدٌ ورَأْيٌ شِهابيٌّ وعَزْمٌ مُؤَيَّدُ[١]

وقد يكون التقسيم متداخلاً حين يقسم البيت إلى ثلاثة أقسام، فنجد قسماً وبعض قسم في شطره، والباقي مساوٍ له في الشطرة المقابلة، كما في قوله:

صَفُا وِرْدُ الصَّفاء، وَرقَّ رُوحُ الـ ـوَفَاءِ، وأَيْنَعَتْ ثُمُرُ التَّدانِي[٢]

وقوله:

أَرْسَى قَواعِدَهُ، وَمَدَّ عِمَادَهُ صَعداً، وَشَيَّدَ سُورَهُ سُوراتُه[٣]

ونلاحظ أن هذا التقسيم أضفى على الشعر موسيقى عذبه جميلة، ساهمت في المحافظة على جودة التقابل والتناظر بين مفردات كل قسم.

- **رد الأعجاز على الصدور**: وهو التصدير، وقد سماه ابن المعتز «رد أعجاز الكلام على ما تقدمها[٤]». وينقسم أقساماً، منها ما يوافق آخر كلمة في البيت، وآخر كلمة في النصف الأول[٥]. مثال ذلك قول ابن منير:

مَشَوا متَساندِينَ إلى صَليبٍ يُبَرْقِعُ هَبْوَةَ الصَّمِّ الصَّلابَ[٦]

فَكَمْ انْتَجَتْ مِن أملٍ عَقيمٍ بِها وحَسَمْتَ مِنْ داءٍ عُقَامِ[٧]

ومنه ما يوافق أول كلمة منها آخر كلمة في النصف الأخير، أي رد آخر العجز على بداية الصدر. يقول:

سَلَبْتَهُ دُرَّةَ تَاجِهِ يَدُ ضَيْغَمٍ لَمْ تُنْجِهِ مِن بَأْسِهِ أَسْلَابُه[٨]

ومنه ما يكون في حشو الكلام. وذلك برد آخر عجزه على حشو الصدر، كقول ابن منير:

يَقْظَانَ يَنْشُرُ عَدْلَهُ في دَوْلةٍ جَاءَت لِطَيِّ السَّماحِ نُشُورا[٩]

---

(١) نفسه: ١٨٩.

(٢) نفسه: ١١٩.

(٣) نفسه: ٢٠٨.

(٤) البديع -لابن المعتز ٤٧.

(٥) «كتاب» الصناعتين ٣٨٥.

(٦) الديوان: ٢٥٣.

(٧) نفسه: ٢٦٥.

(٨) الديوان: ٢٤٧.

(٩) نفسه: ٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الفنون البديعية الجميلة التي تسهم في موسيقى الشعر«التصريع»: وهو أن يأتي العروض مقفاة تقفية الضرب، وقد استخدمه ابن منير بكثرة، فمن ذلك:

فَدَتْكَ القُلُوبُ بأَلبَابِها وَسَاحُ المُلوكِ بأَرْبَابِها[١]

* * *

وقوله:

لِعِلاَتِكَ التَّأْيِيدُ والتَّأْمِيلُ وَلِمُلْكِكَ التَّأْيِيدُ والتَّكْمِيلُ[٢]

* * *

وقوله:

يَا شَمسُ لاَ كَسْفٌ ولاَ تِكدَارُ ولاَ خَلت مِن نُورِكَ الأَنوَارُ[٣].

وجدير بالقول إن الجناس، والتقسيم، ورد الأعجاز على الصدور، والتصريع من العوامل التي تشكل إيقاعاً موسيقيا يضفي على القصيدة سمة من الجمال.

ونلاحظ أن ابن منير تأثر مقاييس العصر الأدبية، فاستخدم البديع، ولقي استحساناً عنده، فكان يعنى كل العناية بالتصنع البديعي، وكان أميناً على مذهب التطبيق والتجنيس. فبدت تراكيبه جزلة عبثت بها الزخارف، فكثرت حينا، وتضاءلت حيناً آخر، وهو بين هذين الاتجاهين يقترب تارةً من الطبع السليم، وينأى عنه تارةً أخرى[٤]، يضاف إلى ذلك أنه كان يكثر الزخارف البديعية، ويعبث بأسماء الأعلام الأعجمية التي كان يوردها في وصف الأحداث الكبرى ويشققها، ويشتق منها أفعالاً سعياً وراء المجانسة، وغرضه في ذلك محاكاة من سبقه في هذا السبيل.

---

(١) نفسه: ٢٢١.

(٢) نفسه: ٢٣٨.

(٣) نفسه: ٢٦٦.

(٤) انظر الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأمويين والمماليك: ٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية «هي أساس الشعر وروحه، وهو قائم عليها، وهي جزء من مبنى القصيدة، وهي وسيلة الشاعر لتجسيد إحساسه، وتعبيره عن حالة نفسية معينة، يعاني منها إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة[١]». وتعد من وسائل التعبير عن التجربة الشعرية، كما تستعمل للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وهي وسيلة الشاعر والأديب في «نقل فكرته، وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه[٢]».

ويقاس نجاح الصورة في مدى قدرتها على تأدية هذه المهمة، وكلما حققت الصورة التناسب بين حالة الفنان وما يصوره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد، ينبض بروح الأديب وقلبه، كان حكمنا عليها أكثر دقة وجمالا[٣].

كما أن الخيال عنصر مهم من العناصر التي يقوم عليها الشعر، وهو مصدر «توليد الصور الشعرية التي وظيفتها تصوير الحقائق النفسية، والأدبية»[٤].وهو «الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوها من إحساسات سابقة، لا حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم، حتى يحين الوقت فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها[٥]»

وقد اتخذ ابن منير من الصورة الشعرية وسيلة للتعبير الفني عن أفكاره ومشاعره واعتمد في تصويره على التشخيص، والتجسيم، والوصف، وضروب علم البيان، مثل: التشبيه والاستعارة.

وتعددت الصورة الشعرية عند ابن منير، بين صور جزئية تقوم على البيان بأنواعه و صور كلية ترسم لوحة متكاملة لمشهد ما، والأمثلة على الصور الجزئية كثيرة، فهي تقوم على التماس وجه شبه ظاهري بين حدّي الصورة، وغالباً ما تكون

---

(١) بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية ص ٣١١.

(٢) أنظر: أصول النقد الأدبي -أحمد الشايب- الطبعة الثامنة ١٩٧٣ مكتبة النهضة المصري ص ٢٤٢.

(٣) نفسه:ص ٢٤٩.

(٤) النقد الأدبي الحديث ص ١٦٢.

(٥) في النقد الأدبي -شوقي ضيف. دار المعارف مصر. ص١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة تقليدية.

واستخدم ابن منير التشخيص في صوره، فالفتوح عنده عرائس مهرها الجهاد والتضحية. يقول:

فَبَقِيتَ تَسْتَجلي الفُتوحَ عَرائِساً مُتَمليّاً صَدَر العَلا وصَدَارَها[1]

ويصور الرّها بعروس همّ «قسطنطين» أن يفرعها «يفض بكارتها» ولكنها أبت، وتمنعت ولم تطاوعه إلى أن جاء عماد الدين فكان أهلاً لها، يقول:

هَمَّ قُسطنطين أنْ يفرَعَهَا ومَضَى لَمْ يَحْوِ مِنها قَسَطَ طِينْ
ولَكَمْ مِنْ مَلكٍ حَاوَلَهَا فَتَحَلَّى الحَيْنَ وَسْماً فِي الجَبِينْ
مُنِيَتْ مِنْهُ بِلَيثٍ قَائدٍ بعَزَانِ الذلّ آسادِ العَرِينْ[2]

ويصور دمشق بفتاة هيفاء غيداء، فيتغزل بها، يقول:

أبْدَتْ دِمشقُ ربيعاً جَلَّ صَانِعُهُ يَأتيكَ في كُلِّ حِينٍ غَيرَ مكنُونِ
سُودُ الذَّوائِبِ فِي حُمْرِ الخُدودِ عَلى بِيضِ المَبَاسِمِ فِي خُضْرِ الجَفَانِينِ[3]

واستمد ابن منير كثيراً من صوره الشعرية من الواقع الحربي الذي كان المسلمون يعيشون في صراعهم مع العدو الصليبي، فنرى صورة البطل عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي، وصورة المعركة، وصورة العدو الفرنجي المهزوم، وهي صور توضحت معالمها فيما تقدم، وتمور بالحركة، مما يكسبها حيوية وجمالاً، وهي حركة سريعة تناسب جو المعارك، وهي كذلك صور تنبع من الحدث، لذا، فهي تتّسم بالواقعية، ومن ذلك ما يبدو في تصوير المصير الذي آل إليه الأعداء، وتصوير المعركة وما بها من سلاح وأدوات قتال، كما صور بطله بصور تراثية تمثل الشجاعة والجود والرفعة، وصوّر ملوك الفرنج الذين كانوا جبابرة، وقد صاروا أذلة، بعد هزيمتهم، ولا أجد نفسي مضطراً لذكر الشواهد تجنباً للوقوع في التكرار.

والصورة عند ابن منير حركية تعتمد على الحواس، فمما يعتمد على حاسة الشم قوله:

---

(١) الديوان: ٢١٨.

(٢) نفسه: ١٩٩.

(٣) نفسه: ١٧٥، ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَوْمٌ كَأَفْوَرِ حَصْبَاءِ العُيونِ بِهِ عَنْ طَلِّ عَنبرِ أَصْدَاغِ الرَّيَاحِينِ[١]

* * *

أَمَا وَذَوائِبُ مِسكٍ مِنْ ذَوائِبِهِ عَلى أَعَالي القَضيبِ الخَيْزُرَانِي[٢]

ومن الصور ما كان يعتمد على حاسة الذوق كقوله:

وَدَعا بالطَّعامِ فَامتَرتَ مِنْ حُلوٍ ومِن حامِضِ المَذاقِ ومُرِّ[٣]

ومن الصور ما كان يعتمد على حاسة السمع. يقول:

كَم أَحمَرٍ أَنْشَدَتْ فِيهِ الحَمائِمُ إذْ مُعَصْفَرٌ غَرَّدَتْ فِيهِ العَصافِيرُ[٤]

* * *

زَأَرَ الهِزَبرُ فَقَيَّدَتْ عَانَاتُها عَصْرَ الضَّلالِ وأَسْلَمَتْ أَعْيَارَهَا[٥]

ومنها ما كان يعتمد على حاسة الإبصار، وذلك من خلال إبراز الألوان، فالصورة متعددة الألوان، ومن ذلك.

أَسْوَدُ كَالْكُفْرِ فِي أَبيَضَ مِثْلِ الهُدَى[٦]

فَهُنَاكَ تَلْقَى العَيْشَ أَخْضَرَ نَاضِراً والعِزَّ أَقعَسَ والحَيَاءَ مُكَمَّلا[٧]

رَنَا وَفِي طَرْفِهِ احْمِرَارٌ يَغُضُّ مِن سِحرِ مُقْلَتَيْهِ[٨]

ومن الصور الحركية أنه كان يصبغ الجمادات بصبغة حسيّة، فيضعها في قالب مفعم بالحيوية والنشاط. ويبدو ذلك في قوله:

ضَحِكَتْ لَكَ الأَيَّامُ واكتَأَبَ العِدا قَلَقاً فَجِئْتَ مُبشِّراً ونَذِيرا[٩]

فقد شبه الأيام بإنسان يسرّ ويضحك.

---

(١) الديوان:ص ١٧٥.

(٢) نفسه: ص١٧٩.

(٣) الديوان: ص١٤٦.

(٤) نفسه: ص١٥٠.

(٥) نفسه:ص ٢١٦.

(٦) نفسه:ص ٩٣.

(٧) نفسه:ص ١٠٦.

(٨) نفسه:ص ١٣١.

(٩) نفسه: ص٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ أن الصورة عند ابن منير لم تكن قالباً جامداً، بل تنوعت طرق تشكيلها بين التشخيص والحركة، واطياف الألوان، ومن الصور الحركية ما سبقت الإشارة إليه في الحديث عن الشعر الجهادي الذي صوّر حركة الجيوش، وحركة الخيل وهي تكر، وتفر، وانطلاق السهام، وضرب الطعان، ولمع السيوف، وهزيمة الأعداء، فكلها صور تموج بالحركة، فتضفي على القصيدة جواً من الرشاقة والحيوية.

والصورة عنده تعتمد على علم البيان، مثل الاستعارة كقوله:

تُحرَّقُ مَنْ عَصاكَ وأَنْتَ ماءٌ ... وتُغرِقُ مَنْ رجاكَ وأَنْتَ نارُ[١]

يَا شَمْسُ لاَ كَسفٌ ولا تكْدارُ ... ولاَ خَلَتْ مِنْ نُورِكَ الأَنْوارُ[٢]

ومن الصور ما هو مستمد من عالم الحيوان، وهي كثيرة منها.

فَقالَ لي القِطُّ وَيْكَ انْتَبِهْ ... أليسَ القِطَاةُ عَدَاةُ الكِلاَبِ؟[٣]

* * *

يَقُرُّ تَرَى بِحَلِيمِهِمْ ... طَيْشَ الظَّلِيمِ إِذَا نَفَرْ[٤]

* * *

وَيَوْمَ العَرِيمَةِ أَقْبلتَهُمْ ... عُرَاماً تَثْعَلَبَ مِنْهُ الأَسَدْ[٥]

* * *

ويقول في مدح نور الدين:

أَسَدٌ فَرائِسُهُ الفَوارِسُ والظُّبَا ... أَظْفَارُهُ والسَّمْهَرِيَّةُ نَابُهُ[٦].

---

(١) الديوان: ٢٥١.

(٢) نفسه: ٢٦٦.

(٣) نفسه: ١٢٥.

(٤) نفسه: ١٦٧.

(٥) نفسه: ١٨٨.

(٦) نفسه: ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموسيقى الشعرية

من عوامل التأثير في الشعر، العنصر الموسيقي المرتبط بالبحر والقافية، والموسيقى الداخلية.

فأما الموسيقى الداخلية، فهي التي تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما يناسبها من تلاؤم في الحروف والكلمات، ومدى انسجام ذلك مع جو القصيدة، ومن الموسيقى الداخلية حسن التقسيم الذي سبقت الإشارة إليه في صفحات ماضية، وجدير بالقول أنّ للفنون البديعية مثل الجناس والتقسيم والتصريع ورد الأعجاز على الصدور أثراً في تشكيل الموسيقى الشعرية، وأما البحر والقافية، فقد كان لهما أهمية كبرى في إضفاء النغم الإيقاعي على شعره، وقد تطرق ابن منير إلى أبواب كثيرة من الشعر، فلا بد أنه ارتاد بحوراً، وأوزاناً متنوعة تتناسب مع أغراضه الشعرية.

ومن خلال استقراء شعر ابن منير، نلاحظ أنه استخدم في المديح وشعر الجهاد بحوراً ذات أوزان طويلة مثل: الطويل، والمديد، والكامل، والبسيط، وهذا يتناسب مع الفخامة والشدة والصرامة، وتلك صفات كان ابن منير يركز عليها في ممدوحَيْه، كما استخدم بعض البحور الخفيفة مثل: الهزج، والرجز، والسريع، والمتقارب. وهذه البحور تتناسب مع الحركة، والحيوية، والخفة. وهذه صفات مكملة لصورة الممدوح.

وأما في الغزل والوصف، فقد استخدم البحور القصيرة، والأوزان الخفيفة مثل: الهزج، والرمل، والخفيف، والرجز، والمجتث، وهي بحور تتناسب مع الانفعال العاطفي.

وأمّا في التهنئة، فقد اعتمد بحر الرجز لسهولة مقاطعة، وخفة تفعيلاته التي تفيض بالمرح والبهجة.

أما القوافي، فقد اختار ابن منير مجموعة من القوافي تناسب غرض القصيدة، فاختار القوافي القوية المتينة ذات الأصوات المحدودة المجهورة الصاخبة في شعر الجهاد، والمديح، والهجاء السياسي، فالهاء المشبعة بألف ترمز إلى العظمة والمفاخرة التي تحلى بها ممدوحاه. كما في قوله:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«أربابها، أنيابها، نظامها، أذنابها، بابها».

وفي الغزل، جاءت القوافي ليّنة خفيفة سلسة، مطاوعة، سهلة المخارج والحروف، وتعمل على إثارة العواطف والأحاسيس في النفس البشرية. وقد قمت بإحصاء القوافي للمقطوعات والقصائد التي قيلت في الغزل، فوجدت الهاء المكسورة أكثرها، إذ بلغ عددها سبع عشرة مقطوعة وقصيدة، وهي تثير التأوه والشكوى مثل «أحبابه، بكذابه، نيابه، إليه، عليه».

وفي الوصف، كانت أكثر قوافيه سريعة خفيفة، تفيض بالحيوية والحركة، كما استخدم قافية الرّوي الساكن التي تسهم في عنف الإيقاع، وقوته، وتعبر عن الحماسة التي تختلج النفوس.

وقد استخدم الشاعر حروف المد استخداماً بارعاً يوحي بالامتداد في المعنى والصوت، ويعطي القارئ والسامع راحة في النفس، وبقراءة أولية للجدول المبين تالياً، الذي يبين عدد مرات استخدام حرف الروي في القصائد الشعرية دون المقطعات.أخلص إلى القول: بأن حرف الهاء قد تكرر في ست عشرة قصيدة، ثم يأتي حرف الراء في المرتبة الثانية، إذ جاء في ثلاث عشرة قصيدة، ثم حرف الميم في ثماني قصائد، فحرف الدال في سبع قصائد، ويليه الباء واللام في ست قصائد، ثم النون في خمس قصائد.

ولعل هذه الأحرف تمثل أصواتاً تتناسب في وقعها على الأذن مع أجواء القصيدة، لا سيما أنها من الحروف التي كثر استعمالها في قوافي القصائد العربية.

«جدول عدد أحرف الروي المستخدمة في قصائد ابن منير»

حرف الروي	الهاء	الراء	الميم	الدال	الياء	اللام	النون	الباء	القاف	الهمزة	الزاي
٧٠	١٦	١٣	٨	٧	٦	٦	٥	٣	٢	١	١

مما تقدم، نلاحظ أن القافية تلعب دوراً كبيراً في إضفاء النغمة الموسيقية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثناء العلماء عليه:

تحدث الأدباء والشعراء، والمؤرخون عن ابن منير، وصوّروه بما يليق بمكانته العالية في عالم الشعر والأدب، فأثنوا على ما رأو فيه من فضائل، وأقروا له بالعلم، ولولا سلاطة لسانه، وسخف هجائه، لكان في مصاف الفحول ممن سبقوه من أهل صنعته، ومن أقوال العلماء والأدباء والشعراء فيه:

قال ابن القلانسي ت(٥٥٥هـ): «كان أديباً شاعراً عارفاً بفنون اللغة، وأوزان العروض[١]».

وقال عنه السمعاني ت «٥٦٢هـ»: «أبو الحسين أحمد بن منير...شاعر مفلق، فاضل، مليح الشعر، حسن الطبع[٢]».

وقال عنه «مجد العرب العامري[٣]» ت «٥٧٣هـ»:

ابن منير ذو خاطر منير، وله شعر جيد لطيف، لولا أنّه يمزجه بالهجو السخيف... شعره ككنيته حسن، ونظمه كلقبه مهذب، أرق من الماء الزلال، وأدق من السحر الحلال، وأطيب من نيل الأمنية، وأعذب من الأمان من المنية[٤]».

وقال عنه ابن العديم ت «٦٦٠هـ»: قرأت بخط مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن منقذ قال: «شرف الأدباء أبو الحسين بن منير الطرابلسي، أوحد عصره، ولسان دهره، تأخر زمانه وتقدم فضله وبيانه، فهو زهير الفصاحة، وابن حجاج الملح والطرافة، في أشعاره لطافة تستخف القلب، وتملك السمع، وكل فن من فنون الشعر يقصده يستولي على محاسنه وفنونه، ويحرز أبكار معانيه وعونه[٥]».

وقد أوافق هذه الأحكام إلى حد ما، ولكن من غير مبالغة، فلم يكن ابن منير أو حد عصره، ولسان دهره، بل إن هنالك من الشعراء ممن عاصروه من قد فاقوه في

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ص٣٢٢.

(٢) الأنساب ج١/٣٠٢.

(٣) مجد العرب العامري: هو أبو فراس علي بن غالب العامري، شاعر جال ما بين العراق والشام مدح الملوك، والأكابر، توفي بالموصل سنة «٥٧٣هـ». انظر وفيات الأعيان ج٢/١٠١.

(٤) الخريدة ج١ ق١/٧٧-٧٩.

(٥) بغية الطلب ج٣/١١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسن النظم وجزالة اللفظ من أمثال ابن القيسراني وابن قسيم الحموي.

وقد أكثر العماد الأصفهاني ت«٥٩٧هـ» مدحه، فمن ذلك:

«كان شاعراً مجيداً... مكثراً... ومحاسن أبي الحسين بن منير، منيرة، وفضائله كثيرة[١]» وذكره أحد رواة شعره، زين الدين الواعظ بن نجا الدمشقي» فقال «ما كان أسمح بديهته، وأوضح طريقته، وأبدع بلاغته، وأبلغ براعته، ورأيته يستجيد نثره، ويستطيب ذكره، ويحفظ منه رسائل مطبوعة، ويتبع له في الإحسان طرائق متبوعة،... كانت الجمهرة على حفظه، وحجة المعاني تتوارد من لفظه[٢]».

وقال عنه ابن العديم ت «٦٦٠هـ» «كان ابن منير عارفاً باللغة[٣]».

ووصفه أبو شامة المقدسي ت«٦٦٥هـ» هو وابن القيسراني بقوله: «هما شاعرا الشام في وقتهما[٤]»، كما ذكره ابن خلكان ت «٦٨١هـ» بقوله: «كان شاعراً مشهورا[٥]».

ووصفه أبو عبد الرحمن الذهبي ت «٧٤٨هـ» يقوله: «الأديب البارع، والشاعر المحسن[٦]».

وأما ابن فضل الله العمري ت «٧٤٩هـ» فقد مدحه بقوله: «لو نازع البحر غصبه، فغاصه، ولو نازل الفلك لأراك اعتياصه، هذا يستلّ درّه، وهذا يسلب زهره، وهذا يفاضل مدّه، وهذا يفاضل سعده، وكلاهما دون ذهنه يقف، ومن صوب خاطره يكف، له قصائد موشحة بالسحب، ذات بيوت تقصر عن مطاولتها الشهب، ولا تسكنها إلا الكواعب الأتراب، والخرّد العرب... أما شعره فعقود مفصلة الجمان،

---

(١) الخريدة: ج١ ق١/٧٩.

(٢) نفسه: ج١ ق١/٧٩.

(٣) بغية الطلب ج٣/١١٥٤.

(٤) (كتاب) الروضتين ج١ ق١/٢٢٨.

(٥) وفيات الأعيان ج١/١٥٦.

(٦) تذكرة الحفاظ ج٣/١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موصّلة النداء إلى أغلى الأثمان[١]».

وذكره ابن حجة الحموي ت «٨٣٧هـ» تحت عنوان باب الهزل الذي يراد به الجدّ.

مهذب الدين أحمد ابن منير الطرابلسي، قائد هذا العنان، وفارس هذا الميدان[٢]». وقال عنه ابن تغري بردي ت «٨٧٤هـ»: «كان بارعاً في اللغة، والعربية والأدب[٣]» وقال عنه ابن العماد الحنبلي ت«١٠٨٩هـ): «كان شيعياً هجاءً، فائق النظم[٤]».

وأما عن كُتّاب الشيعة وعلمائهم، فقد ذكروه وأثنوا عليه، وأكثروا مدحه منهم: الأميني النجفي الذي يقول عنه: «أحد أئمة أهل البيت، وفي الطبقة العليا من صناعة القريض، ولقد أكثر وأجاد، وله في أئمة أهل البيت عقود عسجدية، أبقت له الذكر الخالد، والفخر الطريف التالد[٥]، وقد أتقن اللغة والعلوم الأدبية كلها، أنجبت به طرابلس، فكان زهرة رياضها، ودواء أرباضها، ثم هبط دمشق فكان شاعرها المفلق، وأديبها المدره.. وجمع شعره بين الرقة والقوة، والجزالة، وازدهى بالسلاسة والانسجام[٦]».

ووصفه الحر العاملي «ت ١١٠٤هـ» بقوله:

«كان من فضلاء عصره، شاعراً، أديباً»، ومدحه محسن الأمين ت «١٣٧١هـ» بقوله: «كان فاضلاً أديباً لغوياً، ماهراً في اللغة، والأدب محترماً، مرعي الجانب، مقرباً عند الأمراء، ظريفاً في الغاية، شاعراً مطبوعاً، متقنا في

---

(١) مخطوط مسالك الأبصار. السفر ١٥/٥١٨، ٥١٩.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب- الشيخ تقي الدين أبي بكر، علي المعروف بابن حجه الحموي. دار القاموس الحديث، مكتبة لبنان، سوريا. ١٤٩.

(٣) النجوم الزاهرة ج٥/٢٩٨.

(٤) شذرات الذهب ج٤/١٤٦.

(٥) لم أعثر له على شعر في أئمة أهل البيت.

(٦) الغدير ج٤/٣٣١، ٣٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشعاره، تغلب على شعره الرّقة والسلاسة[1]».

ولست مع ما ذهب إليه الذين غالوا في الثناء عليه وعلى شعره، فصوّره لنا نابغة زمانه، وفارس ميدانه وجعلوا شعره في مرتبة تقصر عن مطاولتها أشعار غيره، فهذه أحكام طفا بها كيل المبالغة، وإن كان شاعرنا على درجة من الإجادة والفضل.

(١) أعيان الشيعة ج١٠/١٤٦، ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

لقد انطوت هذه الرسالة على دراسة لشاعر من شعراء الحروب الصليبية، وهو «أحمد بن منير الطرابلسي» الذي غمط حقه، فهو أحد الأصوات البارزة في الشعر الجهادي الذي يعبر عن آمال الأمة وطموحاتها.

وقد ركزت على دراسة حياة الشاعر في مراحلها المختلفة، وعلى إنتاجه الشعري، فجاءت الدراسة في ثلاثة فصول، درست في الفصل الأول حياة «ابن منير» فعرضت لسيرته، وتحدثت عن اسمه ونسبه، وكنيته وأسرته، وكشفت الدراسة عن أن الشاعر كان متزوجاً ولم يعقب، خلافاً لما ذهب إليه من ترجم له. وتحدثت عن مراحل حياته، فقد ولد في طرابلس، وعاش فيها طفولته، وصباه، وجزءاً من شبابه، حيث تفتحت موهبته الشعرية هناك، ثم ارتحل إلى دمشق فاتصل بأسرة «آل طغتكين» حكام دمشق، وكان له مع بعضهم علاقات ودٍ إلى أن انقلبوا عليه بكيد حساده وأعدائه، فنفي منها ثلاث مرات، وأخذ يتنقل من دمشق إلى بغداد، وحلب، وشيزر، والموصل، وحماة، وحمص، إلى أن استقر به المقام مع «نور الدين زنكي» فلازمه، وأصبح شاعره المفضل، حتى غدا أثيره، وخلّد بشعره سيرته ومجد فتوحاته العظيمة، ثم عمل سفيراً له عند حاكم دمشق «معين الدين أنر».

وتناولت في هذا الفصل ثقافة ابن منير وذكرت عدداً من شيوخه وتلاميذه وتحدثت عن مذهبه الشيعي، وبيّنت من خلال الأمثلة مدى تأثر شعره بمذهبه، وقدمت الدراسة تعريفاً لعدد من الأدباء الذين كان لهم علاقات بابن منير وكشفت عن طبيعة هذه العلاقات.

وتحدثت الدراسة في الفصل الثاني عن ديوان الشاعر، وأبنتُ للقارئ صورة واضحة عن طبعتي الديوان بسلبياتها وإيجابياتها، وتتبعت في هذا الفصل شعر الجهاد، فوجدته يمتد في أكثر من نصف الديوان.

وقد تعددت موضوعات شعر الجهاد لديه مثل: الدعوة إلى الجهاد والتحرير، والدعوة إلى الوحدة. وتبيان صورة البطل، وصورة الفرنج، وصورة المعركة.

وكشف البحث عن وجود شعر هجاء للشاعر، يصل إلى ضعف ما ذكرته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر التي ترجمت له، وبينت أن قدرة الشاعر على استدعاء معاني الهجاء وصوره، وطول نفسه فيه، يعودان إلى تملكه ناصية اللغة والأدب، ولثقافته الواسعة، وأشرت إلى أسلوبه في الهجاء الذي يقوم على السخرية والاستهزاء وتصوير المهجو بأقذع الصفات وأشنعها من خلال أسلوب فكاهي ساخر.

وقد لاحظنا أن بقية الأغراض الشعرية لديه كالغزل، والمديح، والوصف والرثاء، متفاوتة فيما بينها، وأن كل فن من فنون الشعر يقصده الشاعر يستولي على محاسنه وفنونه، ويحرز أبكار معانيه وعونه- كما وصفه أسامة بن منقذ-.

وأظهرت الدراسة مواكبة ابن منير في شعره لانتصارات عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين زنكي، وتسجيلها.

وفي الفصل الثالث، تناولت التقويم الفني، فتحدثت عن التجربة الشعرية لدى ابن منير ودورها في إغناء شعره من خلال عدد من الأمثلة، وخلصت إلى القول بأنه كان أميناً في تجربته، فقد عبر عن مشاعر الأمة وأحاسيسها بكل أمانة وصدق، ووفق في رسم كثير من الصور الشعرية في قصائده.

وفي بناء القصيدة، أظهر البحث تمسك ابن منير بالصورة الأصيلة للشعر العربي منْ الابتداء والتخلص، والخواتيم، وما يتصل بذلك من حديث عن وحدة البناء ووحدة القصيدة.

وعرض البحث للغة والأسلوب الشعري لدى ابن منير، وبيّن أن تعدد الأسباب الشعرية التي استخدمها الشاعر في التعبير عن تجربته، ونقل أحاسيسه، ومشاعره، لم تأت مصادفةً، إنما جاءت عن وعي، بقصد إضفاء الصورة الجمالية على شعره، وليلفت انتباه المتلقي، وليكون أدعى إلى طرد الملل والسأم عند القراء.

لقد أكسب ابن منير اللغة دلالات جديدة، نفسية وحسيّة، ووضعها في تراكيب ذات علاقات غير مألوفة، فأخذ يشتق من الأسماء الأعجمية، ومن أسماء البلدان أفعالاً ليوافق المجانسة.

ومن الظواهر اللافتة في شعره: الإكثار من الألفاظ الغريبة والمهجورة، مما يكلف القارئ جهد العودة إلى المعاجم اللغوية، ولعل مرد ذلك عائد إلى سعة ثقافته وإطلاعه وإلى نوع من استعراض المقدرة اللغوية أمام حساده ومنافسيه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما يتعلق بالمعجم الشعري الذي استخدمه الشاعر، لوحظ تسرب بعض الألفاظ الأعجمية، وعدد غير قليل من الألفاظ العامة، وما تبقى من ألفاظ جاءت ذات دلالات اجتماعية اقترنت ببيئته، ومجتمعه، وأحداث عصره.

وتحدثت عن الصورة الشعرية عند ابن منير، وتبين من خلال الدراسة، أن الصورة لم تكن قالباً جامداً، بل تنوعت طرائق تشكيلها بين التشخيص، والحركة، وأطياف الألوان، إضافة إلى اعتمادها على البديع والبيان، وبدا بوضوح تأثر ابن منير في صوره بالقرآن الكريم وضوحاً لافتاً للنظر، وذلك لأن الصراع بين المسلمين والفرنج صراع عقدي، فلا غرو أن يرتد الشاعر إلى تراثه الإسلامي ليستمد منه القوة لمجابهة العدو.

وعرضت في نهاية الفصل الثالث لأقوال العلماء في ابن منير، وأتيت على ما يقرب من عشرين عالماً بين أديب، وشاعر، وناقد، ومؤرخ، وقد بيّنت هذه الأقوال المكانة المرموقة التي احتلها شاعرنا بين شعراء عصره، وذلك لما امتاز به شعره من دقة ومتانة، وخفّة، وطرافة، مما جعل معظم الأدباء والشعراء والنقاد والمؤرخين يثنون عليه، ويجعلونه في مقدمة شعراء الشام في ذلك العصر، وقد أكثر العماد الأصفهاني مدحه، والثناء عليه، وذكر ثناء مجد العرب العامري عليه بقوله:

«شعره ككنيته حسن، ونظمه كلقبه مهذّب، أدق من الماء الزلال، وأدق من السحر الحلال».

وفي النهاية، أعقبت الدراسة بإضافة غير مسبوقة لمجموعة من أشعار الشاعر، خلت منها طبعتا الديوان، وبلغت عدة هذه الأشعار قرابة مئتي بيت، وهي في الحقيقة إضافة جديرة بالتنويه والذكر، إذا ما ذكرنا أن مجموع أشعار الشاعر في الديوان ألف وثمانماية بيت.

ويأمل الباحث أن يكون قد استطاع بهذه الدراسة تجلية جوانب هذا الشاعر، وأن يعرفه ويلقى الضوء على شعره الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداث تاريخية جسام، فكان كلا الطرفين يعرف بالآخر، أعني: فهذه الأحداث تعرف الشاعر، وهو بشعره يؤرخ لهذه الأحداث ويخلد ذكرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق

ما لم يرد في طبعتي الديوان

من أشعار ابن منير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يذكر دخول القيسراني إلى دمشق في إثر الحريق والنهب(١):

١ يَا طُوَيْسَ الشُّؤْمِ هذي الحَرَكَهْ ... أَلْحَقَتْ جِلَّقَ بِالمُؤْتَفِكَهْ
٢ جِئْتَهَا تُذْكِرُهَا عَهْداً مَضَى ... مِنْ تَوالِي الفِتَنِ المُشْتَبِكَهْ
٣ مَا صَحَتْ بَعْدُ مِنَ الكَأْسِ الَّتِي ... جُمْعَسَتْ مِنْكَ بِفَوْحِ المَتْنَكَهْ
٤ يَا رَسُولَ القَدَرِ الحَتْمِ إِلَى ... كُلِّ مَنْ سَدَّ عَلَيْهَا مَسْلَكَهْ
٥ جِئْتَ والدَّبَّابُ فَالطَّيَّارُ قَدْ ... حَرَّدَ النِّيلَ لَهَا مِنْ أَرْكَهْ
٦ حَصَدَ القَائِمَ حَتَّى جَعَلا الب ... ـطنَ والمَتْنَ كَمَتْنِ المَسْلَكَهْ
٧ فَغَدَتْ رَفْعَاءَ كَالفَقْعَاءِ مِن ... بَعْدِ مَا كَانَتْ كَشَوْكِ الحَسَكَهْ
٨ يَا أَبَا الكَعْبِ الَّذِي مَا حَطَّ فِي ... بُقْعَةٍ إِلاَّ أَطَارَ البَرَكَهْ
٩ لَكَ رِجْلٌ قُطِعَتْ لَو جُمِعَتْ ... تَحْتَ كِيوَانٍ لَهَدَّتْ فَلَكَهْ
١٠ شُؤْمُهَا أَسْرَى مِنَ السَّمِّ فَمَا ... رَبَّ لِلْمَسْمُوعِ إِلاَّ أَهْلَكَهْ
١١ لَفَحَتْ غَلَّةُ بُصْرَى لَفْحَةً ... لَمْ تَدَعْ فِي رَأْسِ عُودٍ حَسَكَهْ
١٢ وَدَهَتْ سَرْحَكَ مِنْهَا ضَرْخَةٌ ... فَرَطَ الأَغْضَفِ مِنْهَا سَكَكَهْ
١٣ وَمَضَى البَلْخِيُّ مُذْ أَسْعَطَهَا ... نَادِباً حُرْمَتَهُ المُنْتَهِكَهْ
١٤ فَارِقَ الدَّكَّةَ والبُرْكَةَ والـ ... ـفُرْشَ تُحْشَى بِالقِفَاحِ المُودِكَهْ(١)
١٥ وَثَعَابِينَ الظُّهُورِ ارْتَعَضَتْ ... مِنْ حَوَادِيبِ البُطُونِ العَلِكَهْ
١٦ أَيَّ صَيَّادٍ تَصَدَّيْتَ لَهُ ... فَجَفَا الشَّصَّ وَشَقَّ الشَّبَكَهْ
١٧ وَطَوَى الذَّيْلَ عَلَى تَلْتَلِهِ ... بَعْدَهَا إِلاَ اسْتَدْخَلْتَهَا سَمَكَهْ(٢)
١٨ فَاحِشُ القَحْلَةِ سَاوَى عِنْدَهُ ... مُجْعِرُ المَهْرِ مُبَالِ الرَّمَكَهْ
١٩ لاَ يُبَالِي أَيَّ دَرْبٍ حَلَّهُ ... بَعْدَ أَنْ حَلَّ إِلَيْهِ تَكَكَهْ
٢٠ شَرَّدَتْهُ طَلْعَةٌ إِنْ صَبَّحَتْ ... أَرْضَ قَوْمٍ عَبَقَتْهَا الدَّكْدَكَهْ

(١) هذه الأشعار الواردة في الملحق، تفضل بإهدائها إليّ الدكتور «شفيق الرقب» المدرس بجامعة مؤتة، «وهي جزء من مخطوط شعر ابن منير الموجود في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا». فأسدى لي جميلاً كريماً لا أنساه جزاه الله خيراً.

(٢) منكسر الوزن من الأصل.

(٣) منكسر الوزن من الأصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١ لَمْ يُمِلْ وَجْهاً إِلَى مَالٍ ثَرٍ ... قَطُّ إلاَ تَرَكَتْهُ تَرِكَهْ
٢٢ لاَ ولاَ طَرَّ لَهَا شَدْقٌ عَلَى ... مَأْمَنٍ إلاّ وأَمْسَى مَعْرَكَهْ
٢٣ يَا «مُجِيرَ الدِّينِ» مَنْ دَلَّ عَلَى ... رَبْعِكَ المَأْهُولِ هَذِي الهَلَكَهْ
٢٤ مَنْ مِنَ الحُسَّادِ مَا حَوَّلَكَ اللّـ ... ـهُ أَهْدَى لَكَ هَذِي الشَّبَكَهْ
٢٥ مَنْ رَمَى مَغْنَاكَ لاَ رِيعَ بِمَنْ ... كُلُّ مَنْجَاةٍ نَحَاهَا مَهْلَكَهْ
٢٦ مَنْ إِذَا لاَحَقَ شَمْلاً بَتَّهُ ... وإِذَا عَنَّ لِوَصْلٍ بَتَّكَهْ
٢٧ أَيَّ دارٍ أَمَّهَا مَا غَمَّهَا ... أَيَّ سَتْرٍ ضَمَّةً مَا هَتَكَهْ
٢٨ أَيُّ سَمْعٍ حَجَّهُ مَا حَجَّهُ ... أَيُّ سُرْمٍ حَكَّهُ مَا حَتَّكَهْ

وقال:

١ لَسْتُ مِمَّنْ يَقْشَعِرُّ ... فَأَقَلُّوا أَوْ أَكْثَرُوا
٢ لِي نَفْسٌ مِنْ مُطْعَمِ الـ ... ـعَذْلِ فِي العَذْلِ تَنْفِرُ
٣ وهِيَ مِنْ خَوْدَةٍ أَمَـ ... ـلُّ وأَبَى وأَنْفَرُ
٤ أَنَا أَطْوِي سِرِّي ويَجْـ ... ـرَحُ صَدْرِي فأَنْشُرُ
٥ كَمْ أُدَارِي كَمْ أُدَرِّي ... كَم أُداجِي كَم اسْتُرُ
٦ رَقَّ دِينِي مِنَ العُلُو ... قِ وطَابَ التَّنَصُّرُ
٧ مَنْ إِذَا مِنْ دُيُونِهِ ... مِنْ مَخَازِيهِ نِيلَ قَدْرُ
٨ زَاهِدٌ بِالنَّهَارِ يَتْـ ... ـلُو وبِاللَّيْلِ يَمْخُرُ
٩ فَهُوَ بِاللَّيْلِ عَبْلَةٌ ... ومَعَ الصُّبْحِ عَنْتَرُ
١٠ وفَقِيهٌ إِذَا تَصَدَّ ... رَ خَيْرٌ مُكَرَّرُ
١١ سُرْمَةٌ كَالمِدَادِ والـ ... ـوَجْهُ كَالوَرْسِ أَصْفَرُ
١٢ وعَلَيْهِ مِنَ الثَّنَا ... لِيلُ قَرْحٌ مُبَشِّرُ
١٣ فَتَرَاهُ كَأَنَّهُ ... جُعْسُ دَخْرٍ مُكَزْبَرُ
١٤ عِنْدَهُ مَاءُ مَنْ عَلاَ ... هُ مِنَ المَاءِ أَطْهَرُ

١٥ عَـــالَـــمٌ عَـــالَـــم بِـــسِـــرِّ المَخَـــاصِـــي مُـــبْـــحَـــتَـــرُ
١٦ وَجْـــدُهُ نِـــصْـــفُ نِـــسْـــخَـــةٍ وَوِطَـــاءٌ ودَفْـــتَـــرُ
١٧ جِـــئْـــتُـــهُ وَهْـــوَ فِـــي الصَّـــلا ةِ ومِـــلْـــسٌ(١) مُـــزَيَّـــرُ
١٨ قُـــلْـــتُ يَـــا سَـــيِّـــدِي مَـــتَـــى قَـــالَ: اللَّـــهُ أَكْـــبَـــرُ
١٩ قُـــلْـــتُ: خَـــفِّـــفْ فَـــقَـــدْ تَـــكَـــرْ دَسَ فِـــي الـــدَّرْبِ عَـــسْـــكَـــرُ
٢٠ جَـــاءَ جَـــيْـــشُ الـــبَـــرْبَـــرِيِّ وَفِـــي أَوَّلِ الـــقَـــوْمِ سَـــعْـــتَـــرُ
٢١ جَـــاءَ عُـــشَّـــاقَكَ الَّـــذِيـ ـــنَ مِـــنَ الـــنَّـــمْـــلِ أَكْـــثَـــرُ
٢٢ نَـــافِـــشُ الـــدَّقْـــنِ أَيَّ تَـــأْبَـــةٍ(٢) ـــنِـــي مِـــنَ الـــلُّـــبِّ أَعْـــطَـــرُ
٢٣ وَأَبُـــو بَـــكْـــرِ بْـــنِ الخَـــطِـــيـ ـــبِ الـــقَـــتِـــيلِ الـــمُـــعَـــفَّرُ
٢٤ قَـــمَـــرٌ فِـــي سَـــوَادِهِ مِـــنْـــهُ حَـــشٌّ مُـــقَـــيَّـــرُ
٢٥ عَـــاشِـــقٌ مَـــنْ حَـــوَى هَـــوَا كَ تَـــرَاهُ يُـــطَـــرْطِـــرُ
٢٦ وَزُعَـــيْـــطُ الحَـــدَّادُ تَـــعْـ ـــمِـــيـــهِ صَـــفْـــعًـــا فَـــيَـــشْـــكُـــرُ
٢٧ رَأْسُـــهُ سِـــنْـــدِ لَانَـــهُ تَحْـــتَ نَـــعْـــلَـــيْـــكَ أَصْـــبَـــرُ
٢٨ والمُـــغَـــنِّـــي عَـــطَّافَ يَمْـ ـــشِـــي عَـــشِـــيًّـــا فَـــيَـــعْـــثُـــرُ
٢٩ ويُـــغَـــنِّـــي «عَـــدِمْـــتُ صَـــبـ ـــرِي ومَـــاتَ التَّـــصَـــبُّـــرُ
٣٠ أَنَـــا واللَّـــهِ مَـــيِّـــتٌ فَـــأَطِـــيلُـــوا أَوْ أَقْـــصِـــرُوا
٣١ لَـــيْـــسَ لِـــي فِـــي دِمَـــشْـــقَ قَـــلـ ـــبٌ رَحِـــيمٌ فَـــيَـــعْـــذُرُ
٣٢ وَعَـــتِـــيقٌ لَـــهُ عَـــتِـــيـ ـــقٌ عَـــبِـــيدٌ مُـــحَـــرَّدُ
٣٣ كَـــابْـــنِ مَـــوْلَاهُ كُـــلَّ يَـــوْ مٍ نِـــضْـــفِـــي(٣) وَتَـــهْـــجُـــرُ
٣٤ وَكَـــذَا المُـــغْـــزِلُ المُخَـــبَّـ ـــلُ شَـــكْـــلٌ مُـــكَـــعْـــبَـــرُ
٣٥ قَـــدُّ عُـــوجٍ مِـــنْ قَـــدِّهِ الـــسَّـــمْـــحِ الطَّـــوْلِ أَقْـــصَـــرُ
٣٦ وَقَـــقِـــيرٌ لَـــهُ سِـــبَـــا لٌ مِـــنَ الـــطَّـــعْـــنِ أَغْـــبَـــرُ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال يصف القاضي الأعز اللبان وعمامته:

١ يا وزير الشام دعوة مظلو ... م رجا من علاك كشف الظلامه
٢ مستجيراً بمجلس ثبت الله ... ه على رغم ضده أيامه
٣ من وزير بصور قد كان منشا ... ه وقد جاءنا بزي كتامه
٤ هو قاض كما يقول ولكن ... ما عليه من القضاء علامه
٥ عمة تملأ الفضاء على وجـ ... ـه ضئيل كعشر عشر القلامه
٦ وعليها من التصاوير ما لم ... يجمع الدقس بعضه أو قمامه
٧ لو تخذنا البحر المحيط مداداً ... وجعلنا بيت الدنا أقلامه
٨ لم تمثل معشار ما صورت بيـ ... ـن شوابيرها يد الرقامه
٩ من وحوش رواتع وظباء ... رتع بين أثلة وثمامه
١٠ وكلاب قد أضريت وبزاة ... فوق ما ثورت له حوامه
١١ وصنوف العشاق من عاهر تشـ ... ـكو هواها وقحبة مستهامه
١٢ مثل قيس عشيق لبنى وعبا ... س وفوز والقس مع سلامه
١٣ وملوك البلاد في الشرق والغر ... ب ونجد ومكة وتهامه
١٤ والنبيون كل من أظهر الحـ ... ـق وأودى بصدقه أعلامه
١٥ فعليها أبو الخلائق قد عـ ... ـوض دار الدنيا بدار المقامه
١٦ وعليها قابيل يدفن هابيـ ... ـل وفزنا من بعده بالندامه
١٧ وعليها الغراب يبحث في الأر ... ض طلوبا يحثه الهامة إلهامه
١٨ وعليها نوح وقد صنع الفلـ ... ـك وأبدى في بنيها أحكامه
١٩ وعليها الخليل يدعو إلى الله ... إياه مكسراً أصنامه
٢٠ وعليها موسى يناجي من الطو ... ر إله السماء يبغي كلامه
٢١ وعليها شعيب إذ خانه النهـ ... ـض وموسى يرعى له أغنامه
٢٢ وعليها يعقوب يشكو إلى الله ... بنيه وبثه وغرامه
٢٣ وعليها المسيح يمسح رأس السـ ... ـمين قد رد روحه فأقامه
٢٤ وعليها ذو النون قد قاءه الحو ... ت صدلا سخناً حليف ذمامه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٥ وَعَلَيْهَا النَّبِيُّ فِي آخِرِ المَرْ ... ضَةِ يَبْغِي تَجْهِيزَ جَيشِ أُسَامَهْ
٢٦ وَعَلَيْهَا الصِّدِّيقُ يُؤْنِسُهُ فِي الـ ... ـغَارِ والمُشْرِكُونَ يَبْغُونَ ذَامَهْ
٢٧ وَعَلَيْهَا الفَارُوقُ يُطْنِبُ فِي الشُّو ... رَى وَصَحْبُ النَّبِي تُعْلِي خِصَامَهْ
٢٨ وَعَلَيْهَا المَحْصُورُ فِي الدَّارِ والجَيْـ ... ـشُ يَرنُ(١) قَذْفُهُ واتِّهَامَهْ
٢٩ وَعَلَيْهَا الوَصِيُّ... ...(٢)
٣٠ وَعَلَيْهَا عَمْرُو يُنَاجِي أَبَا مُو ... سَى لأَمْرٍ أَلْقَى إِلَيْهِ زِمَامَهْ
٣١ وَعَلَيْهَا الشَّهِيدُ يُذْبَحُ بالطَّـ ... ـفِّ وَلَمْ يَنْقَعِ الفُرَاتُ أُوَامَهْ
٣٢ وَعَلَيْهَا الإِسْكَنْدَرُ المَلِكُ الرُّو ... مِيُّ يَزْجِي إِلَى البِلادِ لِهَامَهْ
٣٣ وَعَلَيْهَا كِسْرَى «أَبَرْوِيزَ» و«بَهْرَا ... مَ» وَقَدْ رَاشَ لِلنِّضَالِ سِهَامَهْ
٣٤ وَعَلَيْهَا سَيْفٌ عَلَى رَأْسِ غُمْدَا ... نَ وَقَدْ شَدَّ بِالصُّخُورِ دِعَامَهْ
٣٥ وَعَلَيْهَا الزَّبَّاءُ قَدْ غَرَّدَ القَيْـ ... ـلُ فَقِيلَ أُنْسِي(٣)حناه(٤) حِمَامَهْ
٣٦ وَعَلَيْهَا قَصِيرٌ فَوْقَ عَصَاهُ ... جَادِعاً «مُوزِدرها»(٥) وإِكَامَهْ
٣٧ وَعَلَيْهَا ابْنُ عَادِيَاءَ وَقَدْ بَا ... ءَ بِتَكْلٍ وَلَمْ يُضَيِّعْ ذِمَامَهْ
٣٨ وَعَلَيْهَا المَلِكُ ابْنُ حُجْرٍ وَقَدْ سَا ... رَ إِلَى قَيْصَرَ فَلاقَى الكَرَامَهْ
٣٩ وَعَلَيْهَا يَأْجُوجُ يَسْبِقُ مَأْجُو ... جَ إِلَى السَّدِّ أَوْ يَرُومُ مَرَامَهْ
٤٠ وَعَلَيْهَا الحَجَّاجُ فِي القُبَّةِ الخَضْـ ... ـرَاءِ قَدْ سَنَّ فِي العِرَاقِ انْتِقَامَهْ
٤١ وَعَلَيْهَا الصِّدِّيقُ يُوسُفُ والقِبْـ ... ـطِيُّ فِي السِّجْنِ حَاكِياً أَحْلامَهْ
٤٢ وَفَتَاةُ العَزِيزِ قَدْ قَدَّتِ الثَّوْ ... بَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَجَدَّ انْهِزَامَهْ
٤٣ وَعَلَيْهَا دَاوُدُ قَدْ صَكَّ جَالُو ... تَ لَدَى مَشْرَبٍ يُخْشَى سَمَامَهْ
٤٥ وَسُلَيْمَانُ فَوْقَ كُرْسِيِّهِ والطَّيْـ ... ـرُ والوَحْشُ فَوْقَهُ وأَمَامَهْ
٤٦ والشَّيَاطِينُ كُلُّ بَانٍ وَغَوَّا ... صٍ يُخَرُّونَ سُجَّداً قُدَّامَهْ
٤٧ وَعَلَيْهَا بِلْقِيسُ والعَرْشُ والصَّرْ ... حُ وَقَدْ سُمُوتُ(٦) تَخُوضُ حِمَامَهْ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٤) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٥) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٦) الكلمة مطموسة في الأصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٨ وعَلَيْهَا أيُّوب إذْ مَسَّهُ الضُّـ ـرُّ وقَدْ قَلَّ مشهد(١) أسْقَامُهْ
٤٩ وعَليَا عُزَيْرٌ قَدْ عَاشَ بَعْدَ الـ ـمَوْتِ والدَّهْرُ سَنَّهُ طَعَامُهْ
٥٠ وعَلَيْهَا الحِمَارُ قَدْ لأَمَ اللَّـ ـهُ لَدَيْهِ أوْصَالَهُ وعِظَامُهْ
٥١ وعَلَيْهَا جَيْشُ ابنِ مَاهَانَ إذ دَوَّ خَهُ طَاهِرٌ وقَلَّ اغْتِرَاقُهْ
٥٢ وعَلَيْهَا مُخَارِقٌ والشَّرِّيحِـ ـيُّ واسْحَقُ يَسْتَحِثُّ رِنَامُهْ(٢)
٥٣ وابْنُ أوْسٍ والبُحْتُرِيُّ ومِهْيَا رُ كَئِيباً يَبْكِي لِسُكَّانِ رَامُهْ
٥٤ وضَرُوبُ النَّبَاتِ مِنْ يَافِعٍ غَـ ـضٍّ ومِنْ زَاهِرٍ تَفَرَّى كَمَامُهْ
٥٥ ومِنَ الطَّيْرِ كُلُّ دَانٍ مُسِفٍّ وبَعِيدٌ هَابَ المَرَامِي مَرَامُهْ
٥٦ مِنْ غُرَابٍ وتُدْرُجٍ وقَطَاةٍ وعُقَابٍ ولَقْلَقٍ وحَمَامُهْ
٥٧ كُلُّ خَلْقٍ في البَرِّ والبَحْرِ يَلْقَى مِثْلَهُ بَيْنَ طُرْزِ تِلْكَ العِمَامُهْ
٥٨ فَلَوْ أنَّ الإلَهَ يَنفُخُ فِي الصُّـ ـوَرِ لَكَانَتْ مِنها تَقُومُ القِيَامُهْ
٥٩ لا تَقُولُوا كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ ثَبَا تاً فَوقَ رأسٍ أخَفُّ مِنْ دَوَّامَهْ
٦٠ غَيْرَ بِدْعٍ أنْ تَحْمِلَ الأرْضُ مِنْهَا ولَهَا مِنْ قَرْنَيْهِ أقْوَى دَعَامَهْ
٦١ أحْمَقٌ لَوْ يُقَالُ فِي بَلَدِ الصِّيـ ـنِ طِرَارٌ أمْسَى بِأرْضِ اليَمَامَهْ
٦٢ كَانَ فِي بَانِيَاسَ يَقْضِي فَلا يَنـ ـفِذُ فِي قَدْرِ بَعْرَةٍ أحْكَامُهْ
٦٣ ونَرَاهُ مَا بَيْنَنَا قَدْ تَحَلَّى حِلْيَةً مَالُهَا عَلَيْهِ وسَامَهْ
٦٤ شَقَّعَ طُرْزٍ ونَقْشُ ذَقْنٍ وتَطْوِيـ ـلُ ثِيَابٍ لَهُ وحَشْوُ عِمَامَهْ
٦٥ ومَحَلٌ دُونَ السَّمَاءِ وقَدْرٌ يَأنَفُ الحَشُّ أنْ يَكُونَ دِعَامَهْ
٦٦ مَكَّنَ اللَّهُ ذِرْوَتِي مِنْ أعَالِي سُفُلٍ يَدَّعُونَ فِيهِ الإمَامَهْ
٦٧ كُلُّ قَيْلٍ إذَا رَآهُ تَرَدَّى خَاضِعاً رَاكِعاً ذَلِيلاً أمَامَهْ
٦٨ قَائِلاً يَا عُذَيْرَ حَاتِمِ الطَّـ ـائِيِّ فِي مَا يُوَلِّي وكَعْبِ بنِ فَامَهْ(٣)
٦٩ يَا جَمَالَ القُضَاةِ يَا مِنْحَةَ الدَّنْـ ـيَا ومَنْ فِي الشَّامَيْنِ أصْبَحَ شَامَهْ

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٢) الكلمة مطموسة في الأصل.
(٣) الكلمة مطموسة في الأصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٠ يَا مَلِيحَ الشَّبَابِ يَا أَنْضَرَ النَّا ... سِ ويَا أَحْسَنَ البَرِّيَةِ قَامَهْ
٧١ كُلُّ هَذا نَصْبٌ عَلى الخَرْبِ البَيْـ ... ـتِ لِيَفْنُوا حُلْقَانِهِ وطَعَامَهْ
٧٢ وَهْوَ إِذْ ذَاكَ لَا يُرِيدُ سِوَى تِيـ ... ـهِ عَلَيْهِم وسَطْوَةٍ وعَرَامَهْ
٧٣ يَصْطَفِي بَعْضَهُمْ ويُبْعِدُ بَعْضاً ... لِيُرِى ذَا إِهَانَةٍ وكَرَامَهْ
٧٤ وإِذَا مَا حَيَّاهُ رَدَّ بِشَابَا ... شٍّ عَلَيكُمْ سَلَامُ بِنَامَهْ
٧٥ وَلَهُ مِنْ أَخِيهِ أَو أُخْتِهِ فَرْ ... هُ حِجْرٍ كَأَنَّهُ سَمَّامَهْ
٧٦ مِنْ بَقَايَا مَنْ كَانَ فِي صُورٍ يَبْغِي ... رِزْقَهُ مِن حِيَاكَةٍ وحِجَامَهْ
٧٧ لَوْ تَرَاهُ إِذَا المُسْقِعُ فِي المَجْلِـ ... ـسِ والحَفْلُ مُطْهِئِزًا أَعْظَامَهْ
٧٨ عَاقِدًا دُسْتَ حَشْمِهِ لَا يُرَى المَأْ ... مُونُ فِيهَا وَلَا الرَّشِيدُ غُلَامَهْ
٧٩ وَلَدَيْهِ شِبْهُ الخَلِيفَةِ لَوْلَا ... لَمْحَةٌ مِن دَلَالٍ مِنْ حَمَاقَهْ
٨٠ فَايِقٌ رَايِقٌ حَرِيصٌ عَلَى الخِدْ ... مَةِ مِنْ غَيْرِ ضَجْرَةٍ ومَنَامَهْ
٨١ حَاجِبٌ حَاجِبٌ وُجُوهَ السَّعَادا ... تِ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ كَالغَمَامَهْ
٨٢ قِطْعَةٌ مِن هُدَابِ سِتْرٍ قَدِيمٍ ... لَمْ تُبَقِّ الأَيَّامُ إِلَّا رِمَامَهْ
٨٣ كَانَ لَمَّا أَنْ التَقَى فِيهِ بِالمَا ... ءِ وأَجْرَى عَلَى البِلَادِ رِكَامَهْ
٨٤ وَضِرَاطٌ مُصَهْرِجٌ وَفُسِيٌّ يَعْـ ... ـمِي إِذَا جَاضَتِ الأُنُوفُ قُتَامَهْ
٨٥ وَحُشَاءُ هُوَ الخُرَاةُ بِكَافٍ ... شَبَّهُوهُ وَلَا أُقِيمَ مَقَامَهْ
٨٦ وَتَرَى بَعْضَهُم يُجَمِّعُ دَرْسَيْـ ... ـهِ وأَدْبَالَهُ وَيُخْفِي انْصِمَامَهْ
٨٧ ثُمَّ يَفْسُو حَتَّى إِذَا اخْتَنَقَت يَنْـ ... ـقِصُ فِي وَسْطِ ذَقْنِهِ أَكْمَامَهْ
٨٨ غَضْبَةٌ لَوْ قَفَنْدَرٌ رَامَ بَالِيـ ... ـقَاءِ لَهَا أَفْسَدَت عَلَيْهِ قَرَامَهْ
٨٩ هَجَرونِي وَكُنْتُ أَكْيَسُ مِن عُو ... شِرَ فَرْدًا لأُرَى قَلِيلَ العَرَاقَهْ
٩٠ لَا سُعَالِي وَقْتَ الدَّبِيبِ لَهُ حَشْـ ... ـرَجَةٌ تَمْنَعُ القَمْلَ قِيَامَهْ
٩١ أَنْوَمُ النَّاسِ إِنْ سَمِعْتَ بِحِسٍّ ... وَنَدًى إِنْ ضَحِكَتْ لِي كَعَامَهْ
٩٢ صَادَفْتُهُ دَاخِلَ السَّفِينَةِ فَالتَـ ... ـفَّ عَلَيْهَا وَذَاكَ وَجْهُ السَّلَامَهْ
٩٣ وَهُوَ مِن مَا قَد كَانَ أَجْدَادُ إِدْرِيـ ... ـسَ أَعَارُوا أَسْمَاءَهُم أَعْلَامَهْ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٤ رقّ حَيَّ لو مُسَّ بالوَهْم لَم تُدْ ... رِكْهُ حَتّى يُراجِعَ اسْتِفْهامَهْ

٩٥ وَغُلامُ الفِراش حَدَّ اسْمَه يَكْ ... سِرُ مَا بَيْنَ مِنْخَرَيْهِ جُعَامَهْ

٩٦ وإذا أزَلّ أو تَثَاقَل عَن شُغْ ... لٍ وَلَم يَلتَفِتْ إلَى مَا سَامَهْ

٩٧ صَاحَ لاَ حَوْل يَا مراكو(١) بالعِ ... تَابِ مَا مِلَّتَانِ صَحَّ لِي مَقَامَهْ

٩٨ فَتُوا فِي وَصْفُهُ رَيْعُهُ القَدْ ... رُ يُنَافِي مِنَ العَضْبِ قَوَامَهْ

٩٩ طِفْلَةٌ خَضَّبَتْ أنَامِلَهَا العَشْ ... رُ خِضَابًا أقَامَ فِي الحِجْرِ عَامَهْ

١٠٠ ثَقَّبُوهَا وَمَا تَفَلَّك شَفْرًا ... هَا لَدَى مَات اُستِهَا تَمْتَامَهْ

١٠١ وَلَهَا نُورُ كَلْبَةٍ وشَخَا بُو ... مٍ وعَيْنَا قِردٍ وَسَاقا نَعَامَهْ

١٠٢ تَنْقُلُ الحِبْرَ والإِدَامَ وَقَدْ زَا ... دَ فَمَا سَالَ مِنْ يَدَيْهَا زُهَامَهْ

١٠٣ عِنْدَهَا نَسْرَاتُ جَعْفَرٍ والأَ ... كُلُ يُنسِي أذَانَه والإِقَامَهْ

١٠٤ ويُنَادِي وَالجُوعَ قَد هدّ حَنَيـ ... ـنَهُ وَقَدْ عَرَّ الطَّوَى هِنْدَامَهْ

١٠٥ رَبِّي احْرُسْ بِالكَهْفِ والصَّفِّ والأنْـ ... ـعَامِ مَنْ نَحْنُ نَمْتَرِي أنْعَامَهْ

١٠٦ ويُنَادِي عَبَّاسُ لاَ مِتُّ حَتَّى ... أتَمَلَّى كُؤسَهُ والعَلاَمَهْ

١٠٧ فَيَفِدِي القَاضِي رَغِيفًا بِعَيْنَيْـ ... ـهِ ويُخْفِي مَصْتَلَه واستلامه

١٠٨ ويُغَنِّي مَوْلاَيَ هَذَا الَّذِي حَرَّ ... عَلَى آدَمَ الأَجِينَ رَامَهْ

١٠٩ وَالَّذِي مَيَّزَ الخَلاَئِقَ شَطْرَيْـ ... ـنِ فَشَطْرٌ فَوْزٌ وَشَطْرٌ نَدَامَهْ

١١٠ والَّذِي قَدْ مَدَحْتُ فِي هَل أتَى مُو ... قِسَ فَأزْوَا إذ أثَرُوا إطْعَامَهْ

١١١ والَّذِي قَدْ جَعَلْتُ هُجْرَانَه أنْـ ... ـهُ شَهْرٌ فُرِضَتْ فِينَا صِيَامَهْ

١١٢ وإذَا مَا تَبَاذَلُوا فَقَضَائِي ... بَيْنَهُم يُؤْمَرُ الغَيُورُ خِصَامَهْ

١١٣ مَنْ طَغَا نِكْتُهُ وَأَلْزَمْتُهُ الحَقَّـ ... ـهَ فَكُنْتُ الرَّاعِي وكَانُوا سَوَاقَهْ

١١٤ لَيْتَ شِعْرِي وَلِلزَّمَانِ يَدٌ تَنْـ ... ـقُضُ مَا أحْكَمَ الفَتَى إبْرَامَهْ

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٥ أيّ وجـــهٍ دهيتُ منه فقد عُـ ... ـدتُ إلى قذع حرفتي بالملامه

١١٦ وإلى من يشكو معاشر قوم ... دفنوه وعذروه قدامه

١١٧ أحرق الجوعُ بعد فرقتهم كبـ ... ـدي وأضنى جسمي انتفاخ الحمامه

١١٨ فتراني مثل الحمار نهاقي ... تمنع الوادع الخليّ منامه

١١٩ لا صديق «يبل فتعر ... غلة أنسرى ولا يمدد عراقه»(١)

١٢٠ سوء حظّ الفتى الذكيّ لحصّ السّـ ... ـنّ لا يملك السقي التقامه

١٢١ والزمانُ الزمانُ لا صولةً تمنـ ... ـع أن يحتوي بمين حطامه

١٢٢ يا شباع البطون لا بدّ من جو ... ع يليكُ البطين منكم لجامه

١٢٣ لا يغرّنكم مهادنة الدهـ ... ـر فما زال مسهراً من أنامه

١٢٤ كلّ شيء إذا ما تناهى إلى حـ ... ـدّ تمام فالنقص يتلو تمامه

(١) الكلمات مطموسة في الأصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال:

١ أحَبَابَنَا أيُّ دَار قَوْم بَيْنَكُمْ ... أصَارَ أكْنَافُ أحْشَائِي لَهُ كَنَفَا

٢ وأيُّ كَلْمٍ نكَأْتُمَ فِي الفُؤَادِ متَى ... دَاوَيْتُهُ لِوِي ذكْرَاكُمُ قُرفَا

٣ خَلَّفتُ عْنِدكُمْ قَلْبِي وَلِي خَلَفٌ ... فِيهِ وَهَيْهَاتَ أَلْقَى مِنكُمُ خَلَفَا

٤ واعْتَضْتُ بَعْدَكُمُ لَيْلاً أُسَهِّدُهُ ... ومَدْمَعَاً كُلمَّا نَهنَهتُهُ ذَرَفَا

٥ لاَذُقْتُ لَذَّةَ قُرْبِي مِنكُمُ أَبَداً ... إنْ كَانَ قَلْبِي المعُنَّى عَنْكُمُ انْحَرَفَا

٦ ولاَ اسْتَبَدَّت بِأَطْرافِ اليَرَاعِ يَدِيْ ... إنْ كَانَ طَرْفِي عَنْكُمْ سَاعَةً طَرَفَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال:

١ لَيْسَ اللَّمَا وحْدَهْ حنَى الأَلَمَا ... لَولاَ فُتُور الذَّي رَبَا ورَقَى
٢ خُذَا بثَاري هذَا وذَا فَهُمَا الَّ ... لَذَانِ دَلاَّ الصَّبَا عَلَيَّ هُمَا
٣ يَا عَلَمَ الحُسْن إنَّ هَجْرَكَ لي ... أقَامَ مِنِّي عَلَى الأَسَى عَلَمَا
٤ يَا قَلَماً قَلَّما يَحْبُر في ... سَطْرٍ ولَمْ يُخْفروصَفَهُ القَلَمَا
٥ ظَلَمَكَ هَذَا الَّذي أصَرَّ علَى ... ظُلْمي أمَا آنَ أنْ يبَاح أمَا
٦ مَا عَجَبٌ أنْ يَظَلَّ فَتْكُ دَمي ... صَبْرا فَمَنْ عَزَّ عَزَّكَ احْتَكَمَا
٧ يَا بَدْرُ مَنْ قَال إنَّ بَدْرَ دُجَى ... مِثْلُكَ في حُسْنِه فَقَدْ ظَلَمَا
٨ إنَّ رَحِيقاً بفِيكَ أنْطَقَني ... فَنِكْ بِحَقٍ وأَخْرِسِ الخُصَمَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق الخرائط

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

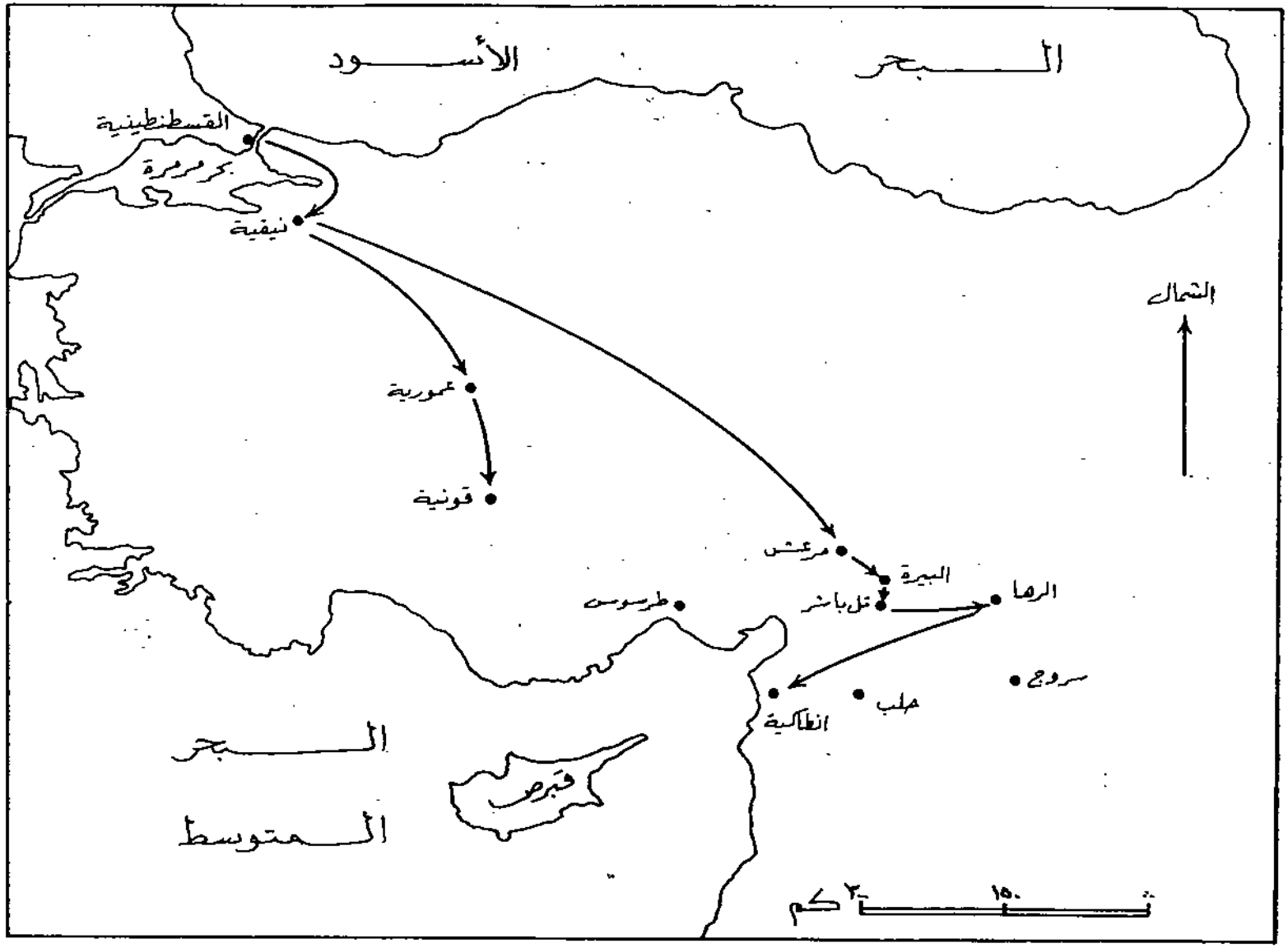

شكل ١ - التقدم الصليبي في آسيا الصغرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

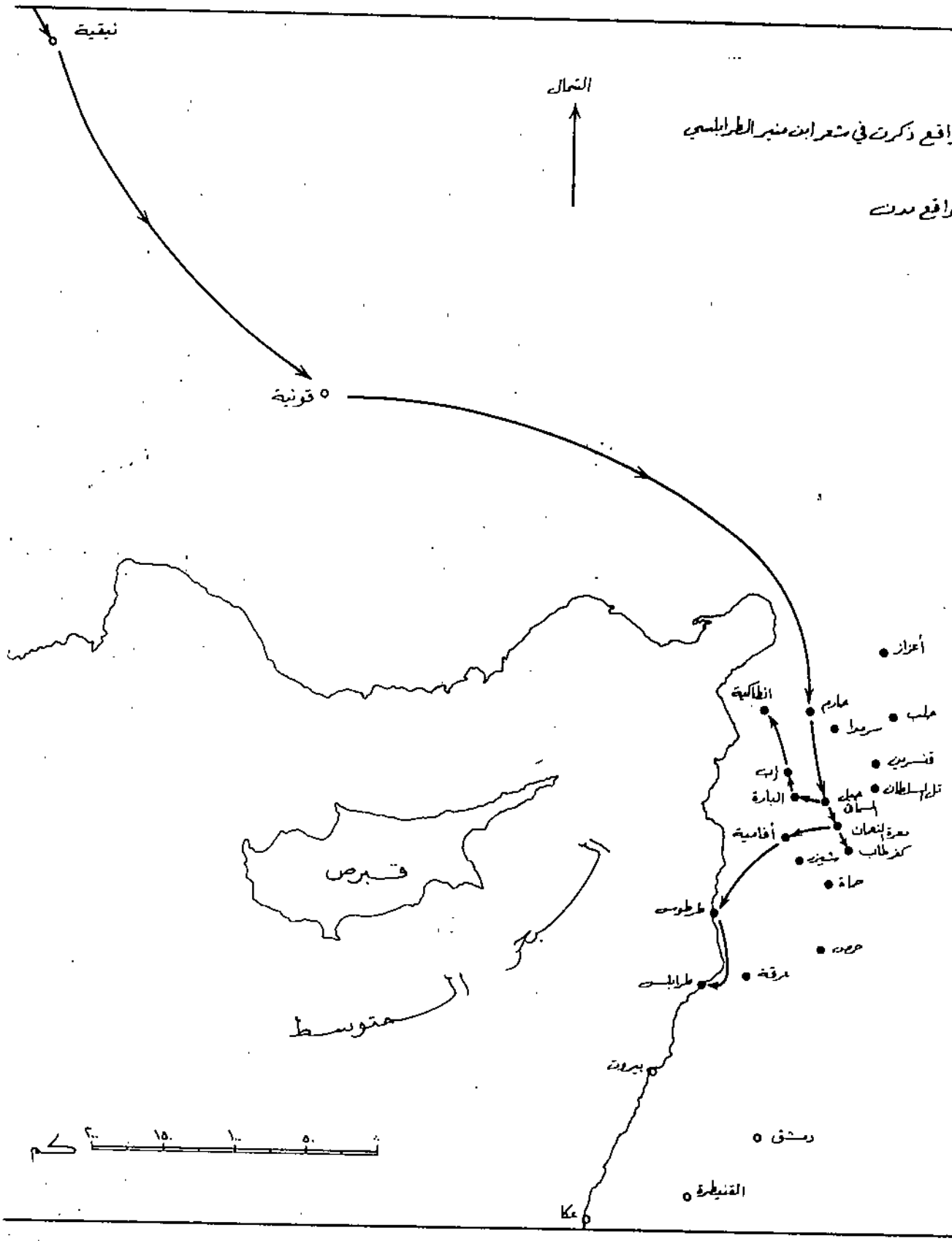

شكل ٢ - التقدم الصليبي في شمال بلاد الشام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

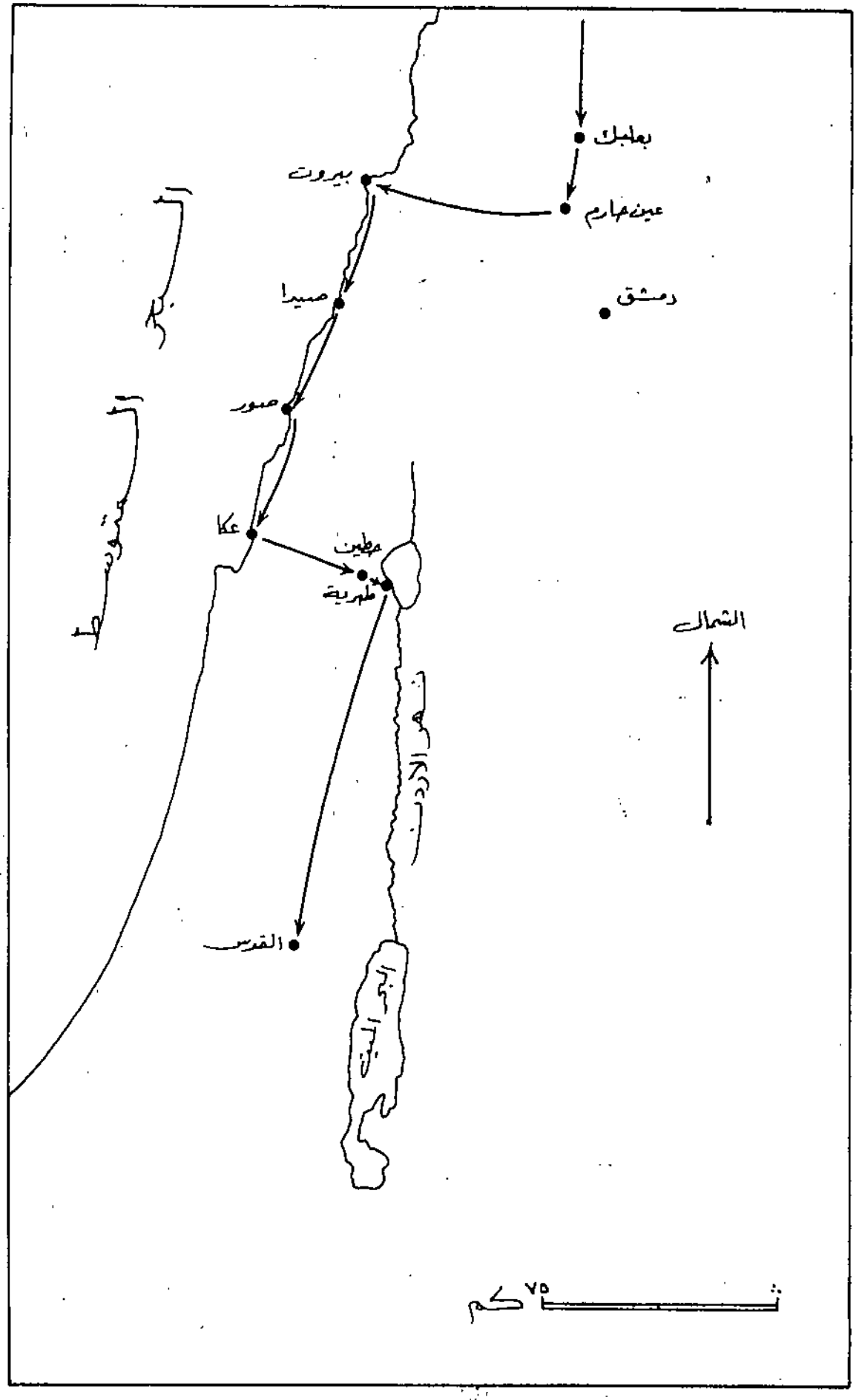

شكل ٣ - التقدم الصليبي في جنوب بلاد الشام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

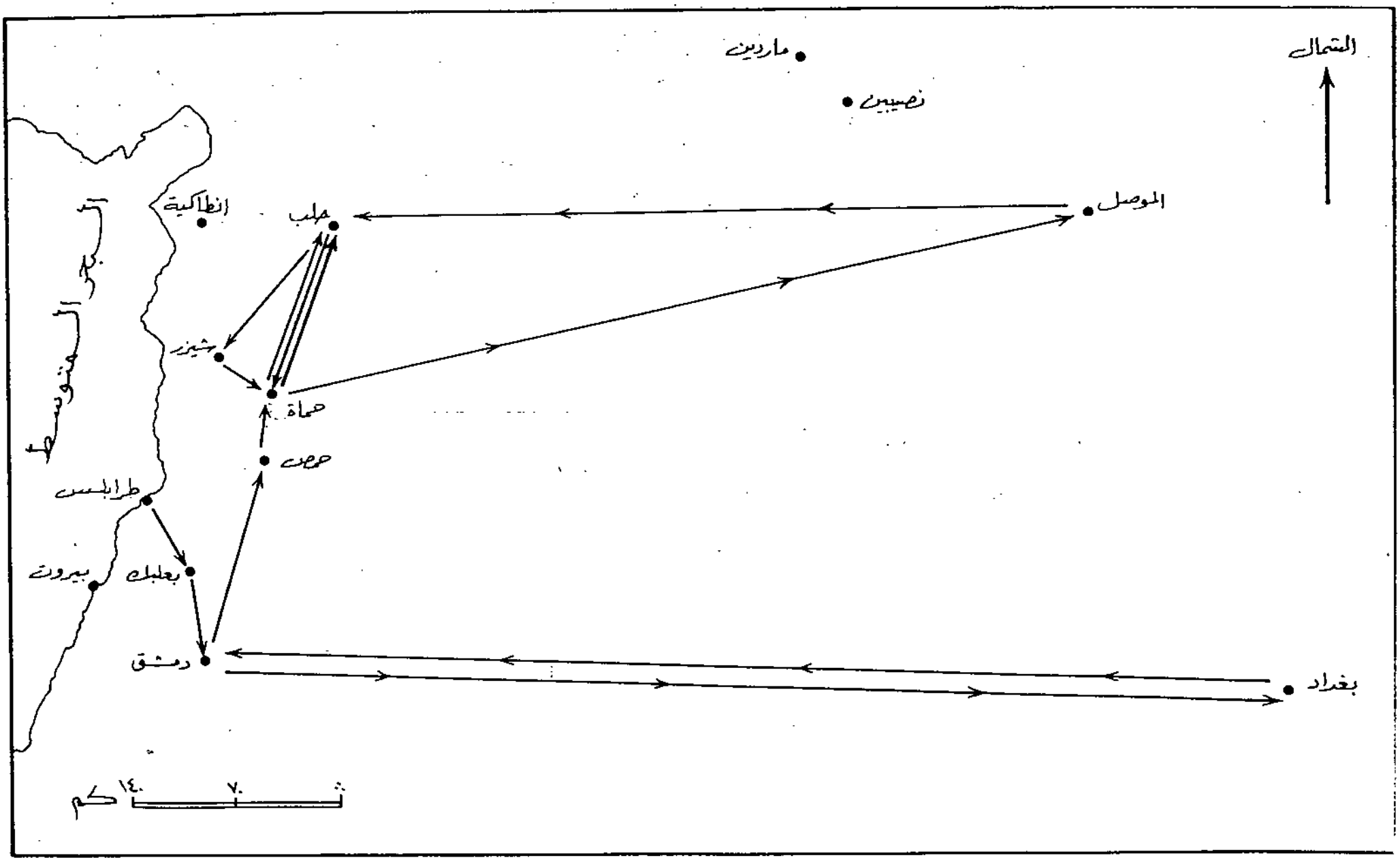

شكل ٤ - حركة ابن منير الطرابلسي في تجواله

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

- آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريده، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.
- ابن الأثير: ابو الفتح أبو المكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الملقب بـ «ضياء الدين» ت ٦٣٧هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق د. محمد أحمد الحوفي، و د. بدوي طبانه، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بـ«عز الدين» (ت: ٦٣٠هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بـ«عز الدين» (ت: ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم المعروف بابن الجزري الملقب بـ«عز الدين» (ت: ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، عن النسخة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية، القاهرة، مكتبة القدس ١٣٥٧هـ.
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ١٩٣٥م.
- ابن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت: ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير دار صادر ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م
- أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أحمد الجندي، شعراء من بلاد الشام، الطبعة الأولى، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٤م.
- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، الطبعة الثامنة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣م.
- أحمد أمين، ظهر الإسلام، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة ١٩٦٢م.
- ابن حجه الحموي: أبو بكر علي بن محمد بن حجه الحموي القادري الحنفي (ت: ٨٣٧هـ) ثمرات الأوراق في المحاضرات، تحقيق د. مفيد قميحه الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ابن حجه الحموي: الشيخ تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجه الحموي (ت:٨٣٧هـ) خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر بيروت.
- ابن خلدون: عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، كتاب ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر «تاريخ ابن خلدون» دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- إبن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٠م.
- ابن رجب الحنبلي: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت:٧٩٥هـ)، الذيل على طبقات الحنابلة، دار المعرفة بيروت.
- ابن رسلان: مسلم بن محمود الشيرزي (ت: ٦٦٢هـ)، جمهرة الإسلام ذات النشر والنظام، نسخة مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية (مخطوط).
- ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت: ٤٥٦هـ)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمده في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق د. محمد قرقزان، الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- أسامة بن منقذ الكناني (ن:٥٨٤هـ)، البديع في نقد الشعر، تحقيق د. أحمد بدوي د. حامد عبد المجيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦٠م.
- أسامة بن منقذ الكناني (ت:٥٨٤هـ) الاعتبار، حرره فيليب حتي، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٨١م.
- ابن شداد: عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم (ت: ٦٨٤هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم دمشق، تحقيق د. سامي الدهان، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
- ابن شداد: عز الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم (ت: ٦٨٤هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم لبنان وفلسطين، والأردن. (بدون تاريخ).
- ابن شداد: القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد يوسف بن رافع بن تميم (ت:٦٣٢) سيرة صلاح الدين المسماة «النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية» مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣١٧هـ.
- أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت: ٦٦٥هـ) «كتاب» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجيل ١٩٥٦م.
- أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت: ٦٦٥هـ) «كتاب» الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٦م.
- ابن طباطبا محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام. المكتبة التجارية القاهرة ١٩٦٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت:٧٠٩هـ)، تاريخ الدول الإسلامية «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية»، دار صادر و دار بيروت ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.
- ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت: ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م.
- ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت: ٦٦٠هـ) زبدة الحلب من تاريخ حلب تحقيق د. سامي الدهان، الطبعة الكاثوليكية، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، ١٣٧٣هـ. ١٩٥٤م.
- ابن عساكر: الإمام الحافظ «ابو القاسم» علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق،
- ابن عساكر: الإمام الحافظ «ابو القاسم» علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) تهذيب تاريخ دمشق، هذبه ورتبه عبد القادر بدران، الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، دار المسيرةبيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى(ت: ٧٤٩هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نسخة مصورة عن معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت في ألمانيا الإتحادية، يصدره فؤاد سزكين ١٩٨٨م، (مخطوط).
- ابن الفوطي: كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني الحنبلي (ت:٧٢٣هـ)، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق د. مصطفى جواد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القومي دمشق ١٩٦٥م.
- ابن قاضي شهبة: بدر الدين بن قاضي شهبة (ت: ٨٧٤هـ)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي» تحقيق محمود زايد الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١م.
- ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن القلانسي (ت: ٥٥٥هـ)، تاريخ أبي حمزة بن القلانسي المعروف بـ«ذيل تاريخ دمشق» مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م.
- ابن قيم الجوزية: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) إغاثة اللهفان عن مصايد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقسي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٥٧هـ، ١٩٣٩م.
- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية تحقيق د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوي، والاستاذ فؤاد السيد والأستاذ مهدي ناصر الدين والأستاذ علي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن المستوفى: شرف الدين أبي البركات بن أحمد اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفى، (ت: ٦٣٧هـ)، تاريخ إربل المسمى «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» تحقيق سامي السيد خماس الصقار، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م.
- ابن المعتز: أبو العباس عبدالله بن المعتز (ت: ٢٩٩هـ) البديع تحقيق وتقديم د. محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الجيل-بيروت ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم من منظور (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب دار صادر، بيروت.(بدون تاريخ).
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق رياض عبد المجيد مراد، الطبعة الأولى دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير الطرابلسي (ت: ٥٤٨هـ) ديوان شعر ابن منير مكتبة الأمبروزيانا إيطاليا رقم ٢١٠ مخطوط.
- ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير الطرابلسي (ت: ٥٤٨هـ) شعر ابن منير الطرابلسي جمعه وحققه وقدم له د. سعود محمود عبد الجابر، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.
- ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير الطرابلسي (ت: ٥٤٨هـ)، ديوان ابن منير الطرابلسي جمعه وحققه وقدم له د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى دار الجيل، بيروت ومكتبة السائح، طرابلسي ١٩٨٦م.
- الأميني النجفي: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الغديرفي الكتاب والسنة والآداب، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت: ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مطبعة حامد فؤاد الأول، القاهرة، ج١، نشره د. جمال الدين الشيال.
- ابن الوردي: زين الدين عمر بن الوردي (ت: ٧٤٩هـ) تتمة المختصر في أخبار البشر «تاريخ: ابن الوردي» تحقيق أحمد رفعت البدراوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة- بيروت.
- أبو العتاهية: إسحاق بن إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الغزي، المعروف بأبي العتاهيه (ت: ٢١٠هـ) الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية، عُني بطبعة الأب لويس شيخو اليسوعي، الطبعة الرابعة، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩١٤م.
- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: ٣٩٥)، «كتاب» الصناعتين الكتابة والنثر، تحقيق على محمد البيجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الأبيوردي أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحق (ت: ٥٠٧هـ)، ديوان الأبيوردي تحقيق د. عمر الأسعد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أنتوني دبست: الحروب الصليبية، ترجمة شكري محمود نديم نشر بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين «بغداد» نيويورك، مكتبة النبراس للنشر والتوزيع بغداد، ١٩٦٧م.
- البيروني: محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية دار صادر.(بدون تاريخ).
- د. جودت الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر دمشق. ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
- حازم القرطاجي (ت: ٦٨٢هـ) منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق وتقديم محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية التونسية ١٩٦٦م.
- حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي ١٩٥٠م.
- الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، مكتبة الأندلس بغداد ١٣٨٥هـ.
- الحريري: محمد بن علي المغربي الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق د. سهل زكار، مكتبة دار الملاح سوريا (١٤٠هـ، ١٩٨١م.
- د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي، والاجتماعي، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٦٥م.
- د. حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، وأعمالهم السياسية، والدينية بوجه خاص منشورات وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة١٩٣٤م.
- الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحسيني (ت: ٦٢٢هـ)، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، الطبعة الأولى، دار إقرأ للنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٥هـ.
- الحموي: ياقوت بن عبد اله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ) معجم الأدباء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

«إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣م.

- الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.
- خاشع المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ٣٥٩-٥٦٧هـ- ٩٦٩-١١٧١م. الطبعة الأولى، دار الحرية بغداد ١٩٧٥م.
- الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ)، طراز المجالس تحقيق مصطفى وهبي بن محمد، مطبعة بولاق ١٢٨٤هـ.
- الخفاجي: أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ) سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- الخوانساري: الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات تحقيق: أسد الله إسماعيليان دار الكتاب العربي بيروت. (بدون تاريخ).
- داود بن عمر الأنطاكي المعروف بالأكمه (ت: ١٠٠٨)، تزيين الأشواق بتفصيل أشواق العشاق الطبعة الثالثة، المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٨هـ.
- الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي(ت: ٧٤٨ هـ)، تذكرة الحفاظ مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.
- الذهبي: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، منشورات وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية- الكويت ١٩٦٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز تحقيق وتقديم د. ابراهيم السامرائي، د. محمد بركات أبو علي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م.
- الزركلي: خير الدين الزركلي، الأعلام الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين ١٩٧٩م.
- سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية عهد الجهاد المبكر الطبعة الأولى دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.
- سبط بن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا وغلي التركي المشهور بسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدو أباد، الدكن-الهند، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.
- سعيد عاشور الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية -القاهرة ١٤٠٤هـ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت ١٩٦٦م.
- سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، الطبعة الرابعة، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٦م.
- السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢هـ) الأنساب، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن يحيى المعلي اليماني، الطبعة الثانية مؤسسة محمد أمين دمج بيروت ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- السيد محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٨٠هـ.
- السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) أعيان الشيعة الطبعة الثانية دار الإنصاف بيروت ١٩٦١م.
- السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثانية دار الفكر ١٢٩٩هـ. ١٩٧٩م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ) حسن المحاضره في تاريخ مصر والقاهره. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الموسوعات، دار إحياء الكتب المصرية، ١٣٢١هـ.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ) لب الألباب في تحرير الأنساب تحقيق محمد عبد العزيز، أشرف محمد عبد العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- الشريف الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية بيروت. (بدون تاريخ).
- شفيق الرقب، إتجاهات الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري «رسالة دكتوراه» الجامعة الأردنية ١٩٨٩م/ ١٩٩٠م.
- د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، مصر والشام دار المعارف مصر، ١٩٨٤.
- الصفدي: الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) الغيث المسجم في شرح لأمية العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- الصفدي: الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، باعتناء محمد يوسف نجم دار صادر بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- عادل جابر شعر ابن القيسراني «جمع ودراسة وتحقيق» الطبعة الأولى الوكالة العربية للنشر والتوزيع ١٤١١هـ. ١٩٩١م.
- عبدالله حبيب نوفل تراجم علماء طرابلس وأدبائها، مطبعة الحضارة الأندلس ١٩٢٩م.
- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي. الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري مكتبة الأقصى عمان ١٩٧٧م.
- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٩٢-٦٤٨هـ دار البشير ١٤٠٩، ١٩٨٩م

- د. عبد الجليل حسن عبد المهدي،بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية، دار البشير ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- د. عبد الجليل عبد المهدي، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى، الطبعة الأولى مكتبة الأقصى عمان ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- عبد الجليل حسن عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية، مكتبة الأقصى عمان ١٤٠١هـ، ١٩٨١.
- عبدالقادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت:٧٧٥هـ) الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- علي بن الحسين، ابو فرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ) الأغاني، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية، دار إحياء التراث-بيروت.
- العماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام،تحقيق د. شكري فيصل طبعة المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٧٤هـ: ١٩٥٥م.
- العماد الأصفهاني (٥٩٧هـ) خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب تحقيق محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى الدار التونسية للنشر ١٩٦٦م.
- د. عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور وعصر الصراع العربي البيزنطي والحروب الصليبية، الطبعة الثانية دار الإيمان طرابلس ١٩٨٤م.
- د. عمر عبد السلام تدمري، الحياة الثقافية في طرابلس خلال العصور الوسطى من الفتح العربي حتى سقوط الإمارة الصليبية ٢٥-٦٨٨هـ-٦٤٦-١٢٨٩م. الطبعة الأولى مؤسسة فلسطين للتأليف والترجمة والنشر ١٩٧٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- د. عمر فروخ تاريخ الأدب العربي الطبعة الأولى، دار العلم للملايين ١٩٧٩م.
- عُمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بيروت دار إحياء التراث العربي ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- فاروق أنيس جرار محمد بن نصر القيسراني حياته وشعره، منشورات دائرة الثقافة والفنون الأردنية عمان ١٩٧٤م
- قدامه بن جعفر (ت: ٣٣٧هـ) نقد الشعر تحقيق د. كمال مصطفى، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي ١٩٧٨م.
- القفطي: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ) ١٩٥٠م.
- القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب دار المعارف مصر ١٩٧٥م.
- الكتبي: محمد بن شاكر الكتبي (ت:٧٦٤هـ) عيون التواريخ، حققه فيصل السامرائي، منشورات وزارة الإعلام العراقية ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.
- الكتبي: محمد بن شاكر الكتبي (ت: ٧٦٤هـ) فوات الوفيات، مكتبة النهضة المصرية «بدون تاريخ»
- د. محمد التونجي، حول الأدب في العصر السلجوقي، الطبعة الأولى مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، بنغازي ١٩٧٤م.
- محمد بن عبد المنعم الحميري (ت: ١٢٧٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق د. إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٥م.
- محمد راغب الطباخ الحلبي، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء محمد كمال، دار القلم، حلب. (بدون تاريخ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري دار المعارف مصر ١٩٨٠م .
- محمد سيد كيلاني. الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام دار الكتب المصرية ١٩٤٩م.
- محمد بن العبدري الشيبي (ت: ٨٣٧هـ) تمثال الأمثال تحقيق د. اسعد ذبيان، دار المسيرة بيروت. (بدون تاريخ).
- د. محمد علي الهرفي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث الطبعة الأولى، دار العودة بيروت ١٩٨٢م.
- محمد كرد علي، خطط الشام، ج٤،ج٦، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٤٥هـ، ١٩٢٥م ج٢ المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٥هـ،١٩٢٥م.
- محمد كرد علي تحفة ذوي الألباب-للصفدي. مجلة المجتمع العلمي العربي المجلد الخامس ١٣٤٢هـ، ١٩٢٥م. ص ٤٤٥-٤٤٩.
- د. محمود ابراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي دمشق، مكتبة الأقصى عمان، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
- محمود فايز إبراهيم السرطاوي، نور الدين في الأدب العربي، في عصر الحروب الصليبية، الطبعة الأولى ، دار البشير ١٩٩٠م
- المسعودي: أبو الحسين علي بن الحسين المسعودي (ت:٣٤٥هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق شاربلا طبعة الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٠م.
- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المقريزي: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت: ٨٤٥هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة المثنى بغداد. (بدون تاريخ).
- المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق د. إحسان عباس، دار الفكر ١٩٨٦م.
- المكي: العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسين الموسوي (ت:١١٤٨هـ) نزهة الجليس ومُنية الأديب الأنيس (ت: ١١٤٨هـ) المطبعة الحديثة النجف الأشرف ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م.
- د. منصور عبد الرحمن اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م.
- النابلسي: عبد الغني النابلسي (ت: بعد سنة ١٢٩٩هـ)، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، شرح البديعية المزريّة بالعقود الجوهرية الطبعة الثالثة عالم الكتب بيروت ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- د. ناظم رشيد، القدس في شعر القرن السادس الهجري مجلة المورد، المجلد الحادي عشر، العدد الأول ١٩٨٢م. ص ٣-٢٥.
- النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت: ٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس، المؤسسة المصرية العامة وزارة الثقافة والإرشاد القومي.(بدون تاريخ).
- اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي.(ت: ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الثانية، مؤسسةالأعلمي بيروت ١٣٩٠، ١٩٧٠م
- د. يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٩م.
- د. يوسف اليوسف مقالات في الشعر الجاهلي الطبعة الرابعة، دار الحقائق بيروت ١٩٨٥م.
- مؤلف مجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، تحقيق د. حسن حبشي مطبعة لجنة البيان العربي، دار الفكر العربي ١٩٥٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص
باللغة الانجليزية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Ibn Munir Al-Tarabulsi

His life and Poetry

By

Mohammad Subhi Assa'd Abu Hussein

Supervised By

Prof. Dr. Abdel Jalil Abdel Muhdi

This study aims to knowing the period in which the poet - Ibn Munir Al-Tarabulsi - Lived, at getting acquainted with the poetry he composed and at analyzing his versitication.

It was planned in accordance with the integrative method so that I can make use of the different methods of research, and it focused on the poetry which reached us. Of course I benefitted from the biography of the, extracted from different sources, in analyzing the the poetry.

The study consists of three chapters and a preface.

In the preface, I tried to get acquainted with the general conditions in greater Syria, especially those connected with the conflict between the Moslems and the Crusaders.

In the first chapter, I wrote about the biography of the poet and his education, and in the second chapter I wrote about the lost Diwan - the anthology of the poet, and the two attempts made by Sa'ud Mahmud Abd Al-Jabir and Umar Atudmari to collect his poetry. I also wrote about the different subjects of his poetry.

In the third chapter, I discussed the stylistic and artistic traits of the poetry and the poet's music.

At the end, I added 200 lines of poetry to the known lines of the poet.

٤٤٥٢٢٢

All Rights Reserved -Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In the conclusion, after revealing the biography of the poet, I pointed to the face that the poet got married but he had no children. I also mentioned that more than half of poetry of Ibn Munir death with Jihad-Holy war against the Crusaders. His poetry included among other things - satire, and was traditional.

The study showed the poet's broad knowledge of the Arabic language and the different methods he followed in his versification.